كتاب

حاضر الحبشة ومستقبلها

كتاب يبحث
في نشوء المملكة الحبشية
وجغرافيتها وسياستها وادارتها
وبيان ثروتها وعلمها وأدبها وآثارها
ومعيشتها ونظامها وهيئتها الاجتماعية
وحكومتها واستقلالها وتاريخها الحديث
وعلاقتها بالدول ومستقبلها وكل
ما يهم الوقوف عليه
من أحوال تلك
المملكة
الواسعة

جلالة الامبراطور منليك
صاحب عرش الحبشة

تأليف

رمزى تادرس
محرر بجريدة مصر

obeikan

فهرست الكتاب

صحيفة		صحيفة	
٤	فاتحة الكتاب	٤٣	تجارتها
٩	الكلمة الاولى	٤٥	طرقها التجارية
	الجزء الاول	٤٧	طريقها الحديدي
١	تمهيدات اولية	٤٩	نقودها
٢	اقسامها	٥٢	تاريخها ومقاييسها
٨	انهارها	٥٣	مساحتها
١٠	بحيرتها		الجزء الثاني
١٢	هيئتها الطبيعية ومعادنها	٥٥	اسم سكانها ونسبهم
١٥	حاصلاتها الزراعية	٥٧	اصلهم وعناصرهم
١٩	حيواناتها	٦١	اوصافهم الخلقية
٢٢	جوها وهواؤها	٦٣	اوصافهم الادبية
٢٤	مدنها	٦٧	عاداتهم وخرفاتهم
٢٩	دورها واخطاطها	٧٠	مسكراتهم وطعامهم
٣٢	اثارها	٧٣	ملابسهم وزينتهم
٣٦	علمها ومدارسها	٧٥	نساؤهم
٣٩	سكانها	٧٨	زواجهم
٤١	صناعتها	٨١	هيئتهم الاجتماعية

obeikandl.com

عزتلو تادرس بك شنوده المنقبادي صاحب جريدة مصر

٩١ دينهم وعلاقتهم بالاقباط

١٠١ احبارهم ورهبانهم

١٠٤ كنائسهم واديرتهم

١٠٦ شريعتهم

١٠٧ مملكتهم الوثنية

١١٠ مملكة جبنائهم

١١٢ يهو ديوهم

١١٤ لغتهم وكتابتهم

١١٨ خليط قبائلهم وشعوبهم

١٢٦ مسلموهم

الجزء الثالث

١٣٠ حكومة الحبشة

١٣٢ القابها ووساماتها وشعارها

١٣٤ قضاؤها ومحاكمها

١٣٦ ضرائبها وجمارکها وبريدها

١٣٨ جيشها وعلمها

١٤١ تاريخها الحديث

١٥٩ احتلال شواطئها

١٦٣ حاضرها ومستقبلها السياسى

١٧٠ الخطر الاسود

الحبشة لاتبسط يدها الا الى الله

منليك

شعار الحبشة

فاتحة الكتاب

اخواني الاعزاء

ان الحوادث ذات الشأن التي تمثل الآن تحت سماء المملكة الحبشية التي تسكن شرقي القارة الافريقية التي نسكن نحن في طرفها الاول والتي تسمعون بذكرها في كل حين بعثت في نشوفا زائداً الى استقصاء اخبارها ودرس أحوالها والوقوف على اخلاق اهلها وعوائدهم وطباعهم ومعيشتهم وغير ذلك مما يتعلق بكيانهم وهيئتهم وقد عززت هذا الدرس بما التقطه من أفواه القوم انفسهم وعرفته من مخالطتهم ونقلته من بعض الافرنج من ذوي الالمام باحوالهم ليكون هذا الدرس درساً علمياً اخلاقياً تقرأوا سطوره فتقفوا منه على أحوال أمة تجمعكم بها جامعة الجوار وترتبط بفريق منكم برابطة حب مصدره الدين

كرت الاجيال ايها الاخوان على تلك المملكة الشرقية وهي طفلة في المهد لم تدرج من حجر أمها فالتقت صبية في آخر القرن الماضي وبدء الجيل الجديد بقوة رابطتها القومية بروح عواطفها الوطنية بعبادة الحرية والاستقلال فتحيت اليها الافكار وتحولت اليها انظار العالمين وصار العلم بحقيقة حالها من الامور التي يتشوف الافراد الى استقصائها ليعرفوا كيف حافظت تلك الامة على حيويتها وكيانها وما هي صفات أهلها التي امتازوا بها وفازوا بواسطتها على كل الامم الشرقية

وقد انتهزنا فرصة هذا الانتباه العام ووضعنا هذا الكتاب ولعله أول كتاب وضع من نوعه بلغتنا العربية وصار يمكن لكل مطلع عليه ان يحكم في حقيقة الاحباش على اختلاف طبقات مجتمعاتهم من العظم والبسامة والعلم والجهل والترقي والتدني وغير ذلك من المطالب المهمة والامور الحيوية اللازمة لاطلاعنا عليها لاننا أحوج الامم الى

درس أحوال الامم المستقلة لتكون لنا قياساً نتمشى على قواعده ان لم يكن في الحال ففي الاستقبال .

على ان الغاية التي استفزت همتي ايها الاخوان لتأليف هذا الكتاب قد ترمي الى ثلاثة اغراض الغرض الاول تقريب الاحباش منا مع ما يظهر من بعدهم عنا وغرابتهم لدينا بل لتقربهم من أفكارنا وقلوبنا ليس بصلة الدين والجوار وحدهما بل بالاشتراك الكلي في المجتمع والتعاون على الحياة والغرض الثاني اظهار عواطف الوطنية الشديدة في نفوس أمة شرقية لتتولد من تلك العواطف زوبعة هائلة تدفع بسرعة زائدة وشدة عظيمة كل الاوهام التي غشت عقولنا فتجعل تغييراً كلياً في حياتنا لنعرف ما هو الوطن وما هو الاستقلال وان كنا جازمين باستحالة وجودهما الآن فقد لا نجزم غداً بهذه الاستحالة اذا عرفنا السبيل الموصل اليهما

والغرض الثالث أن نرسل بانظارنا الى اليبس الحبشي فنعمل فيه راحلة السفر ونضرب في مناكبه الخصيبة ثم نمد يدنا الى جوف أرضه لنفتح كنوزه ونستكشف أسراره ونستخرج اخلاف ثروته وهو يبس لم يزل بكراً ما قربته يد ولا اشتغل فيه عامل ولا استغله مستغل الى الآن . على أن هذا الغرض الذي نبتغيه ميسور الآن اذ يكفينا ان نبدأ بالسياحة تدريجياً الى ان نألفها فاذا الفناها انسقنا بحكم السير الطبيعي الى الاسفار واذا انسقنا اليها انصلحت امورنا واتسع ميدان الحياة في وجوهنا وعلى هذا السبيل سارت الامم الحية من قبلنا فترقت صاعدة متدافعة كلما جازت شوطاً زادت ثروة ومجداً وبالتالي وجدت كل اسباب الحياة والفلاح متوفرة لديها

وعلى هذا يكون غرضنا الاخير هو القانون الكلي الذي اسست علي قواعده الشعوب سر تقدمها ونحن لا نلجأ الى السنوات البعيدة لنظهر هذا السر بل ننظر الى الامس والامس اوضح من كل شيء فنجد امماً دفعتها الحياة فنازعتنا سبل الرزق في بلادنا حتى صار لها من بسطة العز والجاه ما ليس لنا بل اذا نظرنا الى تنافسها الحالي في اكتساب ثروتنا واستغلال اراضينا بالنسبة الى القرن الغابر وجدنا ان

هذا التنافس ازداد ازدياداً عظيماً عن العصر الذي بدأ فيه ولا دليل على ان بقاء الحال سيكون اقل او اكثر مما هو الآن بل لا بد من ان يكون الزمان القادم اكثر تنافساً مما يقدره الناس وحينئذ يضيق الرزق في وجوهنا اكثر من ضيقه اليوم .

اذا عرفنا ذلك هل نتعلم ان ننهض رهل نمشي بهذه القدم السريعة التي تمشي بها الامم أم نستمر على خمولنا حتى تلاشى ونضمحل ؟ هذا سؤال وان كنا ندع الجواب عليه للزمان فهو أعرف منا بما سيلده غداً لكننا نؤمل أيها الاخوان ان تكون هذه الكلمات التي ارسلناها على سبيل التجربة باعثاً قوياً على استنهاض هممكم كذلك نتمنى أن تصادف الحظوة لديكم وتلاقي من صدوركم ترحيباً واهلاً فتركوا في تاريخ القرن الجديد اثراً يذكر لكم على ممر الايام وأشعر حينئذ معه اني من القصور والضعف اني صرت حقيقاً بالثقة التي أعرف انكم تثقونها بي أيها الاعزاء وأسأل الله أن يحقق أمانينا وأمانيكم وأن يلهمنا واياكم سبيل الرشاد

* * *

قضيت مائة وعشرين يوماً أو ١٧ أسبوعاً أو أربعة أشهر في وضع هذا الكتاب وعانيت صعوبات شتى في تدوينه لكنني لم أعدم منشطاً على المثابرة والثبات ويقضي علي عرفان الجميل ان أفرد لها في هذا المقام ذكراً الا وهو حضرة عزتلو الفاضل

تادرس بك شنوده المنقبادي

صاحب جريدة مصر وزعيم النهضة القبطية في هذا العصر وماذا عسى ان تكون كلمة الشكر في جانب تلك الصداقة وذلك الفضل بل ماذا عسى ان يكون لواجب علي تلقاء هذا الاحسان وذلك البر . والرجل على ما أعرفه و يعرفه كل الذين خبروه رجل شعب وانسانية يحب الشعب و يخدم الانسانية ورجل فضل ميال الى الفضيلة ورجل اجتهاد وحزم بدأ صغيراً فعاش كبيراً

زعيمنا اليوم رجل في الخمسين من عمره قضى معظمها في خدمة أمته التي نشأ فيها

وشب على حبها وسعى لاسعادها فهو أول من أنشأ لها جريدة سيارة تطالب بحقوقها وتدافع عنها اذا كان هناك ثمت من حقوق مهضومة أو مطالب يستحق المدافعةوهو أول من قام ينهض الهمم و يحث الناشئة الجديدة على الاستقلال في الاعمال وعلى السياحات والاسفار فان لم يجمع الناس على الاخذ باقواله اليوم فلأن العقول لم تترق والمبادىء لم تزل صغيرةوالعواطف ما فتئت مينة انما سيبقى لكلماته صدى الى الذرية القادمة فتسمع دعوته وتعي بنصيحته حيث تكون العقول مستعدة وحيث تكون الجهالات قد أشرفت على الزوال

﴿ صفاته الخلقية ﴾ — الوجه البيضوي مع الجبهة العريضة تسطع دونها عينان براقتان تشتعلان ذكاء تنهض بذلك قامة شاهقة يسمو بها رأس كله نور وحكمه يخرج منه صوت رنان لا ينقطع من المنابر يحلي كل ذلك عقل كبير ما رأيت اكبر منه الا القليل

﴿ صفاته الادبية ﴾ — الشدة مع الحلم والبأس معرقة القلب والسكوت مع كثرة العمل والتجرد عن كل قصد غيرقصد اعلاء كلمة أمتهوالولع بالاثراء معشدة الحرص والاعراق في الدين مع نقاء الضمير وصفاء النية والاتضاع الصادق مع البعد عن الخيلاء والصلف وكل هذه الصفات جعلته سريع التأثير سريع الانقياد لكن اذا خامره الروع انبسط منه الخاطر المنقبض وعاد الى الطفه الطبيعي .

﴿ علمه وأدبه ﴾ — خلق نشيطاً نبغ من صغر وتعلم عن كبر فرسخ في ما تعلمه حتى صار واسع الاطلاع في العلوم التاريخية خبيراً بالشؤون الزراعية و باحوال البلاد اقتصادياً وأدبياً وسياسياً عارفاً بالقليل من الانكليزية ولولا تفرغه لاعماله الواسعة لاتقنها ومهر بها في أشهر . أما كتابتهالعربية فبسيطة أنيقةسهلة العبارة سلسةالتركيب تقترب الفاظها آونة الى الفاظ العامة لتكون أقرب الى الذهن وأبعد عن مواطن التنطس والتقعر فهي من قبيل الكتابات التي لا تخرج عن حد السهل الممتنع . وزد على ما تقدم انه جيد الذهن سريع الفهم عالي الفكر بعيد النظر قوي الذاكرة عصي طبع

هذا هو كل الرجل نابغة كما يشتهي النبغاء ونشيط كما يحب أهل النشاط ورجل اصلاح كما يجب ان يكون رجال الاصلاح وهي مزايا عالية جعلته في مصاف الرجال الذين يفتخر بهم وجعلتني ان أحلي اول صفحات كتابي بذكر اسمه ليبقى هـذا الاسم مخلداً الى الذرية القادمة ولتحفظ الذرية هـذا الاسم انه يعلمها كيف يسمو الرجل وكيف ينجز العظائم

هـذا ما اردت كتابته عن هذا الرجل الذي خبرته منذ سنوات وهو ليس بالبحث المستوفي لكن غاية ما ترخيته ان يعلم قراء كتابي وابناء امتي ما هي صفات وأخلاق تادرس بك شنوده المنقبادي صاحب جريدة مصر

رمزي تادرس

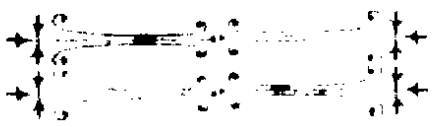

الكلمة الاولى

هناك على شاطىء البحر الاحمر في تلك الاقصاء البعيدة بين السودان المصري و بلاد الصومال تعيش أمة من أمم العالم القديم حافظت على استقلالها وحيو يتها وعوائدها وكيانها من أول التاريخ الى اليوم . أمة عرفتها الارض بالكد والكدح كما عرفتها بالبطش والبأس أمة كانت في عز وسوءدد ولا تزال الى اليوم والى الساعة في هذا المجد وذاك العز والشمم تلك هي أمة الاحباش التي يتولاها الآن الامبراطور منليك الثاني الجالس على عرش يهوذا المشيد الاركان

عاشت هذه الامة العريقةفي المجد الشديدةفي المنعة دهورًا وأعصارًا لا تعرف لها فضيلة في غير الاستقلال ولا محمدة في غير حب الوطن تبيع في سبيله المهج رخيصة أمة متفرقة بين الربى والسهول و بين الوديان والوهاد تضمها جامعة واحدة هي جامعة الدين الارثذوكسي القويم وتوحدها عاطفة واحدة هي عاطفة الاخاء والوداد وتربطها رابطة متينة هي رابطة حب الوطن ورابطة حب الوطن اكبر عوامل الاتحاد بين المجموع المشترك المؤلف لكل شعب من شعوب العالمين

نحن اذا قلنا في مشارق الارض ومغاربها « الحبشة » قالوا لنا هي الدولة الباقية في القارة السوداء المحافظة على استقلالها وكيانها المدافعة عنهما دفاع المستميت واذا قلنا « الاحباش » قالوا لنا هو الشعب الذي نشأ من بين وديانه الظليلة وجباله الشماء تضارع عزيمته تلك الرواسي ولا تقل همته عنه علاء وهبه الله مع سلامة الجسم سلامة العقل ومع ذكاء الفؤاد قوة الفكر ومع حب الوطن حب الدين رأينا في عناصره المختلفة وقبائله المتعددة رجالا لا ينقصهم شيء من الاستعداد الطبيعي والانتداب العقلي والعزم الكبير واطلعنا في تاريخه القديم والحديث على صور كبيرة اشتهرت بالبسالة والصلاح وعرفت باليقظة والنخوة وطبعت على النبل ولطف المعاشرة ولو دخل اليه التمدن الصحيح وتهذب بالتهذيب العصري وكثرت في ارضه دور العلم والعرفان وحاجيات العصر الجديد لتسنم غارب المجد وصار في نقطة السمت وغدا

أعلا ممالك أفريقيا قدرًا وشأنًا

تركت هذه الامة الكبيرة النفس العالية القدر ماضيًا ان ذكرته بفم الشاكرة فقد يذكرها بفم الاعجاب ودخلت في حاضر ان استقبلته بصدر رحيب وثغر باسم فقد استقبلها ضاحكا مبتسما كما تضحك الوردة في الصباح عن ندى السماء ونظرت الى مستقبل ان لم تعرف من امره شيئًا بعد فقد عرف من امرها ما سيكون والمستقبل لله وليس للبشر

هي أمة من حيث التمدن في المهد ومن حيث المعارف في الطفولية ومن حيث الوطنية في الشبوبية ومن حيث المجد في الشيخوخة أما الاسباب التي دعت الى وجودها في مهد التمدن فلا تقف عند مركز محدود ولا تنحصر في نقطة واحدة بل تشمل جميع فروعها ونتيجته انصراف أهلها عن مجاراة العالم المتمدن في شؤونه الادبية والاقتصادية وانقلب بهم حب الوطن والمحافظة على استقلاله عن الدعوة الى النهضة وتعمير البلاد

ولقد خلق الحبشي من طبعه مغالبًا لكل عواطفه في سبيل المحافظة على بلاده ووطنه وسلطانه يغادر عياله واهله غير مشفق ولا مبال ويخوض غبار الحروب مقاتلا غير جزع ولا هياب فيخترق اللهب واثبا بين صفوف العدو وبين دوي المدافع وبريق السيوف جزا في الروءوس حزا في الرقاب طعنًا في الصدور حتى ينتصر او يلاقي منيته فالحبشي يحارب تحت ظلال السيوف يحارب الاعداء بين فيالقهم على غرة منهم وهذا منتهى البسالة ومنتهى الاقدام

هنا يتمثل لنا الحبشي ذاك الاسود في صورته الحقيقية لا كما يصوره لنا القلم يتمثل لنا وهو مسلم جسمه للهلاك الذي يحصد الاعمار بكراته ويذري الارواح في فضاء اللانهاية يتمثل لنا ان آماله منصرفة الى حب الوطن وكفى بها فضيلة وان أمانيه محصورة في غيرته على لغته وكفى بها فخرًا

يقول جوابة الافاق « انا لننظر الى الاحباش وهم يتفانون في حب بلادهم فنتصورهم في الذهن أرواحًا من نار تطير شظايا هاعلى الاعداء فتحرقهم ونفوسًا من حديد ترجم كل طامع لبلادهم بحجارة من سجيل فتهلكهم » ويقول ابادي « اذا خيرت الحبشي

بين الحياة و بين الاستقلال لفضل الثاني على الاولى » وما أغلى ثمن الاستقلال عند الشعوب الغنية بالاحساس الغنية بالشعور الغنية بالعواطف الوطنية

والحبشي كسائر الناس له فضائل سامية ومزايا عاليه فتراه يتغنى باشعار أسلافه المتقدمين و ينشد قصائد أجداده الغابرين و يتلذذ بنغماتها و يتباهى ببديع معانيها ورقيق مبانيها و يتفاخر بسمو أفكارها وجليل ابتكارها

والحبشي شديد التمسك بعوائد أسلافه يحافظ على القديم و يفتخر بالقديم وتراه في جل هذه العوائد لا ينصرف الى الطبيعة في نظامها وترتيبها ولا يحاول اتباع نواميسها بل يخضع الى شعائر دينه و يسلم أموره كلها الى قضاء محتوم لا خيرة له في شيء ولا هو عن ذلك يحيد كذلك يرضخ في السر والجهر الى قوة عالية تدبر أموره الدنيوية على أحسن أسلوب وله في الآخرة جزاء أعماله وما يحسن ان خيرا فخيرا وان شرًا فشراً

والحبشي مع قلة معارفه وجهله يعتبر قوة العقل كما يفتخر بقوة البنية و يصدع لمن هو فوقه معرفة و يكرم العلماء و يعمل باقوالهم كانهم هدى من عند ربك و يهابهم كانهم أنبياء الله في ارضه و يحسن اليهم و يدافع عنهم وهي صفات الامم الحية العالية الكعب في المدنية

والحبشي غيور على لغته بخيل بكتبه مضن بها معتصم بدينه هذا الدين الذي يربطه بالاقباط و يجعله واياهم كالبنيان المرصوص

والحبشي خاضع لمليكه وولي أمره طائع لهما راضخ لاوامرهما ونواهيهما ومع ذلك فهو مستقل بنفسه معتمد عليها واثق بها حتى مع رضوخه وصرامة الاحكام في بلاده لا يزال يغزو أخاه فينهب بحد السيف أمواله و يسبي عياله و يعود متباهياً بنفسه وببسالته .

والحبشي أمير داره وكبير قومه وفارس لقاء متى امتطى صهوة جواد وهو قاض اذا انتدبته للقضاء وطبيب يداوي العلل و يرقي الامراض ورياضي يحل عويص المسائل والنظريات وكاتب اذا كتب كان خير الكاتبين وكل واحدة من هذه الامور تجعله يأنف من الاستعباد و يكره مخالفة هذه الحياة

والحبشي محب للطرب ولع بالغناء ميال للملاهي محب لنفسه شديد الغيرة على امرأته سيء الظن بالاجنبي لا يتأخر عن الغدر به ولو راعى حرمته اولا

والحبشي يبالغ في اجتماعاته والفته في تكريم الفضيلة ورذل الرذيلة فيرفض من مجتمعاته المختلفة كل من بدا منه ما يخل بالحشمة والادب ويحتقره ويجتنب معاملته مهما كان شريف المحتد عالي النسب غنيًا او نافذا عظيما او اميرًا

والحبشي يعتبر الزواج مقدساً مخافة فقدان العيشة العائلية المقدسة الهنيئة وفقدان الحنان من القلوب وتصلب العواطف وابعاد الانسان عن طبيعته الادبية الى طبيعته المادية

والحبشي يسعى وراء الرزق ويجد في اكتسابه الا انه مقتنع بالطفيف اليسير فاذا أصاب رزق يومه اكتفى حامدًا ربه

والحبشي لا تطمح انظاره الى السعادة الجوية انما يريد ان يكون قليل الاحزان ما استطاع في هذه الحياة الدنيا ليس لفلسفة أو اعتقاد بل لشعور غريزي وميال طبيعية ربي عليها

والحبشي منقاد في أعماله كلها الى خلق غريزي ونظام بديهي فلا يطمع في استعمار ولا يحاول تبديل الوبار ولا يشعر باحتياج الى طرقات ولا ينقص في الخيرات ولا باهتمام للصناعات ومن أعظم اسباب بقائه على هذه الحالة انفراده عن العالم منذ قرون وعدم تجواله في الارض ليقف على حقائق العالم بحقائق العالم الارضي بما يقتضيه التحري والاستكشاف وما تستلزمه معرفة احوال الامم والسنتها ومزاياها القومية وأسرارها الاجتماعية وعاداتها ومعاملاتها ليرى بعينه ما فعلت العلوم وما غرست المعارف وماضي الاجتهاد . وانا انقتصر في الحديث الآن على عبارة واحدة وهي ان رقيه لا يتأتى الا اذا سلك سبيل التقدم الصحيح من نحو تهذيب نفوس أبنائه الى تقويم أخلاقهم الى تحسين وسائل التربية فيهم الى نسخ ما قبح من عاداتهم وما نشوه من تقاليدهم .

أما تاريخه فكلما قلبت صفحة من صفحاته لا تجدها الا وهي واد من دمع

و بحر من دماء واننا عند تسطيره خيل لنا اننا نسمع النحيب والبكاء ونرى اشباحاً حمراء هي أشباح الشهداء حتى عثرنا على صفحة من نار وحديد وظلم شديد تعصر عليها يبدك فتنفجر نارًا وتسيل قطرانًا وتدنو بها من انفك فما تستطيع على رائحتها صبرًا هي صفحة من العبر ما زالت تسطر الى اليوم ذريعة للقوم المتمدنين الى الاحتلال والاستعمار فيستحلون الوصول الى غايتهم على قناطر من الجثث و بحار من الدماء بدس الدسائس بين أبناء الشعب الواحد ليقاتلوا أنفسهم بانفسهم كالنار تأكل بعضها وليس في هذا شيء من العدالة والمساواة والاخاء

وقد عاش الاحباش منذ القدم في حروب متواصلة فاسمعوا العالم صلصلة السيوف كما أسمعوهم دوي المدافع حتى خرجوا في أواخر القرن الماضي وقد انهكت قواهم الحروب وسدلت على بصائرهم سجوف الذهول وسكرت البابهم بخمرة الانتصار ففقدت أفكارهم قوة التبصر وأذهانهم مقدرة الصنائع و بات العلم نسيًا منسيا أو كما قال أحدهم ان العلم مريض والصنائع مفقودة والنفوس خامدة عاطلة حينئذ ظهر

الامبراطور منليك

هذا المليك العظيم سيد أسياد الاحباش مثل عصفور رمت به عاصفة فاراد ان يكون سلطانًا متوجًا فكان كما شاء سلطانًا وحد الممالك بقوة اجتهاده وأخذ يعيد الى أمته بذكائه ما فقدته بالانشقاق في العصور الماضية

فمن هو منليك هو رجل سيف فتح البلاد بقوة ساعده وارهبها ببسالته ورجل علم فتح المدارس ورقى العلوم والمعارف ورجل زراعة اهتم بالزراعة فكان عضدها الوحيد ورجل تجارة لم يدخر وسعًا في تحسين حال التجارة وعقد المعاهدات التجارية مع الدول ورجل صناعة أنشأ المعامل والورش في بلاده ورجل حضارة انقذ أمته من التوحش والهمجية ورجل سياسة ساس الملك بحكمة ودراية

منليك هذا هو الملك العظيم الذي ترى صورته فتتمثل امامك صور الابطال وتقرأ كلماته فتعلم انها كلمات خرجت من صدر حكيم وتسمع باعماله فتعرف انه يجاهد في احياء مملكته جهاد الانبياء فمنليك رجل ربي في بلاده قلما خرج من قصره لغير العمل كأن قوته قدت من ذلك الملك الواسع الذي عهدت اليه القدرة ادارة شؤونه وهو رغماً عن كبر سنه لا يقعد ساعة ولا يغفل لحظة عن مراقبة الاعمال واصدار الاوامر وملاحظة العمال واذا ترك غرفة العمل والادارة للراحة فانما يتركها الافتكار بطريقة تعود بالنفع على بلاده و بنيها فلتبارك القدرة اسمك يا منليك .

﴿ صفاته ﴾ — صفاته البسالة المقرونة بعلو الهمة وشهامة النفس وطهارة السريرة وحدة النظر وتوقد الذكاء وشدة الشعور وجمال المحيا وحب الاطلاع والميل الى تقليد المتمدنين ودرس لغاتهم وهو عليم باللغات الانكليزية والايطالية والفرنسوية والعربية كعلمه بلغته الحبشية

ومن صفاته أيضاً عدم الاعتماد الا على نفسه في كل أعماله خصوصاً ما يتعلق منها بالشؤون الحربية لالمامه التام برسم خريطات الحرب كضابط تخرج من مدرسة حربية عالية يدلنا على ذلك ما فعله في حصار ميكاله حيث شاد أعمال الجسور التي حبس بها الماء عن الايطاليين واضطرهم الى التسليم

(أخلاقه) — رقيق الطبع لين العريكة محب للصلح والسلام عادل في أحكامه معتدل في مطالبه لكنه فوق ذلك ميال للاستقلال تدفعه عزة نفسه وحرية طباعه الى وجوب المحافظة على هذا المبدأ وتضحية النفس والنفيس في سبيل تاييده وتوطيده والذي يزيده ثباتاً واصراراً على اتباع أميال نفسه الحرة واقتفاء اثر مبادئه الشريفة كونه يعلم حق العلم انه يحكم على شعب حر يسفك آخر نقطة من دمه للمحافظة على حريته واستقلاله

***

يعرف العالم في مشارق الارض ومغاربها من هو الامبراطور منليك لكن الذين

يعرفون ترجمته غير كثيرين فهو منليك بن هائلو ملكوت ملك شوا لعهد المرحوم الامبراطور ثيودروس وجده ساحل سلاسي من سلالة منليك الاول بن سليمان بن داود موءسس العائلة الملوكية في هذه البلاد

ولد في ١٧ أغسطس سنة ١٨٤٤ مفطور على الفروسية وترعرع نابغاً ولما بلغ الثانية عشرة من عمره أخذه ثيودروس بعد ان قتل والده وكفله عنده نحو عشر سنوات كان يسعى اثناءها في التقرب من بوفانا ابنة الامبراطور حتى علقت به وعشقته ولما رأى شدة ميلها اليه وجد ان الفرصة ملائمة للمطالبة بعرش أبيه وجده فحبب اليها الهرب من وجه أبيها فلبت نداءه وأذعنت اليه صاغرة ثم فرت معه الى شوا عام ١٨٦٦ مع فريق من الاحباش اختارهم على ما احب من الشجعان والابطال وأبلى بهم في تلك المملكة بلاء جميلاً حتى سلم ملكها « ابيتو بتساب » عرشه على الامان . وحينئذ نودي به مليكا على شوا وهو شاب في الثانية والعشرين من عمره لكنه شاب جريء مقدام ذكي حاذق تمكن بدهائه وبسالته من الاستقلال بمملكته بعد وفاة ثيودروس ثم حصلت بينه وبين الامبراطور يوحنا السابق وقائع كثيرة انتهت بانتصار الامبراطور عليه وباعترافه له بالنجاشية على انه ما فتيء يتحين الفرص لقتاله والاستيلاء على عرشه

وفي عام ١٨٨٢ أرسل جيشه لمحاربة الكافا والجاليلاند فاخضعهما وضمهما الى مملكته فخاف يوحنا بأسه وسلط عليه رأس عادال سلطان قوجام ولما اشتد القتال بين الفريقين انهزمت جنوده اولا فترجل ونادى برجاله وشجعهم فاستأنفوا القتال وظفروا بعدال فقتلوه

وعند ما رجع من القتال منصوراً خاف يوحنا بأسه ورأى ان تذليله ليس بالامر اليسير فاضطر الى مسالمته وانتهت المسالمة بعهدة صلح من مقتضاها استقلال منليك بمملكته ووراثته لعرش الاحباش بعد يوحنا ووقع على هذه المعاهدة في شهر اكتوبر سنة ١٨٨٢ اثر اقتران الرأس اندرتا ابن النجاشي بكريمة منليك البرنس زاوديتا

وفي سنة ١٨٨٣ طلق منليك الاميرة بوفانا ابنة ثيودروس وتزوج بالاميرة طاطيو الامبراطورة الحالية وفي سنة ٨٧ طرد المصريين من هرر واستولى عليها وجعل جامعها الاكبر كنيسة لا تزال باقية الى اليوم

وفي سنة ١٨٩٨ آل اليه عرش ابائه واجداده بل عرش منليك الاول فاحسن الى الناس وبسط فيهم العدل فلقبوه « آبا آنو » أي اب العدل وفي ٢٦ نوفمبر من السنة المذكورة نودي به امبراطورًا في مدينة انطوطو وتوج في كنيستها ولا حاجة بنا الى ان نعرف القاريء بقية تاريخ حياته من بعد تتويجه وهو مبسوط في الباب السادس من الجزء الثالث

على ان العارف بحوادث حياة الامبراطور منليك الداخلية يرى انه حرم ولد يخلفه على سلطنته الواسعة وان وفاة ولديه اللذين رزقهما من اميرة جالية التي تزوجها قبل الامبراطورة طاطيو أثر في نفسه تأثيرًا شديدًا وهو لا يستحق من دهره كل هذا العذاب ولكن حكم الطبيعة واحد في بنيها وبناتها وصاحب الملك الرفيع والمناقب الباهرة مثل احقر اخوانه من بني آدم في ما ورث عنه من المصاعب والاوجاع

أما بناته الاميرات الثلاث فقد تزوجت الاولى بالرأس مخائيل حاكم ولاية اوالوا والثانية بالرأس اندرتا ابن الملك يوحنا والثالثة بالقائد « ابيتوانا اوراك »

وقصاري القول ان الامبراطور منليك من كبار ملوك هذا العالم واعظمهم قوة واقتدارًا ودهاء وذكاء لا يستريح من عمل حتى يشتغل بآخر أتاح له الله زوجة يستنير برأيها لانها داهية من الدهاة ويسترشد بذكائها لانها مصباح منير وشعلة من هي الامبراطورة طاطيو سيدة سيدات الاحباش

الامبراطورة طاطيو

هي « طاطيو زي هيطيا بيابيهيران » أي شمس ونور الحبشة أميرة نبيلة من

جلالة الامبراطورة طاطيو

سلالة امراء الدولة القديمة عاشت مدة حكم الامبراطور ثيودروس مع بقية اعضاء العائلة الملوكية ثم التجأت الى حمى بلاط ملك جودار حيث كان وقتئذ هناك الامير منليك (الامبراطور الحالي) وكان الجنرال مارو وصياً عليها فسعى في زواجها به ومع حسنها الزاهي وجمالها البارع ولطفها الطبيعي لم ترق في عيني منليك ولم يقبل الاقتران بها مفضلا الاقتران بابنة ثيودروس ليل امانيه والاستيلاء على عرش ابيه ولما يئست رضخت لصروف الزمان وسلمت نفسها لغرام الجنرال ولد غبريال الذي كان من رجال معية النجاشي ولم يعلم ما تم بينهما وغاية ما توصلنا اليه من الاستقصاء انه بعد عقد القران صدر امر النجاشي بالقاء القبض عليهما وتكبيلهما بالحديد لغير سبب معلوم على ان بعض المؤرخين يقولون انه تظاهر بالقبض على الاثنين حيلة منه للنكاية بالجنرال ولد غبريال واغتصاب الاميرة منه وقد تم له ذلك ولما وافته منيته تخلصت من الاسر و بادرت في البحث عن زوجها للعودة اليه فخابت مساعيها ولم تثمر له على اثر واضطرت ان تقترن بعد زمن يسير بتكلا جرجس قائد مقدمة حرس ملك الثغرة غير انها طالقته لعدم توافقهما في المعيشة وتزوجت بحاكم اجيور وعلى اثر زواجها صدر امر النجاشي يوحنا بالقاء القبض عليه وزجه في السجن

ولما افل نجم هذه الاميرة بفقد ازواجها الثلاثة يئست من الحياة وتركت الدنيا وترهبت بدير «دبره ميني» طالبا الآخرة غير انها لم تطق عيشة الانزواء وبرحت الدير تبحث عن زوج رابع تحتمي بجاه من صروف الزمان وقد ساعدتها الاقدار على الاقتران بذكار جاجيو شقيق احدى محظيات منليك وكان رجلا غيور وحشياً حتى يقال انه من شدة غيرته عليها وتوحشه كان يضربها بالسياط ولما رأت انها لا تقدر على مقاومة القوة بالقوة استعملت معه الدهاء واخذت تظهر له امارات الحب والغرام حتى سلبت لبه وأضاعت رشده واكتسبت ثقته وملكت قلبه ولما تم لها ذلك تحصلت منه بدهائها على التصريح لها بزيارة والدتها في قوجام و بهذه الحيلة تمكنت من مفارقته وسارت في موكب حافل مؤلف من ١٥٠ عبداً و٦٠ بغلاً و٢٠ جواداً

ومن ذلك الوقت لم يعد زكار جاجيو يرى زوجته ولا رجاله ولا مواشيه ولم تعد الاميرة ترى زوجها بعد ان أتمت معه تمثيل روايتها

لم تتوجه الاميرة لزيارة والدتها كما أوهمت زوجها زكار بل ذهبت للاختفاء باقليم أديللاجالا حيث كان أخوها محافظاً عليه. وفي اثناء وجودها هناك انتشبت الحرب في عام ١٨٨٢ بين مملكتي شوا وقوجام ففرت هاربة الى بورومیدا وهناك كانت نشأة حياتها الجديدة بالقرب من منليك

و بيان ذلك انه لما انتهت الحرب توجه منليك الى اوتو يللو اولاً ثم قصد بورومیدا ثانياً لمقابلة النجاشي يوحنا الذي كان عازماً على زواج ابنه بابنته وفي خلال ذلك ذهبت الاميرة الى معسكر منليك للاستعلام عن أخيها وللشفاعة لديه عن بعض من أذاقهم عسكره مر العذاب فاهتم كل الاهتمام بالامر الذي جاءت من اجله وقابلها بكل ارتياح وحفاوة وأبدى لها من الاكرام ما يكل اليراع عن تسطيره حتى انتهى به الامر انه لم يعد يطيق فراقها وقد غمرها بالهدايا الفاخرة والحلي الثمينة والحال الباهرة كذلك لم يسعه ان يكتم عنها شدة ما به من الحب والجوى فانتهزت هذه الفرصة وتوصلت بدهائها لتوسط النجاشي يوحنا في نصح منليك على الاقتران بها وهي تستعمل كل ما في وسعها لتجعله مخلص الولاء له حتى يبقى النفوذ لحزبه وسيادته

ولما كان منليك مولعاً بها كل الولع لم يعبأ بالنصائح التي كان يشير بها أصدقاؤه عليه بعدم زواجها سيما وانه كان في اشد الاحتياج لعضد النجاشي يوحنا الذي كان للاميرة الدالة العظمى عليه حتى انها سارت على يساره عند عودته الى عاصمة ملكه كانها ملكة الحبش العظمى ثم حدثت حادثة خطيرة الشأن في طريق شوا وذلك انها بمرورها على عاصمة المملكة قديماً رأت هناك الاميرة بوفانا الجميلة قرينة منليك فاخذتها الغيرة الشديدة واثارت عليها نيران حرب هائلة مما ادى الى تنازعهما على الغنيمة الثمينة وسعيهما في نوالها و بعد حوادث كثيرة ومناوشات نسائية طويلة فازت الاميرة طاطيو واقترنت بالامبراطور منليك في شهر ابريل سنة ٨٣ وعقد عليها في كنيسة

« ميداني الهم » وكان منليك حينئذ في التاسعة والثلاثين من عمره والاميرة في الثانية والثلاثين من عمرها وهكذا انتهت رواية الامبراطورة طاطيو التي فاقت بدهائها كيلو بطرا ملكة مصر في زمانها

اما صفاتها فالجمال افتان والعجب والانفة تستجلب القلوب برقتها وتدهش الالباب بعزة نفسها حتى اصبحت ذات تأثير عظيم على النجاشي تستعمله لحمله على اثبات وان لها في السياسة رأيا تسمو به الى التداخل في أمور الدولة كافطن مايكون من الرجال

على انها وان عدمت أولادا يكونون عضدا لها ولزوجها فهي لم تعدم من اكابر مملكتها رجالا تطاول همتهم الافلاك وان بعدت و يسير بثاقب عقلهم الاسرار ولو خفيت ولو اردنا تعدادهم لضاق بنا المقام فنقتصر على اسماهم عقلا واوسعهم شهرة واعلاهم مكانا لهم في تاريخ بلادهم يد بيضاء وهم الرأس ماكونين والرأس ميخائيل والرأس اولييه والبرنس زاجاد حيث سيرث احدهم غدا العرش ويكون امبراطورا متوجا على مملكة الاحباش

الرأس ماكونين

هو رجل الحبشة وزعيم نهضتها بعد الامبراطور وكبير سواسها وقوادها بل بطل معدود من عظماء الابطال اشتهر بحبه للحروب والغزوات وتوسيع ممتلكات بلاده. زار اوربا مرات وحضر معرض باريس وتتويج ملك الانكليز وشاهد استعراض جيوش ايطاليا وحادث سواسها فاكبر الغرب قدره وعرف فضله وانعم عليه ملوكه بوسامات عالية اعترافا بسمو عقله

والرأس المذكور ابن عم الامبراطور منليك وزوج حفيدة الامبراطورة طاطيو وحفيد الملك ساحل سلاسي ملك شوا المعروف يرجع بنسبه الى منليك الاول موسس السلطنة الحبشية فهو أمير ابن امير بن ملك من سلالة الملوك الاولين يثق به الامبراطور في شؤون سياسته الخارجية لطول باعه وغزارة مادته وله المنزلة الاولى

بين قومه ولد هذا الرجل العظيم سنة ١٨٤٧ ونبغ في العلم من صغر وترعرع نشيطاً اليفه السيف وشب فارساً كمياً وكبر حكيما فقائدا محنكا يعضد ابن عمه في حروبه وغزواته. تقلب في مناصب عديدة فكان سفيرا في رومه فملكا للتغرة فملكا لسلطنة هرر فقائدا للجيوش الحبشية وقد حضر حرب بلاده مع الطليان واليه يرجع الفضل في كثير من مواقع الانتصار

(صفاته) صفاته من أحسن ما ينبغي أن يكون عليه أصحاب العقول العالية والمدارك السامية وهو ربعة في الرجال ذو لحية قصيرة سوداء وعينين براقتين تدلان على ما يتوقد في ذهنه من الذكاء لاسيما اذا حدق بهما فانهما تشيران الى ارادة ثابتة ورأي صلب وقوة عزم لا تتزعزع وثبات رأي مع كرم اخلاق وصبوح وجه مع كثرة تفكر شأن رجال السياسة

فاذا عرفت ان هذه صفات واخلاق هذا الرجل حكمت معنا بانه نابغة معدود من افراد الزمان لما له من الذكاء وحدة الذهن وسعة التصور

(أقواله المأثورة) — «الانكليز اشبه بالقطط اذا جوعتها أتبعتك واذا أشبعتها غدرتك» وقال بعد حرب الطليان « اننا لم نفعل شيئاً نستحق عليه الفخر »وقال أثر تداخل الدول في شؤون بلاده « لا تتنازعوا فعلى ماضينا قيسوا مستقبلنا »

ومما يذكر انه قال لولده وقد حال بينه و بين ضابط ايطالي أراد الفتك به على غرة منه في موقعة عدوه « اني وهبتك الحياة يا ولدي فاعدتها الي » ولما زار ضريح نابليون في باريس أخيراً وقف امامه ساكتاً ثم قال « ترى اينفذ الى قلبي شرارة من قريحة وقوة هذا الرجل العظيم »

هذا هو الرأس ماكرنين حاكم هرر وقائد الجيوش الحبشية يمثل لنا الرجولية في كل معانيها وزد على صفاته انه عادل خير دين يحب العلم وأهله ويميل الى أهل الدين و يصلهم و يقربهم

الراس مخائيل

أمير نبيل من عائلة عريقة في المجد كبيرة في الحسب ترجع باصلها الى سلالة الملوك الاولين . وهو زوج الاميرة زاويديتا ابنة الامبراطور منليك وابن الملكة وارجيت ولوكالاس التي حاربت النجاشي ثيودروس محاربة الابطال ثم توفيت وأبقت بسالتها وصفاتها العالية في شخص ولدها الذي شب بطلا وكبر قائداً عظيما يضرب به المثل في الشجاعة والقوة

ولد هـذا الامير الكبير في منتصف القرن الماضي وكان مسلما على دين والده ولما بلغ العشرين من عمره أخذ يجاهد ويقاتل في سبيل الحصول على عرش أبيه وجده وما طال عليـه الزمان بعد هذا الجهاد حتى عرف الامبراطور يوحنا قدره فاستمالة اليه ثم هداه الى النصرانية فاهتدى وسماه مخائيل بعدان كان اسمه محمداً اعليا

والامير المذكور طويل القامة شديد البأس نبيل الهمة زكي الفؤاد كبير النفس لا يساويه في الدهاء والشجاعة الا الرأس ماكونين وكلاهما اكبر قواد الاحباش وأعظمهم مكانة وسموًا ويقول الذين رأوا هذا الامير انه يشبه في هيئته غمبتا رجل فرنسا الشهير مشابهة تامة الا انه لم تقلع له عين كغمبتا

هـذا نتف يسير من حياة وصفات هذا الامير الذي يحبه الامبراطور لدهائه وبسالته ويأنس به في خلواته حتى صار منه بالمنزلة التي لا يطمح اليها غيره من المقربين اليه

الرأس اولييه

أمير من فحول امراء الاحباش ودهاتهم موصوف بالحنكة والشجاعة تقلب في

مناصب عديدة فكان فيها مثال العامل النشيط والنشيط العامل رأى منلك استعداده وكفاءته واقتداره فسيره في عدة حروب كانت له الغلبة في مواقع كثيرة منها وقد حضر موقعتي عدوه وميكاليه وابلى فيهما بلاد حسناء وفي عام ٩٠٢ عين وكيلا لسلطنة التغرة فاصلح شؤونها واحكم سياستها ثم آل اليه عرشها وصار ملكها المتوج في عام ١٩٠٣ ومن ذلك الوقت الى الان وهو يظهر من آيات الاقتدار ما حير الافكار ودل انه الخادم لوطنه سرًا وجهرا المخلص لمواطنيه عملا وفكرا

والرجل طويل القامة يعرف بحسن الهندام وفارس مشهور صاحب ثروة طائلة ووجاهة كبرى ونسب عال يتصل بكبراء الملوك فهو صهر الامبراطور منليك وشقيق الامبراطورة طاطيو صاحبة عرش الحبشة

والرجل على ما يصفه به عارفوه ويؤكده الذين خبروه صحيح المبدأ ثابت الجأش صادق الفراسة قوي العزيمة والارادة عالي الهمة طويل الاناة وجلالة الامبراطور ركون عظيم بنزاهته ودرايته

البرنس زاجاد

هو البرنس اوزان زاجاد حفيد الامبراطور منليك ولد سنة ١٨٨٥ ونشأ على حب الفخار والاعمال العظيمة وعرف بالفصاحة وذلاقة اللسان وقوة البنية وشدة البأس والفروسة حتى علقت به القلوب ورمقته الابصار ووضع فيه الامبراطور منليك اماله ليجعله وليًا لعهده ولو خدمه السعد وصيرته الاقدار امبراطورا لصار كجده حازمًا يعزز بلاده في عيون الدول

والامير المذكور مبتكر يخلق المعاني خلقًا من حاضر ما يوحى به اليه فيحير المهرة من العلماء ويسحر العقول بما يظهر من ساحر بيانه ويفتن الالباب بما تراه من فاتن برهانه وله آراء مشهورة في سياسة بلاده وخدمات عظيمة خدمها بها ومن حكمه

« ان الشرق كالغرب فيه اقطاب سياسة » ومن أقواله أيضاً « انني اعمل ولا اوءمل وان كان الامل أشد ثباتاً لانه يبقى وحده للانسان وقد خسر كل شيء »

وقد أجمع الذين رأوه انه شاب نقي الضمير كثير التصور شديد الحنان وعى في صدره ما لم يع شيوخ الزمان يحمل بين جنبيه قلباً متسماً للعظمة ممتلئاً من حب المجد انوفاً بعظمة ذلك الاسم الذي يلقب به فهو لين لكنه قوي وهو شاب لكنه امير وهو أمير لكنه سيكون غداً امبراطورا عظيما

نيافة الانبا متاؤوس

هو نيافة الحبر الجليل الانبا متاؤس مطران الحبشة ولد في بلدة باقور من اعمال مركز ابي تيج بمديرية اسيوط سنة ١٨٤٧ من ابوين شريفين طالعا في وجهه منذ نعومة اظفاره توقد الذهن وحسن الذاكرة فاحباه وزادا في الاعتناء بتربيته وتعليمه فخرج من طفوليته نشيطا أليفه الكتاب وسميره القلم وقد خطر له بعد ان بلغ العشرين من عمره ان يدرس اللاهوت فدرسه في اشهر ومهر به ثم انتظم في سلك الرهبنة ليعيش تقياً صالحاً يعبد ربه فدخل اولا دير المحرق الشهير في الوجه القبلي ثم انتقل منه الى دير البراموس وظل به الى ان انتدبه غبطة الاب البطريرك الحالي اسقفاً للحبشة في عام ١٨٨١ لعهد الامبراطور يوحنا فذهب اليها عن طيب خاطر وكان مسقط رأس الامبراطور منليك الحالي من ابروشيته فلما ولي جلالته عرش الامبراطورية خابر نيافته غبطة الاب البطريرك ليمنحه رتبة المطرانية ويعينه رئيساً لاحبار الحبشة ليمسح الامبراطور الجديد فاجابه الى ما طاب وارتقى الحبر الكرسي واستلم عصا الرئاسة ملهماً من الله حسن رعاية النفوس واصلاح شؤون الشعب الحبشي الذي يضع اليوم عنده كل آماله

ونيافته متوسط القامة عريض الاكتاف مستدير الوجه كبير الرأس متقد الذكاء

يبـدو على محياه الوقار وتعلوه المهابة عليم باللغة الحبشية واسع الاطلاع في العلوم التاريخية بارع في العلوم اللاهوتية يعجب به الاوربيون على نوع خاص لان أعماله كلها أعمال اهل التقى وخصالهخصال اهل الشرف الرفيع .

وزد على ما تقـدم انه تقي صالح راغب في المسالمـة متفان في حب رعيته عرف الاحباش قدره واختبروا علمه وفضله فاكبروا قدره فوق كبره ووثق بنيافته جلالة الامبراطور وثوقه بنفسه فاتخذه عضدًا ومستشيرًا ومستشارا وصديقًا ولا عجب فنيافته يحمل بين جنبيه قلبًا كبيرا ونفسًا عظيمة يضمها صدر واسع وعقل رشيد

وفي اوائل عام ١٩٠٢ اجاز جلالة الامبراطور لنيافته السفر الى الديار المصرية لزيارة غبطـة الاب البطريرك والمطـارنة والاساقفة بعـد طول الغياب فوصل القاهرة في ٦ فبراير واتي من المصريين كل اكرام واجلال خصوصاً من سمو الخديوي المعظم وفخامة اللورد كرومر وا كابر الشعب القبطي الذين احسنوا وفادته و بالغوا في اكرامه ثم زار يافا فالقدس فلاستانة العلية وقابل جلالة السلطان الاعظم فسان بطرسبورغ عاصمة الروس وقابل جلالة القيصر ثم رجع الى مصر فودع اهلها وعاد الى مركز أبرشيته في اواخر السنة المذكورة

وفي الجملة ان نيافته رجل وهبته الطبيعته احسن مواهبها عقله كبير وصـدره واسع ولطفه طبيعي وميله الى الخـير شديد ومحبته للاحباش تضرب بها الامثال . ولقد احسن غبطة الاب البطريرك في اسناد ابروشية المملكة الحبشية اليه لانه اظهر الاقباط امام اخوانهم بقوة ذكائه وسعة تضلعه وعلو همته

الجزء الاول

١

﴿ تمهيدات اولية ﴾

الحبشة او ايثيوبيا او ارض كوش مملكة واسعة الاطراف واقعة شمال افريقيا الشرقي على ضفاف البحر الاحمر ومتبذة جنوباً فيما يلي بحيرة رودلف وبلاد السومال(١) وهي بلاد عبارة عن هضبة جبلية شاهقة ترتفع قممها العالية التي البستها الخضرة ثوباً جميلا نحو الاربعة الاف متر عن سطح البحر

هي سويسرة افريقيا (٢) بمناظرها الطبيعية البهجة بكثرة جبالها الشاهقة بتشعب هضابها النضرة بانسياب انهارها الجارية بلطافة بحيراتها الصافية بزقزقة طيورها الاليفة بشروق شمسها المنيفة بخلو افكار ابنائها الا من دواعي التمتع بصفو الزمان واستقلال الاوطان

﴿حدودها﴾ يحدها شمالا اقليم الارتيرة بخط ممتد من خورام حجر الى نهر المعيطاب الى جبل تاكور الى نهر المارب حتى ملتقاه بنهر مايميزا تاركا جبل تاكور وارض قبيلة الكاناماس في دائرة النفوذ الايطالي. وشرقاً الاقليم المذكور والشاطيء الافرنسي والسومال الانكليزي وولاية بنادير الايطالية وغرباً السودان المصري (٣) بخط ممتد

---

(١) السومال بلاد واقعة بين خليج عدن والمحيط الهندي جوها حار جدا نهارا وبارد جدا ليلا ومساحتها ٧٥٠ الف كيلو متر مربع وعدد سكانها نحو ٢٥٠ الف نفس كلهم مسلمون ويزرع بها البن واللبان على وجه خاص. وقد اعدت هذه البلاد في المدت الاخيرة عرضة لمطامع الفاتحين من دول اوربا (٢) سويسرة مملكة كثيرة المناظر الطبيعية واقعة بين المانيا والنمسا وايطاليا وفرنسا مساحتها ٤١٣٤٦ كيلو مترا مربعا وعدد سكانها ثلاثة ملايين من النفوس واهلها مشهورون بالذكاء والنشاط . عاصمتها برن وحكومتها جمهورية تعاهدية يدير شؤونها رئيس ينتخب لمدة عام (٣) اختلفت حكومتا السودان والحبشة في عام ١٩٠٤ على التخوم الفاصلة بينهما فعينت الاولى لجنة من الانكليز وانتدبت الثانية الكولونل الروسي ستراً لباتزكي أوفده جلالة القيصر لهذه المهمة بناء على طلب جلالة الامبراطور منليك لكن اللجنة لم تعمل عملا يذكر واختلفت فعاد الكولونل الروسي الى بلاده في شهر سبتمبر الماضي ويقول بعض الواقفين على نوايا الانكليز ان تحديد التخوم سطول امره لتتمكن حكومة السودان من أخذ كثير من أراضي الحبشة .

الان من خورام حجر الى القلابات الى النيل الازرق الى نهر صو باط الى نهيرات بارو و بيبور واكوبو الى بلدة مليلا الى تقاطع خط الدرجة السادسة من خطوط العرض الشمالي بالدرجة الخامسة والثلاثين من خطوط الطول الشرقي ثم يتجه جنوباً حتى شاطيء نهر اومو و بحيرة رودلف . وجنوباً بخط ممتد من شاطيء البحيرة المذكورة الى مدينة دلوج في ارض السومال الايطالية فاصلا الحبشة عن المستعمرة الافريقية الانكليزية الشرقية تاركا بحيرة ستيفاني في دائرة الاملاك الحبشية

٢

﴿ أقسامها ﴾

تنقسم الحبشة الى أربع ممالك عظيمة تسمى بلغتها نجست أو منغست والى عدة ولايات وأقاليم لا يدين بعضها لبعض واكثرها مستقل الاستقلال الداخلي وتسمى بلغتها شومت أو الشومت (١) واول ممالكها التغرة واقعة في الشمال ثم تليها امحرة واقعة في الوسط ثم قوجام واقعة في الجنوب الغربي ثم شوا واقعة في الجنوب فيما يلي ارض الغالا وولاية الكافا .

﴿التغرة﴾ —مملكة متسعة أشبه بمربع منحرف مساحتها مائة ميل مربع في عرض ٩٠ وارتفاعها عن سطح البحر بين ٧٠٠٠ و ٩٠٠٠ قدم وبها أودية واسعة تضاهي الدلتا في خيراتها المتناهية وجمال تربتها لكن مع انخفاضها مئات من الاقدام فليس شيء منها اقل ارتفاعاً من ٧٠٠٠ قدم . أهلها أحسن الاحباش صورة واذكاهم عقلا وأوسعهم تصوراً وأشدهم بسالة واكثرهم اعتصاماً بالدين المسيحي . قصبتها مدينة

(١) ذكر الرحالة العربي ابن سعيد ان الحبشة كانت تنقسم قديما الى اثني عشر مملكة وهي مفازة واخشرم وامحره وشوا وداموت ولامنان والسنهو والزنج وعدل الامراء وحماسا وباريا والطراز الاسلامي يحكمها ملوك تحت طاعة الحطي لقب النجاشي قديما ومعناه السلطان—وكان عدد الاقاليم التابعة لهذه الممالك ١٠٠ لكل منها حاكم يديرها . أما في هذا العصر فقد اختلف المؤرخون في تقسيمها فذكر فيلامونت ٤٠ مملكة ودلاكروا ٢٥ مملكة و١٠ أقاليم وجودنهو ٢٤ مملكة وليد واف ٩ ممالك وخمس أقاليم وسلت ثلاث ممالك وكل هؤلاء المؤرخين من الرحالة الفرنساويين الا الرابع فهو الماني والخامس انكليزي

ميكالا أو ميكاليه وكانت قديماً مدينة عدوه ومدينتها العظمى اكسوم كانت كرسي ملوك الحبشة في القديم . ومن مدنها انطالوا وهي مدينة كبيرة ضخمة كانت عام ١٨٦٨ عاصمة الملك ولم يبق منها الا رسوم تنبيء على سابق مجدها وعظم ضخامتها

وتشتمل على ولايات كثيرة وضياع وقرى ونواح خصبة جداً واعظم ولاياتها ولاية تعرف بولاية اجميه او ارض الياسمين في غاية الخصب كثيرة الازهار قاعدتها أدجرات . وولايات ادر . وانجانا . وانتالين . ودارامدر (١) وارزيه . واشنجي وباجيليه . وبحرنجوس وتلك من أوسع الولايات وأخصبها قاعدتها دكسان وقد دخل قسم عظيم منها في دائرة النفوذ الايطالي . فولايات بوريه الشمالية وبوريه الجنوبيه . والشنشو . والديرايت . والدوباني . واندرتا وهي ولاية شهيرة بمراعيها النضرة وبسالة رجالها قاعدتها مكالا حاضرة المملكة وفيها مدينة تشيليكوت ومدينة انطالوا المتقدم ذكرها وكلتاهما شهيرتان . فولايات الجيرالتا وعاصمتها اوزان . وحماسين وهي الآن تحت حماية ايطاليا وعاصمتها دباروا . وحرامات المشهورة بجودة تربتها وكثرة فواكهها حاضرتها تشلكوت وهي مدينة قديمة . ولستا وعاصمتها سكوتو ومدينتها العظمى لاليبالا اختطت في القرن الثاني عشر . ثم ولايات منغاشيا أو ارض البحر وقد دخل قسم عظيم منها تحت حماية الايطاليين . واوليوليه كوساني تحت حماية ايطاليا ايضاً وعاصمتها جنتا مدينة قديمة . والساجاد . والسلام . وسروه وعاصمتها جودوفيلاسي من أمهات المدن اختطت منذ قرون واشتهرت بالموقعة الحربية التي انتصرت فيها الجيوش الحبشية على الجيوش المصرية في عهد اسماعيل . والسيول . وشيريه وعاصمتها سيرة . وسلوا وعاصمتها ساميه . وسورات وطمين وعاصمتها ادي ابي . والزولو . والشنكلا اوالشنكالا . والتغرة وهي اكبر الولايات وأوسعها خصباً عاصمتها عدوه وقد فصلت منها عدة قرى

(١) من غريب ما يذكر ان لكل مدينة او ولاية من مدن وولايات هذه البلاد عدة أسماء مختلفة تختلف في النطق وان لم تختلف في المعنى ونظن ان هذا الاختلاف منأت من تعدد اللغات واللهجات وتسمية كل فريق الولاية أو المدينة حسب لهجته ونطقه . ونوجه نظر القارئ لى ان لفظة أو ولفظة دار معناهما البلد عند الاحباش .

وضياع جعلت ولاية سميت ولايةما كونين اكراماً للرأس المسمى بهذا الاسم .

﴿امحره﴾ — أمحره أو الارض الحمراء أو أرض المسيحيين سميت بهذا الاسم لتفاني أهلها في محاربة المسلمين حروباً هائلة انستنا الحروب الصليبية وهي مملكة متسعة جيدة التربة أجمل ممالك الحبشة بعد شوا العيش فيها رغيد والهواء صحيح والماء زلال . تشتمل على أقاليم كثيرة وبها تقدير ٤٠٠ ضيعة أو ما يزيد . وهي منخفضة عن بقية الممالك ومعدل ارتفاعها ٦٠٠٠ قدم عن سطح البحر . استقلت من عام ١٨٣٨ الى عام ١٨٥١ ومن عام ١٨٦٨ الى عام ١٨٧٢ . عاصمتها جندار أو غندر لبثت كرسي ملوك الحبشة عدة قرون حتى القرن الثامن عشر

واعظم ولاياتها ولايات انجاليه . والافا . وامحره . وانجوت . وارماتيهو . واتيفر . وبجمادور أو أرض الخراف ولاية واسعة اشتهرت بمراعيها وكثرة مواشيها وقد كانت قديماً مملكة مستقلة يحكمها ملك عظيم السلطان عاصمتها دبراطا كور مدينة قديمة اتخذها بعض الملوك مقراً لهم كما اتخذها الامبراطور تاوضروس عرشاً لسلطانه . ومدينتها العظمى افراش من العواصم المشهورة قديماً ومن مدنها امبادارا مدينة قديمة بها دير جميل منحوت في الصخور وتحيطه الاشجار والحدائق الغناء . وولاية جندار أو دنبعه عاشت عدة قرون مملكة زاهرة يقيم في عاصمتها المسماة بهذا الاسم الامبراطرة العظام . وولايات ودبا . وامباسيون وعاصمتها جوبا بلدة عتيقة . وفاكويرا . وشميوس . وكورا . والاواه . والكايت . واولدوبا . واجارا وعاصمتها دواريك مدينة تجارية شهيرة . ورأس الفيل . وثاجا وعاصمتها ثلجا . وسامين وعاصمتها انتشيكاب .

﴿قوجام﴾ — قوجام أو ارض الاكواخ والاطناب لها خواص عجيبه في طيب هوائها ولطف سهولها وجمال جبالها وكثرة انهارها وآبارها التي لاتحصى ولاتعد . اهلها ذو ورع وتقى ولذا فالغالب على سيمائهم الفرح والسرور . عاصمتها قوجام منكورر بنيت على خراب مدينة انجابيه الشهيرة بآثارها وتاريخها ومدينتها العظمى باسو وكانت قديماً عاصمة لها والآن خراب وطلل وأشهر مدنها مينا وعدد سكانها ٢٥٠٠ نفس

وديما وعدد سكانها ٣٠٠٠ نفس

وهذه المملكة صغيرة لا تشتمل الا على سبع ولايات وهي ولاية مايتشا او مايونشا عاصمتها مدينة دندي وكانت قديماً مدينة موتا وتلك الولاية اشبه بمملكة مستقلة استقلالاً داخلياً يحكمها ملك متوج يدفع الخراج في كل عام الى مولاه الامبراطور. وولاية اجامدور او ارض السرور كثيرة البساتين طيبة الهواء عاصمتها بندجاجا مدينة عتيقة . وتشكوت . وداموت وعاصمتها ابابا وكانت قديماً مدينة جاديرو وهي ولايتان احداهما في جنوب الاخرى وتعرف الاولى بولاية داموت داري والثانية بداموت اداري وقد كانت هذه الولاية الكبرى مملكة وراثية مستقلة تحكمها ملكة ذكر عنها السائح البرتغالي الاب جان دي سنت في كتابه ان نسوتها كن صاحبات السلطة على الامة وكانت عوائدهن وعقائدهن أشبه بعوائد وعقائد الامازون (١) ولهذا تولت امرأة منهن على عرش الملك وادعت انها من نسل سليمان الحكيم . ثم ولايتا الاجا امدر والدمات وقد كانتا مملكتان عظيمتين مستقلتين الاستقلال التام .

﴿شوا﴾ — مملكة واسعة مساحتها ٢٠٠ الف ميل مربع وسكانها نحو مليونين من النفوس وهي مملكة جيدة التربة تفيض لبناً وعسلاً فليس اجود تربة منها ولا اعذب ماء ولا انقى هواء الذي قال عنه الرحالة هاريكور الافرنسي يعيد الشيخ الى صباه ولا ألذ ثمارا لانها كما قال ليبفر الرحالة الباريسي أطيب رائحة واحسن طعماً من ثمار افريقيا . فشوا في طبيعتها احسن بلاد الحبشة واجملها

عاشت هذه المملكة منذ اربعة قرون تارة تابعة وطوراً متبوعة وأخرى مستقلة حاضرتها اديس ابابا قاعدة الامبراطورية الحبشية الآن وكانت عواصمها قديماً

(١) الامازون لفظة تطلق على النسوة الفارسات المترجلات وأطلقت في الاصل على شعب كبير كان يقطن في مملكة كبادوسيا القديمة باسيا وكانت نسوته باسلات تولين الملك عدة قرون واشتهرت من بينهن ملكات كثيرة كانتيلوبا وغيرها . ويطلق هذا الاسم أيضاً على فريق كبير من شعوب امريكا الجنوبية الاصلية والشعوب الاهلية القاطنة على شاطىء نهر الامازون بامريكا الشمالية

تاجوليت او تيجوليه كثيرة الأثمار والاديرة ثم انطولوا مدينة تجارية عدد سكانها ١٦ الف نفس ثم انكوبر أسست عام ١٧٠٧ وسط واد بهيج وتلال خضراء وعلى مقربة منها غابة واسعة بها اشجار يانعة وطيور جميلة ثم مدينة انكولالا اسسها الملك سلاسي حاكم هذه المملكه عام ١٨٦٨ وعدد سكانها الآن ١١ الف نفس ولا تزال حافظة لرونقها ثم ليتشا واوريلو أسستا عام ١٨٨٢ واعظم مدنها اليوامبا مدينة شهيرة واقعة في مملكة اوفات بها اسواق عامرة يباع فيها القطن والبن وكل محصولات ومتاجر افريقيا الشرقية .

وتشتمل هذه المملكة على ثلاث ولايات : اوفات وكانت قديماً مملكة واسعة مستقلة طولها ١٥ يوماً في عرض عشرين كلها عامرة بالقرى والمدن التجارية وغالب اهلها من المسلمين بين شافعية وحنفية . ثم ولايتا شوا الشمالية وشوا الجنوبية وفي عام ١٨٨٧ اضيفت عليها ولاية الاوغدن وولاية هرر وعدد سكانها ٠٠٠٠ ١٥ نفس وعاصمتها هرر . وقد استقلت هذه الولاية في القرن السادس عشر ثم اخضعها العداليون سكان ولاية عدال ثم احتلتها الجنود المصرية عام ١٨٧٨ واخلتها عام ١٨٨٣ بمساعي الانكليز وتداخلهم لكن مليكها عبدلائي تفرد بالملك فحاربه الامبراطور منليك عام ١٨٨٦ وأسره ثم ايد استقلالها وحيادها البند الرابع من الاتفاقية الافرنسية الانكليزية المبرمة في ٨ فبراير عام ١٨٨٨ . وقد تفشت الكوليرا في هذه الولاية عام ١٨٩٠ فافنت نحو ثلث سكانها

﴿الولايات المستقلة﴾ — اربع ولايات استقلت الاستقلال الداخلي يدير شؤونها ملوك يدعون النسب الى سليمان بن داود ويدفعون جعلا سنويا الى الامبراطورية الحبشية وهذه الولايات هي اوالاجي ولاية قديمة عرف اهلها بالهمة وسعة العقل و بالشجاعة والاقدام فولاية تعرف بولاية حي واكثر اهلها من المزارعين و بعضهم همج و بدو فولاية اواروكاسو وهي كثيرة الاحراش والاحراج ولاهلها عادات وأخلاق سافلة فولاية اواروا امامات وكانت قديماً مملكة مستقلة اشتهر اهلها بحب الوطن وعدم الاباء والرضوخ للامبراطورية ولو انهم من الاحباش .

ثم ولايتا الغالا والكافا الواقعتان في نهاية البلاد من جهة الجنوب و يفصلهما عن بعضهما نهر هواش و بحيرة مرغريت وفروعها وعن بقية الممالك النيل الازرق بنهيراته وسيأتي الكلام عليهما مفصلا تفصيلا .

﴿شواطئها﴾ ـ تحتل شواطئها ايطاليا وفرنسا وانكلترا . الاولى مصوع وجزائر دهلك التي يستخرج منها الصدف واللؤلؤ والظفر وفيها اثار قديمة من عهد الفرس واقليم سمهره الكثير الوديان والخيران وكل سكانه من القبائل السود الذين يدعون النسبة الى الاسد وانهم من اولاد هذا الوحش الكاسر . والثانية الشاطئ الافريقي الممتد من بوغاز باب المندب الى خليج تاجوره بما فيه ثغري جيبوتي واوبوك وأغلب أهله من المسلمين والثالثة ساحل عادل وثغري زيلع وبربر

عاصمتها ـ استدللنا من تاريخها ان عرشها لم يستقر على حال فتغير وتنقل من مدينة الى مدينة ومن بلد الى اخرى حسب مشيئة سلطانها تارة وتارة حسب مشيئة الشعب حيث كانت كل حركة يتبعها حتما نقل الملك من ارض الى ارض حتى صارت جل المدن عواصم خربت اكثرها الان و يتخيل من شاهدها انها مدن خيالية من مدن الهة اليونان لا مدن حقيقية كانت عواصم امبراطورية واسعة من ممالك القارة السوداء . أما عواصمها منذ القدم الى هذا العهد وهذا الاوان . فقد كانت اكسوم ثم نوش ثم اركا ثم لاليبالا ثم تيجوليه ثم فاسيلاداس ثم سكولوتا ثم بار ثم جندار ثم فاسيلاداس ثم دبراطاكور ثم عدوه ثم انطالوا ثم انطوطوا ثم اديس ابابا العاصمة الحالية اختطتها الامبراطورة طايطو عام ١٨٩٢ ويشاع ان جلالة الامبراطور منليك عزم على تأسيس مدينة اخرى يجعلها عاصمة لملكه وقد قال الرحالة الافرنسي فينيبراس في كتابه ارسالية افرنسيه في الحبشة « يقولون ان الامبراطور يغير عاصمة ملكه اذا لم يبق خشب في مقر عرشه » لان الخشب من المهمات اللازمة للاحباش في معيشتهم وحيويتهم ومنه تبنى بيوتهم ومساكنهم

٣

﴿ انهارها ﴾

انهارها عديدة ونهيراتها كثيرة متنوعة تخترقها من الشمال الى الجنوب ومن الشرق الى الغرب نذكر من بينها هذه الانهار الشهيرة

اولا نهر التكازيه ـ يخرج من ولاية لستافيروي اراضيها واراضي التغرة ثم يجري في طريقه حتى جبال ابا ثم يتقوص نحو اليسار حتى يلتقي بنهر عطبره عند السوباط . وهذا النهر سريع المجر يسقط من جنادل مرتفعة باضطراب عظيم وخرير شديد ولذا سمي النهر الهائل أو النيل الاسود ويتفرع منه نهيرات كثيرة اعظمها نهر يعرف باسم تزيلاري وآخر باسم البلاباسومينا وثالث باسم الاووسي ورابع باسم ياسلام وخامس باسم المارب وهذا الاخير من النهيرات الكبيرة الشهيرة يخرج من مقاطعة حماسين ثم يجري جنوبا وغربا ثم يدور حول مقاطعة سروا ثم يتجه نحو الشمال الغربي لمقاطعة تكازيه وتصل مياهه في فصل الامطار الى النيل وفي باقي الايام تغور في الرمال

ثانيا نهر اباي — يخرج من جبل جويس في ارض الغالا مخترقا جبال مجو يرثم يسير منها متجها الى الجهة الشمالية على شكل دائرة ثم يرتد الى الجنوب حتى يتحد بالنيل الازرق وحتى يروي مملكة امحره .

ثالثا نهر تشياتشيا ـ يخرج من جبال شوا هابطا من جنادل عاليه ارتفاعها نحو ٢٣٠٠ متر عن سطح البحر ثم يجري نحو الشمال الغربي حتى يصب في النيل الازرق .

رابعا النيل الازرق ـ يخرج من بحيرة دنبعه ويجري منها الى الجنوب حتى يكون على عرض ٩° ٤٠ ثم ينقلب نحو الشمال الى ان يدخل ارض سنار ومنها يتحد بالنيل الابيض عند الخرطوم . ولون هذا النهر اسمر خمري في زمن الفيض وازرق سماوي في زمن التحاريق ولذا سمي النيل الازرق . ويظهر فيضانه في اواخر يونيه

و يبلغ معظمه في اواخر اوغسطس . ويجري في الساعة الواحدة ثلاثة اميال أما في ايام الفيض فيجري ستة أميال . قال السائح الانكليزي بروس (١) انه اسرع انهار افريقيا جرياً لسقوطه عن ارتفاع ٥٨٨٠ قدماً عن سطح البحر وان متوسط اتساعه ٥٥٠ يردا ولا يزيد عن ٧٧٠ يردا ومتوسط ارتفاع ضفتيه من ٣٠ الى ٣٥ قدماً وذكر لينان ان كمية الماء التي تنصب منه في النيل تبلغ ١٥٩ متراً مكعباً في زمن التحاريق و١٦٠٤ امتار مكعبة في ايام الفيض

خامساً نهر عطبره - يخرج من الجبال الشمالية الشرقية ثم يجري في مسيره حتى يلتقي بالنيل عند الدامر و يصب فيه عدة جداول ونهيرات يطول شرحها واكثرها يخرج من جبال وتلال بلاد الغالا

سادساً نهر الدجا ما - يخرج من بحيرة دنبعه مخترقاً مملكة شوا

سابعاً نهر دجولاي - واقع في شمال البلاد و يغور في الرمال قبل وصوله الى البحر الاحمر

ثامناً نهر هواش - واقع في جنوبها و يغور في المستنقعات والصحارى قبل وصوله الى المحيط الهندي . ويمتاز هذا النهر بوجود كبري حديدي عليه بناه المسيو افوريه الافرنسي عام ١٨٩٤ وهو الكبرى الحديدي الوحيد في هذه البلاد

وكل هذه الانهار تصب في النيل مع عدا الاخيرين منها ولا تصلح للملاحة الا في زمن الفيض اما في زمن التحاريق فتصير سلسلة من البرك متصلة بعضها ببعض بماء ضحضاح لا تكاد اصغر المراكب تمر فيها

ويقدرون عدد نهيراتها وانهارها من ٥٠٠٠ الى ٦٠٠٠ عدا العيون والينابيع الحارة التي لا تنقطع مياهها في زمن الصيف و يغتسل فيها الاهلون بقصد الشفاء من بعض الامراض قال المعلم هيرودوت الفيلسوف المؤرخ « في وطن الحبشان عين من خاصيتها ان الذين يغتسلون بها يخرجون مطيبين برائحة عطرية كرائحة البنفسج

(١) اول من اكتشف مصادر هذا النيل الراهبان البرتغاليان « پايز » و « لوبو » سنة ١٦١٨ ثم تمم هذا الاكتشاف الرحالة بروس وأراد التفرد بالشهرة دون المكتشفين الاصليين حيث قد أثبتوا فيما بعد ان الرحالة بروك الانكليزي دحض كل آرائه وأثبت الفضل في اكتشاف هذا النهر للراهبين البرتغاليين .

وجلودهم لامعة كأنهم مرخوا بالزيت وان طول حياتهم على ما يظن مسبب من استمرارهم على عادة الاغتسال به » ويؤكد بعض الاطباء المصريين ان هذه العين من النفط (زيت معدني سريع الالتهاب) وان بالبلاد عيونا كثيرة من هذا القبيل

وبها ايضاً سيول عرمة وخيران تغور في الرمال وتصب في النيل او البحر الاحمر لكنها لا تجف في زمن الصيف منها خور بركة يخرج من ولاية حماسين ويصب في البحر الاحمر عند ترنكنات مارا بطوكر. وخور بايوسي واقع في الجنوب ويخرج من النيل الازرق. وخور القاش يخرج من التكازيه ويصب في العطبره . وابار عديدة واقعة في صحاريها وسهولها الواسعة

﴿ بحيراتها ﴾

بحيراتها كبيرة عذبة الماء نقية الصفاء كثيرة الجزر تحيطها الاشجار والتلال الخضراء وقد يطول الشرح لو ذكرناها واحدة فواحدة ولذا نقتصر على ذكر ووصف هذه البحيرات الكبرى

اولا ـ بحيرة دنبعه او دمبعه او تزانا او زان (١) واقعة في مملكة الامحرة طولها ٥ ميلا في عرض ٢٥ وعمقها في بعض الاماكن ٦٠٠ قدم وارتفاعها ٦١١٠ اقدام عن سطح البحر يعيش في مياهها السمن وفي وسطها جزيرة «ديك» المقدسة التي يهب منها الطف الهواء ويجري حواليها عذب الماء وتندفع على شواطئها امواج البحيرة المتلاطمة المتتابعة فتصطدم وتتكسر ويسمع منها صوت نغم لذيذ كأنه حملان الغنم جاءت مسرعة . هذه هي الجزيرة التي يقصدها الاحباش للتبرك منها لانها عهد

(١) ارسلت الحكومة المصرية ارسالية الى الحبشة لدرس مجرى هذه البحيرة وفحصها لاقامة خزان فوقها للانتفاع بمياهها وقت الشرق . وقد قدرت نفقات هذا الخزان بثلاثة ملايين ونصف مليون من الجنيهات فاذا تم هذا المشروع استفادت منه كل البلاد الواقعة بين خط الاستواء وبحر الروم (راجع تفصيل ذلك بتقرير السير جارستن مستشار الاشغال عام ١٩٠٤) . وقد اتفقت حكومتا الحبشة والسودان على ان لاتبني الاولى بناء على النيل الازرق والبحيرة المذكورة ونهر سبت يكون من شانه منع جري الماء الى النيل الا باتفاقهما

القديسين وقبلة الاولياء والمستشهدين وقد تبصرنا العين لاول وهلة فتخالها من جنات الله في ارضه ولم أجد أقرب الى اشبه منها الا الارض دبجته الطبيعة باجمل الوانها اما البحيرة فموقعها جميل ومنظرها ابهى وابهر تتمثل للعيون في ابهج الصور وتصب في النيل الازرق فتروي الارض وتسقي البشر وتعلي النيل في ازمنة التحاريق فتكفي الفلاح شر الشرق . واعظم المدن الواقعة على شواطئها والقريبة منها انبا مريم وبدجوبى . وايفاج . ومحضرة مريم . وفريمنا سميت بهذا الاسم تذكاراً للقديس فريمنتيوس وكل هذه المدن جميلة يشتغل اهلها بالصيد ويعيشون على الاسماك والنباتات كالطيور المائية

ثانياً ـ بحيرة اسنجي الواقعة في مملكة التغرة من جهة الغرب طولها اربعة اميال وعرضها ثلاثة وهي من اشهر بحيرات الحبشة لعذوبة مائها وعدم وجود مصب ظاهر لها وكثرة جزرها اليانعة التي تشبه صفيفات الزمرد على صحيفة من البلور

ثالثاً ـ بحيرة زواي او زوايا او زوائي الواقعة جنوب ولاية انطوطو وتسورها سلسلة من الجبال والتلال والغابات . وهذه البحيرة لها المقام الاول عند الاحباش لانها كانت محط بعض ملوكهم الاولين . تغشاها الجزر العديدة المشهورة باثارها وفي احداها كنيسة بديعة منحوتة في الصخور نحتاً جميلا وبها تاج الملوك من عائلة دلنياد ويعتقد الاهلون الى الان ان هذا التاج نزل من السماء مما ذهب بالعلامة الالماني ليدلوف الى ان هذا الاعتقاد تأتى من ان كنائس الاحباش ممتلئة بصور متنوعة تمثل الملائكة وهم يتوجون الملوك بايديهم

رابعاً – بحيرة ستفاني الواقعة جنوب البلاد قرب السومال اكتشفت حديثاً وتعيش على شواطئها قبائل عديدة في غاية التوحش والهمجية تعبد الاوثان وتقدسها من دون الله . وهذه البحيرة واسعة نقية الماء ولهذا سميت البحيرة البيضاء تعبيراً للاسم الذي يطلقه عليها الاهالي بلغتهم .

خامساً – بحيرة حراميه الواقعة منتصف الطريق ما بين هرر وديردواي ماؤها يجتمع من مياه الامطار ولا مصرف لها وطولها اكثر من خمسة كيلو مترات وعرضها

ثلاثة و يستريح على شواطئها المسافر حيث العشب السندسي الذي غرسته يد الطبيعة فيحسب نفسه جالساً على بساط عجمي ناعم بديع النقش جميل اللون و يرى امامه أسراب الاوز عائمة على مائها فيظن انها جاءت لتحييه فيحييها الصياد الماهر بطلقة واحدة وهو جالس في مكانه فيصيب منها خمسة او ستة .

سادساً – البحيرة المالحة الواقعة في سهل الملح بالقرب من ولاية اجميه محيطها من سبعة الى ثمانية اميال وهي تختلف عن بحيرات الحبشة لان مياهها مالحة و يتبخر منها الملح بقوة الشمس المحرقة فيجمعه الاهالي من على شواطئها اكواماً واكداساً و يعيشون من خيراته.

سابعاً ـ بحيرة مرغريت الواقعة بين ارض الغالا وارض الكافا اكتشفت حديثاً وتتفرع منها عدة نهيرات تتصل ببحيرة رودلف من جهة الجنوب . و يزعم البعض الى انها تكونت من البحيرة المذكورة بواسطة هذه النهيرات .

ثامناً ـ بحيرة تشرشر الواقعة في شوا طولها خمسة كيلو مترات وعرضها كيلو متر ونصف تحيطها الاعشاب والغابات وتعيش فيها التماسيح وانواع من الطيور المائية .

تاسعاً ـ بحيرتا هائك وابالا وكلتاهما صغيرتان واقعتان في جنوب البلاد.

٥

« هيئتها الطبيعية ومعادنها »

الحبشة أشبه بكمثرى من حيث صورتها و بمثلث من حيث شكلها الجغرافي اما هيئتها الطبيعية فشبيهة بغيرها من البقاع الجبلية وان كانت جميلة باسمة تضحك لشمسها المنيرة ولأنهارها الجارية ولهضابها العالية المرتفعة دون انتظام المؤلفة لسلاسل من الجبال ذات الرؤوس المسطحة والقمم الهرمية الممتدة شمالاً وجنوباً تقريباً الاخذة في الانحناء من أعلى سلسلة الى ضفاف البحر الاحمر من احد الجانبين والى داخلية البلاد من الجانب الآخر و يبلغ معدل ارتفاعها مابين الثمانية آلاف قدم والخمسة عشر

الف قدم عن سطح البحر واعلا اقاليمها ارتفاعاً اقليم حرامات الخصب البالغ ارتفاعه ٨٠٠٠ قدم فهضبتا دوابلا ودالتا الواقمتان بالقرب من مدينة مجدلا وارتفاعهما ٩٢٠ قدم فصخر مجدلا وارتفاعه ٩٠٥٠ قدماً وطول سهل قمته ميلان ونصف في عرض نصف ميل فهضبات التغرة وارتفاعها ٩٠٠٠ قدم

﴿جبالها﴾ ـ أعلا جبالها ارتفاعاً واقعة في ولاية سمبين اوجمين وهي جبل اباجرات البالغ ارتفاعه ١٥٠٨٨ قدماً و يغطى الثلج قمته في غالب الايام وجبل بواهات البالغ ارتفاعه ١٤٣٦ قدماً والى شرق هذين تلال هارات وسلسلة جبال تلباواها وارتفاعها ١١٠٠٠ قدم ثم جبل ارابتيركي وارتفاعه ٨٥٦٠ قدماً وكلاهما بمملكة التغرة ثم سلسلة جبال موجوير واقعة شمالي الغالا وارتفاعها نحو ٦٠٠٠ قدم وجبل الياكا وجبل ميمرا وكلاهما بولاية حرامات

وقد اتخذت الحكومة هذه الجبال حصوناً لها لحسن موقعها الطبيعي وجعلتها قاعدة لاعمالها الحربية وشيدت فوق قممها الثكنات العديدة التي تموج بالجند وضباطهم وقوادهم أيام السلام . و ينسب الفضل في وقاية البلاد من الاخطار وغارات الشعوب الى هذه الصخور التي بنت لها بيت مجد وشيدت لها قصر فخار بل هي التي جعلت الحبشة الامة الوحيدة المستقلة في القارة السوداء وجعلت الاهلين رعاة يميلون الى البداوة ويحبون الوهاد و يعيشون في وطنهم عيشة القبائل الرحل وسكان النجاد

﴿براكينها﴾ ـ وفي هذه البلاد تنعدم البراكين الحقيقية لان هذه على ما يؤكد علماء الجيولوجيا قد اندكت من الزلازل التي زلزلت الارض زلزالها فقلبتها ظهراً لبطن وهدمت الاوتاد ونسفت القمم العالية واطاحت التلال والصخور الناتئة ووسدت كثيراً من أهاليها التراب ولم يبق من هذه الفوهات النارية الا صخوراً جرداء طفلية كأنها عظام الارض عريت عن اللحم . انما تكثر المقذوفات النارية من هذه الصخور التي تذيبها مواد الملاحات الحامية المحيطة بها و يبلغ معدل ارتفاع حرارتها بين ٤٢ و٤٣ سنتغراد ومن المياه الكبريتية في وديان اونزجا وجورمبا بمملكة امحرة وفي الاراضي الممتدة حول بحيرة دنبعه وفي ولاية حماسين وشمالي التغرة

اراضيها ـ تتركب اراضيها من احجار الغرانيت او الرخام السماقي ومن الصوان ومن البلاط الاسود المتبلور الذي يدخله اوكسيد المانيزيوم (معدن في الكيمياء) ويندر فيها وجود الاحجار الكلسية وتكثر بها الاسبخة المشهورة بجودتها خصوصاً في مملكة الامحرة

صحاريها ـ داخليتها خالية من الصحارى الواسعة وان لم تخل من سهول شاسعة اما صحاريها فواقعة في جهتها الغربية على ضفاف البحر الاحمر بين هرر وجيبوتي وتاجوره وزيلع واشهر هذه الصحارى صحراء العيساس وصحراء الدناكل وصحراء السومال وصحراء فنتالي على مقربة من مدينة انكوبر وكلها رملية جدباء قاحلة قفراء لا نبت فيها ولا شجر الا ما ندر واكثرها مفازات طويلة لا ماء فيها الا ابار تشرب منها القوافل في مسيرها . وليس بها واحات الا القليل ولذلك فهي مرابض الاساد ومأوى الاراقم

غاباتها ـ غاباتها كثيرة تعد بالمئات وفيها من الاشجار ما لا يمكننا وصفه ولا عده ومن الطيور ما لا نستطيع ذكره ولا حصره وكثيراً ما تصاب هذه الغابات بالصواعق التي تستوعب نيرانها لاشجار بتمامها في آن واحد ثم يشتد الريح فتزداد وهجاً وتأخذ في تكميل ما كانت خامدة عنه حتى يشبه صوتها وقرقعتها صوت وقرقعة الجيشين عند التحام الصفوف

معادنها ـ اشهر معادنها « الذهب » وهو كثير الوجود منتشر في كل سهل وكل ضيعة حتى استعمله الاحباش قديماً في صنع السلاسل والاوعية المنزلية قال المعلم هيرودوت الفيلسوف المؤرخ « لما وصل جواسيس الملك قمبيز الى الحبشة ليختبروها قبل الزحف عليها سار بهم مليكها الى السجن فكان كل المسجونين مقيدون بقيود ذهبية ذلك لان النحاس عند الحبشة كغيره من المعادن النادرة ولذا كان أثمن من غيره »

ويكثر وجود الذهب في الاراضي تارة على حالته الطبيعية واخرى على شكل صحائف مطمورة في الرمال ذهبت ببعض الباحثين الى انها تأتت من فصل الاحباش للصخور الذهبية وغسلها وتحليها بالزئبق ثم دفنت في جوف الارض مع ما دفن من اثارهم . ويقال ان ذهب داموت افخر الذهب واحسنه

«والحديد» ويستخرجونه من حفر عمق الواحدة منها ١٥ قدماً ثم يلقونه في اتون من النار فيسيل ثم يعملون هذا السائل قضباناً يصنعون منها الالات اللازمة للحدادة والنجارة والصناعة والزراعة

«والتبر» ويكثر وجوده في ولايتي داموت وقوجام . الا انه قليل بالنسبة للذهب وكذلك الزئبق والنحاس

«والفحم الحجري» كثير الوجود في جميع الجهات وكذلك الكبريت وملح البارود او ملح قاق والملح والفضة ومنها تضرب الحكومة نقودها ويستعملها الاهالي في صنع الحلي والمصوغات . اما الرصاص والمعدن فمعدومان

وفيما سوى ذلك فلا تحمل في جوف اراضيها اثار حيوانات متحجرة ولا ما يتعلق بشيء من علم البتولوجية علم خصيص بمعرفة احوال الحيوانات المطمورة في جوف الارض

وقد دفع وجود هذه المعادن الى تكاثر الشركات الاجنبية لاستخراجها تكاثرا اضطر الحكومة الى رفض الطلبات العديدة المقدمة اليها وليس بين هذه الشركات الا شركة واحدة وطنية يديرها مدير جمارك الحبشة . ولا يبعد ان تظهر في هذه البلاد معادن لم تعرف الى الآن حيث ان اراضيها لم تكتشف بعد الاكتشاف المطلوب

٦

﴿ حاصلاتها الزراعية ﴾

جادت الارض والسماء على ارض الحبشة باعظم اسباب الرغد والنماء وخصتها الطبيعة من جمالها بابدع محاسنها الخضراء والغضراء وكستها بحلة البهاء والرواء حتى كانها قطعة من الجنات او معرضاً للاشجار و بستانا للازهار فمن حيث تنساب الانهار من بين وديانها الظليلة انسياب الافعوان الى حيث تجرى الجداول من اقصاها الى ادناها الى حيث تزينها الغابات الكثيفة الباسقة الاشجار كأنها رواق من الظلمة غشت انحاء الفضاء ومن حيث تكتنفها الجبال وقد فرشتها الخضرة وخصتها بالنبات الناعم الى حيث ترعى البهم في السهول والوديان . هناك حزون واحراش هناك مزارع نضرة

وزروع يانعة باثمارها وازهارها هناك حدائق جميلة على اكمام تكتنفها ضروب الاغصان كأنها الزمرد والمرجان

تلك هي الحبشة وتلك هي البلاد التي لو أمها انسان ووقف على محاسنها لكان تأثير منظرها في نفسه تأثير منظر الجنات في نفس من يتصور رونقها وجمالها وما فيها من حسن وجلال . وأهم مغروسات غاباتها الواسعة الممتدة من الشمال الى الجنوب شجر «الخوصو» يروون ان فيه خاصية تقتل الديدان المعوية . ومن أشجارها «الاكاسيا» شجر مشهور بطيب رائحته وزكي عرفه «واليتوع» او لبن السودا «والابنوس» ويصنعون من خشبه العصي والكراسي والموائد والوسائد والسبح ويستخرجون منه القطران . وشجر «الصندل» وهو مشهور بمتانة خشبه وصلابته ومنه تصنع المراكب وآلات السواقي . «والصفصاف» ينبت على ضفاف النيل الازرق ويصنعون من اغصانه السلال وأشجار «السرو» «والعرعر» «والشربين» تنبت في جوانب الينابيع والاماكن الرطبة «والطرفاء» يكثر وجوده على النيل الازرق وخشبه جيد جداً ومتين شديد ولذا يصنعون منه القوارب «والدوم» وهو معروف ويسقفون بيوتهم من جذره ويعملون من خوصه حصراً وأنية «والقنا» قصب مصمت الساق يصنعون منه عصي الحراب والدرق ومغازل القطن وهو نوعان صامت ومجوف . «والكالول» أي الفرموز الشبيه باغصان النجفة العظيمة ويرتفع جذعه الى اكثر من ١٢ متراً ويتخذ من خشبه البارود . «والباو باب» وهو أضخم اشجار العالم ويرتفع جذعه المجوف الذي يمتلئ بالماء ارتفاعاً هائلاً . «والكودل» . «والشوار» . «وجباره» الشبيه بالنخل ويوجد بسفوح الجبال على ارتفاع ٢٣٠٠ متر وله خصل على هيئة سيف تعلوه زهرية يبلغ ارتفاعها من ثلاثة الى خمسة أمتار لكن من الغريب ان الشجرة من هذا النوع عندما تزهر تذبل وتموت «والسنا» ويستعملون من ورقه مسهلا «والصباغ» وهو مستقيم الساق مخروطي الشكل تستف منه المنازل ويتبخر من خشبه الاهالي . «والجميز» يأكلون ثمره ويصنعون من خشبه القوارب «والخروع» ويستخرجون منه زيتاً يدهنون منه أجسادهم . «والتمرهندي» ويستعمل منه مشروب ملطف للحميات والامراض الالتهابية «والصمغ» . «والشولا» وهو تين وحشي

يشبه في ضخامته وطوله شجر الجميز. «والحمر» وهو شجر عظيم الحجم يصنع من اليافه الحبال المتينة وشجر « العقول » له جذع كجذع الشجر وزهر كرأس الانسان وشجر «الخلنج» اكبر من العقول ويرتفع الى ثمانية أمتار أو يزيد. وشجر «الغار» «والجيت» وهو شجر لا ثمر له تؤكل أوراقه الشبيهة بقلوب اوراق النارنج لفائدته ويكثر وجوده في مملكة اوفات . قال المقريزي « ان منافع هذا الشجر عديدة فهي تزيد الذكاء وتذكر المنسيات وتفرح وتقلل شهوة الاكل والجماع وكان لعلماء العرب ولع بأكل أوراقه »

وبها أشجار أخرى لا تعرف بمصر ولا الشام ولا العراق قال ابن سعيد « وفي الحبشة اشجار برية كثيرة منها ما تظلل الواحدة ٢٠٠ رجل » وقال سلت الرحالة الانكليزي « وفي الحبشة اشجار لا تحصى ولا تعد يطول ذكرها ووصفها كما تحتاج الى شرح كثير »

وأهم مزروعاتها «الشعير» وله ٢٦ نوعاً منه الشيلم . «والدخن» وهو أصغر حباً من الاذره وله ٢٨ نوعاً منه نوع يسمى الطف يشبه بذر التين ويشتهر خبزه عند الاحباش باسم «نجيره» . «والاذره» وهي أنواع كثيرة منها الدجوسا وقد كان يتخذ منها خبز قدماء ملوك هذه البلاد . «والقطن» وهو يجود فيها بمحصول حسن . «والزنجبيل» . «والكتان» «والسمسم» ويستخرجون منه الزيت . «والليمون» وتكثر شجيراته في الاراضي المنخفضة وفوق سفوح الجبال . «والكباد» . « والبن» وتكثر مزارعه في مملكة قوجام وحول جندار وفي الشواطيء الجنوبية لبحيرة دنبعه وفي ولاية الكافا وهرر وفي اقليم تشرشر على بعد يومين من هرر وهو يضاهي البن اليمني طعماً وشكلا ورائحة . « والارز » وهو كثير الوجود

ويزرعون من انواع القطاني الفول العادي . والفول السوداني . والحمص . والعدس . واللوبيا . والترمس .

ويزرعون من انواع الخضروات الثوم . والكراث . واليقطين وهو سريع النمو والفجل . والقرنبيط . والبصل . والحلبة . والبطاطس . والبطاطه . والفليفلة الحمراء . عدا

٢٣٥ نوعاً من النباتات الاخرى .

و يزرعون من انواع الفاكهة قصب السكر وهو أضخم و اكبر من قصب مصر وتكثر مزارعه في مملكة شوا . والبردقان والتوت . والتين . والقشطة . والموز و ينبت في المرتفعات على علو ٦٠٠٠ قدم فوق سطح البحر . والبلح . والكرم وقد كان الاحباش يعتقدون الى زمن الملك يوحنا الاسبق ان الكرم من الثمار التي نهى عنها الرب آدم وحواء من الاكل منها حتى اشار عليهم أحد اليونانيين بزرعه واكله لفساد هذا المعتقد فزرعوه واقبلوا على غرس شجيراته في اراضيهم الواسعة فنمت وغصت تلك الاراضي بعروشه ودواليه

و يزرعون من انواع الازهار « الياسمين » « والريحان » و يكثر بها على نوع خاص . «والمستحية» . والورود على انواعها منها نوع يشبه شقائق النعمان الا انه احسن شكلا وازكى رائحة

اما « الدخان » فممتنع زرعه منعاً باتاً وكذلك ممتنع دخوله او قل ان جل الاحباش لا يعرفونه ولا يشربونه بل يعتبرونه من الموبقات والمحرمات . وقد روى لنا راوية من الثقات ان حبشياً جاء الى مصر ثم عاد الى بلاده واذاع بين الاهلين ان غبطة بطريرك الاقباط يستعمل الدخان فبلغت هذه الرواية مسامع الملك فامر باحضاره وقطع لسانه جزاء له على اذاعة هذا الخبر . غير ان اهالي السواحل يزرعونه خفية و يدخنونه في غلايين الا انهم قلائل

هذه أهم محصولات الحبشة الزراعية وهذه جل انواع شجيراتها وهي قليلة بالنسبة لمساحتها الواسعة و يدلنا على هذه القلة ان الاراضي المزروعة هي عشر مساحتها فقط أما تسعة اعشارها فباقية بلا زرع ولا غرس وليس من علة لهذا الترك سوى صعوبة نقل الحاصلات وعدم وجود الوسائل الكافية والوسائط التامة لتصريفها في غير الاماكن التي تزرع فيها ولذلك تجد الاراضي القليلة التي تزرع في كل جهة من جهاتها الواسعة تجود بالمحصولات الوافرة الكافية لسد حاجيات هذا الشعب القديم الذي لو وجد طريقة تسهل عليه تصدير الحاصلات لملأ ارضه مزارعاً وغرسها

بكل انواع النبات الغض لانه فلاح ماهر وقوي نشيط انما مع كل هذا النقصان ترى بلاده من جبالها الى هضابها الى سهولها كلها خضراء زهراء لكثرة اشجارها الطبيعية واعشابها السندسية

وكذلك فيها اراضي لا تزال صالحة للزراعة يمكن استغلالها لكن يلزم لذلك نفقة كبيرة مثل قطع الحراج والغياض وازالة الاشواك وغيرها . وفيها ايضاً اراضي فسيحة واسعة الاكناف لم تستنفد كثرة توالي الزراعات دسمها لم هي باقية في أتم قوتها

الآتها الزراعية — تقتصر الآتها الزراعية على المأس والمحراث ومنجل الحصاد والطورية لقلب الارض والخشاشة الشبيهة بالمأس والسواقي والشواديف أو قل هي نفس الالات والادوات التي كان يستعملها قدماء المصريين وتستعملها ذريتهم الباقية منهم الى الان على هذا الحال . وقد جاء في كتاب المسيو ولدمير تيوفيل الرحالة الالماني «ان تربة الحبشة جيدة تعضدها الامطار وفيضان الانهار فلا يحتاج الفلاح الى الات لزرعها بل يكفيه ان يرمي البذرة وينتظر موسم الحصاد لنتاج خيراتها»

ويزرع الحبشي ارضه في شهري مارث ومايو ويحصدها في شهر نوفمبر ثم يرحل في فصل الامطار الى الشواطىء لبيع محصولاته الى التجار من بني العرب ومن أولاد بوذا

ومما يظهر جلياً حسن المستقبل الزراعي لهذه البلاد ان جلالة الامبراطور منليك وجه عنايته منذ توليه الاحكام الى جمع انواع النباتات من كل بقعة في اطراف الارض لغرسها في بلاده حيث رأى ان تربتها في غاية الجودة والنمو قابلة لانبات جميع انواع النباتات والاشجار الغذائية والصناعية النابتة في البلاد المماثلة لها في سائر الاقطار

٧

(حيواناتها)

حيواناتها كثيرة مختلفة الانواع والاسماء يألف كل فريق منها بقعة ويميل كل طير منها الى ضيعه وتعيش وحوشها بين الاجام وبين السهول . ولكل منها خاصية في حياتها بل خصيات وتمتاز حيواناتها الثديية بجسارتها على بني الانسان اكثر من

اخواتها في سائر البقاع . وتنقسم حيواناتها الى اربعة اقسام شيء يمشي وشيء يطير وشيء يعوم وشيء يذساخ في الارض . فمن وحوشها البرية وحيد القرن أو الكركدن ولا يوجد منه الا نوع واحد كما لا يطيب له عيش الا في الاماكن المرتفعة نحو ٥٠٠٠ قدم عن سطح البحر ويصنعون من قرنه أوعية وأنصبة للمدي والفيلة وتعيش في الاجام المنخفضة بمملكتي امحره وشوا على نوع خاص وليس لها خراطيم الا انها ابدة ونشيطة ويصنعون من سنها الساور ومكاحل وكراسي ومقابض ومن جلدها الدرق والمجان . وثلاثة انواع من عائلة الهر . وقط المسك الجميل الرائحة وهو من ذوات الاربع ومن اكلة اللحم له فوق دبره جيب صغير تجتمع فيه مادة غليظة ذات رائحة قوية تستعمل في التعطير وهي المشهورة بالزبد وأجوده ما يؤخذ من ذكوره . قال احد المؤرخين ويقتنيه الاهالي قطعاناً كل قطيع مؤلف من مائة الى ٣٠٠ قط ثم يضعون كل واحد منها في قفص مستطيل لا يمكنه الدوران فيه ثم يدفئون زرائبه فئة صناعية بحرارة ثابتة لتعجيل افراز زبده الذي يبلغ مقدار ما يتحصل منه كل اربعة ايام من ٨٠ الى ١٠٠ جرام . وبها الاسد الحبشي وهم يصطادونه صغيرا لتربيته والضبع الرقطاء اشبه بالكلب طولها من الانف الى طرف الذنب نحو اربعة اقدام ونصف وطول ذيلها ١٣ قيراطاً وطول رأسها ١٢ قيراطاً وارتفاعها من عند الكتفين نحو قدمين ونصف قدم ولونها اسهب مكمد الى البياض مبقع بقعاً صغيرة سمراء وهي شرسة جبانة تباغت الناس ليلا وهم نيام في مضاربهم فتجرح وجوههم وارجلهم جراحاً ثخينة وصوتها اشبه بقهقهة الانسان ولذا اطلقوا عليها اسم الضبع الضحاكة . والفهد الضارية ونوعان من ابن اوى وكثير من انواع الغزال تسرح في صحاريها وسهولها اسرابا . والبابون ذو الرأس الكلبي . والوبر أو الابزيتو ذئب مولد على ما يقال من أسد وفهد وهو سريع ومفترس ويسكن في مواطنه المحبوبة بين الصخور وفي كل مرتفع عن سطح البحر بين ٢٠٠٠ و ٣٠٠٠ قدم . والزرافة تعيش في السهول السفلى ويصنعون من جلدها نعالا ودرقاً ومن ذيلها منشات . والزبرا . وحمار الوحش . وانواع كثيرة من القرود تعيش في غابات شوا وكوجام منها نوع ذو شعر ابيض واسود جميل يسمى

« كولوبرس غريزا » وهو لا يبارح غابات الاقاليم المنخفضة و يعتقد الاحباش ان أصله رهبان ممسوخون لملازمته للعزلة واتخاذه السكون طبيعة له وهو اعتقاد باطل مثل جل الاعتقادات التي يعتقدون بها . والجاموس البري يكثر وجوده في مملكه قوجام وارض الغالا و يسمونه الاحباش « جوس » وهو يشبه في خلقته بين الجاموس والخنزير فترى جسمه كجسم الجاموس الا ان رأسه وذيله كرأس الخنزير وذيله أما خفه كخف الجمل و يعيش في الهواء كالتمساح . و بقر الوحش و يصنعون من جلوده الدرق . والثيران الشهيرة بعظم اجسامها وطول قرونها البالغة نحو مترين ونصف متر . وكل هذه الحيوانات كثيرة منتشرة في الوهاد والجبال والمرتفعات والهضاب

أما حيواناتها الاليفة فهي الابل كثيرة في جميع بواديها وكذلك الحمير . والغنم . اما البغال فقليلة لكنها نشيطة قوية واليفة . والماعز . وثلاث انواع من الخراف ونوعان من الكلاب بري وأهلي . والجياد وهي اردأ الجياد لكن منها نوع يعرف بالجياد «الفاريسية» يكثر في ارض الغالا و يسمونه الغاليون جنا فنجان وهو عزيز عندهم ولا يقتنيه الا الملوك

اما طيورها السابحة في جو فضائها المشرق وفي خلايا اغصانها وثنايا اوراقها فقد وصف بعضهم منها ٢٩٣ نوعا . فمن طيورها الاليفة الاوز . والدجاج المائي يخرج هو والبط من البرك والبحيرات حيث يتولد من هذا الماء على ما يقولون . والحمام والسنونو . واليمام . ومن طيورها البرية النعام وهو كثير الوجود في الاراضي المنخفضة يصطدونه لبيع ريشه واكل لحمه . والنسر . والعقاب . والدجاج البري . والبازي والقطا . والحجل . ودجاج غينيا . والقمري . والهدهد . وابو منجل . والبابل . والهزار . والكروان وغيرها من الطيور الجميلة الصوت . ومن زحافاتها الضب ومع كثرة جبالها وهضابها وظلمات ترابها فليس بها من الهوام والاحناش والحشرات السامة الا الشيء القليل غير انها مخيفة وهائلة قال بن سعيد « وتعظم عندهم الحيات بحيث تقوم الحية باعلى الجبل فتصير في الجو شبه قوس قزح في عظمها لا في اللون » وبها نوعان من السلاحف والضفادع تعيش في كل بقعة . وفيها الجراد والجرذان

والبعوض والبق والنحل وهو كثير الى درجة يملأ جوها . وتسبح في انهارها وجداولها اجناس جميلة وانواع شتى مختلفة من الاسماك وبها التماسيح التي يسمونها العسن و يبلغ طولها نحو عشرة اذرع او يزيد و يستخرجون منها المسك و يصنعون من جلدها نوعا من الترموس

فالحبشة كما رأيت غنية بحيواناتها وطيورها الاليفة كما هي غنية بمواشيها وكثرة لحومها لانها بنت الطبيعة والطبيعة مهد الحيوان

٨

جوها وهواؤها

سماؤها صافيه . كواكبها وضاءة . زرقتها منيرة . جوها ندي . هواؤها نقي نسيمها عليل . ليلها باليل . طبيعتها باسمه . شمسها مشرقة . شروقها مضحى من منتصف الساعة السادسة . غروبها معشى من منتصف الساعة السابعة . ليلها كنهارها طولا وساعات . فجرها سرعان ما يكر و يمر . دجاها ما احلى نسيماته وما اقل ظلماته . صبحها اذا تنفس . احيا الارواح والانفس

فصولها ـ فصولها مختلفة فليس فيها خريف ولا ربيع بل شتاء قصير وصيف طويل هواؤه نقي وجوه صاف . يدخل شتاؤها عليها ابان فصل الامطار من ١٠ مايو وينقضي في سبتمبر و باقي عامها من يناير حتى مايو ومن سبتمبر حتى نهاية دسمبر صيف سل الارواح عن اعتداله وجماله فكل حياة للساكنين

امطارها ـ امطارها طوفانية منهمرة تجعل جوها مكهفرا مكهربا بكهرباء سالبة جاذبة تشعباً بالتقلبات الجوية بين بروق لامعة تخطف الابصار بضيائها و رعود قاصفة تخيل للانسان معمعان قتال تنصب فيه القنابل وتنطلق منه كرات المدامع . وصواعق تخيل للرائي انها قطع نارية انفصلت من جهنم بما فيها من سعير وزفير ووهيج . وزوابع عظيمة وعواصف شديدة وريح عاصف يحمل البرد والاهواء والانداء فيرطب الليل و يبرد النهار . يجري كل ذلك في فضاء الجو وفوق اديم الارض والصقيع يعيد

والجليد لا يتساقط

وتتدفق امطارها سيولا جارفة غزيرة طامية مدة خمس شهور ـ مايو و يونيه ويوليه واغسطس وسبتمبر ـ وتبتديء بالانهمار في جهات خط الاستواء فصاعدا فيسمع لها دبيب ودوي ثم تسير شمالا متعاقبة من افق الى افق كما تخطى الانسان بقعة وتزداد غزارة كلما مرت به ايام فتملأ الحياض والانهار الجداول والبحيرات الخيران والعيون فتروي الثرى وتسقي الزروع وتنمي الازهار وتعلي النيل فيفيض على ارض الحبشة وارض مصر الخير والرفاه

مناطقها ـ تنقسم الى ثلاث مناطق . المنطقة الباردة والمنطقة المعتدلة والمنطقة المحترقة . فالمنطقة الباردة يسميها الاحباش بلغتهم « ديجا » اي الارض العالية وتحتوي على السهول الواسعة وراسيات الجبال الشامخة وهي قليلة الزراعة ضعيفة تربة شديدة البرد في بعض المواقع التي تبلغ درجة الحرارة فيها بين ١٠ و١٧ سنتغراد

والمنطقة المعتدلة و يسميها الاحباش « فوينا ديجا » اي الاراضي المتوسطة وهي طيبة الهواء جيدة التربة تشبه جو ايطاليا واواسط اسبانيا بمناخها الجميل وتبلغ درجة الحرارة فيها بين ١٤ و٢٧ سنتغراد . وهي اوسع المناطق واكبرها غنية بمراعيها وزروعها و كثرة سكانها ويشعر المقيم فيها انه في جنات تتثر بها بحيرات فضية ووهاد تمتد بين سلاسل سندسيه تجري من تحتها الانهار وتنتشر القرى والمدن في كل ناحية منها

والمنطقة الحارة او « كوللا » بلغة الحبشة تحتوي على الاراضي المنخفضة القريبة من خط الاستواء ومن الفوهات النارية وهي شديدة الحرارة في بعض المواقع حيث تصل درجة الحرارة فيها الى ٤٠ سنتغراد في زمن الصيف و٢٢ في فصل الامطار لكنها كثيرة الحقول والمزارع وتنبت في اراضيها الخضروات والازهار والاثمار والاشجار بين غذائية وصناعية

اما حرارتها بوجه عام فتبلغ درجتها المتوسطة في التغرة ٧ و٢٤ سنتغراد وفي الامهرة ٥ و٢٣ سنتغراد . واشد ايامها هجيرا ايام يناير حيث تبلغ درجه حرارتها

٦و٣٠ سنتغراد في الظل واشدها زمهريرا ايام يوليه حيث تبلغ درجتها ٥و١٠ سنتغراد لياليها ـ لياليها باردة ندية ذات طقس جاف عليل وان تقلب مرات . رطوبتها معتدلة . ضبابها ضعيف ينسج في الجو نسجاً خفيفاً

ريحها ـ ريحها شديد يأخذ الجو بنواصيه مدة فصل الامطار في جهاتها الشمالية الشرقية والشمالية الغربية ويضعف هبوبها في جهاتها الجنوبية الغربية ويلطف في جهاتها الشمالية ويتعاقب بين ضعف وتلطيف مدة فصل الصيف في جهاتها الجنوبية الشرقية . اما ريح الصحاري الحار الثقيل الوطاة المتولد من الاعاصير فلا يمر عليها الا اذا قذفته التيارات الهوائية من البقاع الاخرى وحمله الجو الى شمالي ولاية حماسين واقليم مصوع وارض الدناكل

وبالاجمال قل انها طيبة المقام تعيش ثلاثة ارباع عامها تحت سماء صافية منيرة لا يغشاها غمام ولا يحجبها سحاب كما تعيش تحت شمس مشرقة ليس بالباردة ولا بالمحرقة وتستنشق هواء جافاً ليس بالرطب ولا بالحار وتسبح في فضاء جوه زاهره زاهر ونسيمه عليل بليل

٩

(مدنها)

المدن كما نعرفها وكما نراها في بلاد المتمدنين من حيث التقدم والعمران ومن حيث ازدحام المناكب والاقدام وكثرة الحركة ومن حيث القصور وجمالها والدور وبهاءها والاحياء وانتظامها والانوار وضياءها والحوانيت وانتشارها خالية من ارض الحبشان وهي قديمة متمسكة بالقدم . وأهم مدنها المعروفة بين أهلها والعباد قليلة نذكر منها البلاد الاتية :

اديس ابابا ـ اديس ابابا أو الزهرة الجديدة بلد محدثة اختطت عام ١٨٩٢ على مقربة من مدينة انطوطو العاصمة القديمة وعلى أقل من فرسخ منها عيون حارة تعرف بعيون « دي فيفيني » وعلى مسيرة ٢٥ كيلو متراً منها جبل منقاشا به كنيسة

صاحب السمو الرأس ماكونين حاكم هرر

منحوتة في الصخور جميلة الرونق وقد اشتهر هذا الجبل بالحروب الهائلة التي وقعت بين النصارى والمسلمين

أما أديس أبابا فواقعة على مسيرة ٢٥٠ كيلو مترا من هرر وعدد سكانها نحو ٨٠ الف نفس وترتفع ٢٣٠٠ متر عن سطح البحر . وهي عاصمة الامبراطورية ذات دور وحدائق بديعة وبها قصر فخيم لجلالة الامبراطور يسمونه « جيبي » تكتنفه المزارع والحدائق وتملأ رحباته الجند والحراس . وبها ثكنات عديدة وخمسة عشر كنيسة يقيم في اكبرها نيافة الحبر الجليل مطران الاحباش . وبها الاديرة والقصور التي يقطنها الامراء وسفراء الدول وكلما مرت الايام عليها ازدادت عمرانا وكثر أهلها واتسعت أحياؤها ودخل اليها التمدن بكل ادواته ومعداته وقد وصلت اليها حديثاً الخطوط التلفونية والتلغرافية وقريباً يصلها الخط الحديدي الممتد من جيبوتي وقريباً تمد فيها الخطوط الكهربائية وتخترق احياءها مركبات الترام . فتصبح مدينة من مدائن المتمدنين وقاعدة حقيقية لمملكة عظيمة مثل مملكة الحبشان

﴿اديس عالم﴾ ـ بلدة على فرسخ أو أقل من أديس أبابا كلها مزارع ومراعي خاصة لجلالة الامبراطور وقصر عال بناه فوق رابيتها يقيم فيه أياماً يتفقد خلالها أراضيه وما فيها من عروش مشتبكة ودوال معتنقة واشجار باسقة

﴿هرر﴾ ـ هي دون اديس أبابا في القدر وان ماثلتها في الرونق ذات عمارات حسنة وأسواق عامرة وثكنات تموج بالجنود ومستشفيات للمرضى وقصر للحاكم وكنائس ومراع وعيون . واقعة في وسط المملكة وأقرب الى البحر الاحمر من سواها بعد دير دامو وعما قريب يصلها الخط الحديدي فتصير أكثر عمرانا وأعظم شكلا حاكما الرأس ماكونين اكبر أبطال الاحباش في هذا الزمان وقائداً ممدوداً من القواد المحنكين المخلدين

﴿ديردامو﴾ ـ بلدة محدثة وصل اليها الخط الحديدي منذ عام أو يزيد ذات دور جميلة بنيت على الطراز الاوربي وأسواق حافلة وفنادق ومطاعم . كثيرة الاهل بينهم عدد كبير من الاجانب يتاجرون وبها محطة كبيرة واسعة . وهي محط

رحال القوافل ومصدر توريد المتاجر الحبشية الى البلاد الخارجية . حاكمها أتو يوسف اشتهر بنباهته وذكائه وسمو افكاره يتكلم الافرنسية كاحد ابنائها ويعيش في قصره عيشة العظماء والاكابر من المتمدنين . وبهذه البلدة قصر جميل على طراز القصور الباريسية بني لجلالة الامبراطور ويبنى بها قصر آخر لجناب الرأس ماكونين . وفوق ذلك بها مستشفى للامراض المعدية والوبائية ومستشفى آخر تديره راهبات أفرنسيات

﴿ اكسوم ﴾ — من أعمال التغرة ومن أهم مدن الحبشة تجارة واقدمها تاريخاً اختطت في عهد الملكة سبا وواقعة على مسيرة ثمانية أيام من البحر الاحمر . وهي مدينة جميلة ذات اثار أولية عظيمة يضرب بها المثل في القدم ويسميها البعض رومة افريقيا لكثرة اطلالها وبقاياها ومعابدها العديدة وأديرتها الواسعة وفيها يكرس الملوك ويتوجون . وكانت قصبة الملك قديماً والاحباش يعظمونها جدا ويزورون معابدها المقدسة التي كانت قبلة قديسيهم ومهبط وحي أوليائهم ويقال ان الاحباش نقلوا اليها تابوت العهد (١) في عهد سليمان الحكيم ويذهب البعض الى ان الذي نقله اليها بنو اسرائيل . الا ان هذه الرواية بعيدة

(١) تابوت العهد أو الشهادة صندوق من خشب الاقاسيا مصفح من الداخل ومن الخارج بالذهب الابريز وكان طوله ذراعين ونصف ذراع وعرضه ذراعا ونصف وكذلك ارتفاعه . وقد جاء في سفر الملوك الاول — ٩:٩ — انه مما كان في التابوت لوحا الوصاية . وورد في الرسالة الى العبرانيين — ٩:٤ — انه كان فيه أيضاً قسط المن وعصا هرون وربما وضع فيه أيضاً فيما بعد نسخة من كتاب الشريعة وكان اليهود يعتبرون ذلك التابوت مقدساً وكانوا يحملونه بالاحتفال امامهم وهم مسافرون الى أرض الميعاد . ولذلك كان القهاتيون يعتنون به ولم يكن يسمح لاحد أن يمسه الاسبط لاوي والظاهر انه فقد عندما هدم بختنصر الهيكل في القدس الشريف باتلافه اياه او نقله الى بابل وهو ماذهب بالبعض الى أن اليهود نقلوه الى الحبشة عند قدومهم اليها لانهم من سبط لاوي ويقول الاحباش انهم نقلوه في عهد سليمان بن داود

عن الحقيقة لان التابوت الموجود بها الان غير تابوت العهد . قال الرحالة الالماني ولدمير « وفي اكسوم ايقونة عظيمة أسمها التابوت معتبرة جدا عند الحبشة وهي من خشب مربع طولها نحو ١٤ قيراطاً وعرضها عشرة وسمكها قيراط واحد مرسوم عليها صليب منقوش بنقوش ظريفة ويزعم الاحباش ان هذا هو من تابوت العهد الذي كان للاسرائيلين مع ان شكلها غير شكل ذلك التابوت » (٢)

وفي هذه المدينة مسلة عليها كتابات يونانية تختص بالقتلى الذين قتلهم الملك عيزاناس ومسلة اخرى عليها نقوش حميرية تتضمن مدح الملك حلمن ملك هذه البلاد وبلاد حمير ومسلة ثالثة ذات تسع طبقات في كل منها جملة منافذ ويعلو الجميع شبه هرم ملفوف القاعدة مستدير الرأس يبلغ ارتفاعه ٥٠ مترا وعلى مقربة من هذه ٥٠ مسلة اخرى وفي وسط الجميع جملة محاريب قديمة وبها كنيسة منحوتة في الصخور أبدع تحت بناها البرتغاليون أثر دخولهم الحبشة وعليها برج حصين ذو مناريس وقناطر تجري عليها المياه وبجانبها قبور ملوك الحبشة منحوتة في الصخر كذلك

﴿ عدوه ﴾ — حاضرة التغرة قديما وأشهر مدنها الآن بها ثكنات للجند وكنائس أولية ومحدثة . اشتهرت بواقعتها الحربية التي انتصر فيها الحبشان على التليان وأعملوا فيهم السيف وقتلوا منهم الالوف حتى تم للحبشة النصر وحتى اعترفت جارتها العدوة بالامس والصديقة اليوم باستقلالها وحسبت لها الدول من ذلك العهد حساباً كبيرا . وأهلها قليلون بعد ان كانوا فوق الاربعين الف نفس .

﴿ جندار ﴾ — حاضرة المحرة عدد سكانها بين ٤٠٠٠ و ٨٠٠٠ نفس ولها ذكر عظيم في تاريخ الحبشة بل تعد في الحقيقة قاعدة البلاد من حيث

(٢) أراد كاهن قبطي منذ سنوات زيارة التابوت فاخبر أنه موجود بمغارته في جبل الله المقدس بمدينة اكسوم فذهب لرويته لكنه حينما تقابل مع رئيس ذلك الدير اخبره بانه لا يستطيع ان يدخله المغارة لرؤية التابوت بدعوى ان الرئيس الذي كان قبله تعاهد معه قبل وفاته بعدم تمكن أحد من الزيارة مهما كان . وهذا التعاهد سار من أجيال بعيدة من الواحد الى الآخر الى وقتنا هذا .

اهمية تاريخها وحسن موقعها وهي كباقي البلدان من حيث نظامها وشكلها وترتيبها وكثرة أكواخها وان كانت لا تخلو من دور فخيمة ذات قباب وابراج وأديرة واسعة ورهبان يتعبدون وقسيسين يمجدون الله ويسبحون. ومن آثارها قلعة قديمة تسمى « شوقيه » وبيت كانت تسكنه الملكة منتواب قبل ذلك الزمان باماد متطاولة على انه يكاد يمسي خرابًا

﴿ طبرا طاكور ﴾ — مدينة قديمة واسعة كانت عاصمة لبعض الملوك. أهلها كثيرون ومراعيها نضرة ومتاجرها كثيرة. وقوافلها عديدة. وأسواقها عامرة وأديرتها منتشرة فوق روابيها وبها اثار قليلة من أعمال ملوكها الا انها صارت خرابا

﴿ انطوطو ﴾ — مدينة كبيرة قديمة عظيمة معظمة عند الاحباش. واقعة على مسيرة ثلاث ساعات من اديس أبابا وفيها كنيسة جميلة منحوته في الصخور منقوشة من الداخل نقوشًا بديعة تغشاها صور القديسين والملائكة اما حيطانها فمن الحجر الملون وفرشها من الرخام الاسود و سقفها من الخشب المطعم وفيها أيضًا كنيسة اخرى بنيت على اسم مريم العذراء واقعة على عين ماء وتحيطها الاعشاب والازهار ولا تقل جمالا عن الكنيسة السابقة

﴿انكوبر﴾ — مدينة قديمة ذات آثار أولية وبها قلعة عظيمة حصينة الموقع وكنائس وأديرة واسعة وهي واقعة فوق تل عال وتشرف على وهاد وانهار وأرجاء وكلما قرب الانسان منها ازداد منظرها جلالا واتساعا. وفيها قبور منحوتة في الصخور تضم رفات بعض الملوك الاولين. أما حركتها التجارية فقليلة وأهلها قليلون

﴿مجدلا﴾ — مدينة قديمة خربت ثم أعيد بناؤها وهي ممر القوافل بين مملكة شوا وولاية الغالا وعدد سكانها ٥٠٠٠ نفس. وقد ذاع ذكر هذه المدينة في مشارق الارض ومغاربها أثر الموقعة الحربية التي انتصرت فيها الجيوش الحبشية على الجيوش الايطالية عام ١٨٩٧ ذلك الانتصار العظيم

﴿جلديسا﴾ — مدينة زاهرة نزهة بها مزارع نضرة وحركة تجارية واسعة وعدد سكانها ٢٠٠٠ نفس. وقد اصبحت محط رحال القوافل العربية والحبشية. قال المسيو

فنيراس « جلديسا أول مدن الحبشة من جهة البحر الاحمر و بينها و بين جيبوتي ثمانية أيام »

﴿تالدناشا ملاكا﴾ – من انزه مدن قوجام وهي بلدة صغيرة عامرة كثيرة الخير خصبة جدا و يستدير حولها نهر كسام المفضض الماء . واقعة على مسيرة ثلاث كيلو مترات من انكوبر و بها كروم عديدة للغاية وفي وسطها سوق عامر بالتجار وبرجال القوافل .

تشانجر – بلد قديم عدد سكانه نحو الفي نفس وكان أكبر بلدان افريقيا الشرقية بكثرة أهله وحركته التجارية . ثم انحط بعد عام ١٨٦٨ لكنه لا يزال حافظا لاهميته الي الآن

ادجرات ـ عاصمة ولاية الياسمين أسست في القرن الماضي ذات تجارة واسعة لكنها قليلة الاهل لا يسكنها سوى ٦٥٠ نفساً

هذا ولا يسعنا ان نذكر كل مدن الحبشة واحدة فواحدة لانها عديدة لكنها قليلة الاهمية وسيجيء ذكر المدن الشهيرة باثارها في جزء التاريخ

١٠

دورها واخطاطها

دورها ـ دورها اكواخ ومنازلها خيام واطناب واهلها يميلون الى البداوة اكثر من الحضارة و يهرعون الى الخلوات والبراري اكثر من سكنى البلاد و يعيشون رعاة ومزارعين و ينعكفون على الصيد والقنص ومطاردة الوحوش في السهول والاجام و يلجأون اكواما واكداساً مع حيواناتهم وما يمتلكون الى الاكواخ وهذه يعتنون في بنائها كل العناية و يشيدونها فوق التلال وقمم الجبال وفي المواقع الحصينة المنعة ليكونوا في وقاية من الاخطار وفي مأمن من أغيار الليل والنهار وتشبه هذه الاكواخ المبذورة في اعالي الارضين بتلك الطواحين الهوائية أما اذا ارتحلوا في الارض

وانطلقوا اتخذوا الخيام لهم منازل يأوون اليها مع عائلاتهم وذوي قرابتهم وما هم اليه ينتسبون .

و يشيد سكان القرى بيوتاً من الخشب يحصصونها بالتراب و بالطين ثم يطلونها باحشاء البقر و يجعلون حيطانها مستديرة محدبة لتكون أشبه بالقباب و يرفعون سقوفها المغشاة بالقش فوق سبعة من الاوتاد لكن هندسة بناياتها غريبة في ذاتها فهي أشبه بالكهوف أو المقابر حيث لا نوافذ لها ولا شرفات الا فتحة صغيرة يدخل منها السكان وتوابعهم و بغالهم وخيلهم و بقرهم وغنمهم خوفاً من أنهم اذا تركوا حيواناتهم خارجا افترستها الضبع والوحوش . انما على ما نظن ان هذه عادة اتبعوها منذ القدم وساروا عليها لان كل شعوب افريقيا القديمة كانت تعيش وتنام وتأكل مع حيواناتها راجع تاريخ هيرودوت وامرشيوش

قال المسيو ولدمير الرحالة الالماني « اتفق انني كنت مسافراً من محل اقامتي باكسوم الى مكان بعيد فوصلت ليلا الى قرية من قرى الفلاحين واتزمت ان أبيت فيها فانزلني أحد الاهلين في بيته وقدم لي مأكلا على خوان كان معي وقال لي كل من هذا الطعام لان الضعف ظاهر عليك اذ أنك قد أتيت من اوربا التي لا يوجد فيها طعام كهذا الطعام الجيد . وكان أهل المنزل يضعون الطعام في فمي بايديهم وكان الطعام من أنواع كثيرة فاكلت حتى شبعت ثم فرشوا لي فراشاً على الخوان الذي وضعوا الاكل عليه ثم وضعوه على حشيش أخضر وكنت تعبا جدا فنمت حالا على أن عجيج البقر وصياح الديوك وغيرها أقلقني ورأيت حولي أربعة من الماعز كانت منهمكة في سحب الخوان من تحتي بعد ان كانت قد اكلت الحشيش الذي نمت عليه فنهضت لافتش عن عصا أطردها بها فلم أجدها الا بعد بحث طويل ثم نمت ثانية فرجعت الي فطردتها وعند ذلك شعرت بأن جيشا عرمرما من البق قد هاجمني وأخذ ينهش لحمي بلا شفقة ولا رحمة وكنت اسمع عجيج البقر وصهيل الخيل ونقيق الدجاج وصياح الديوك وهرير الكلاب ومواء السنانير حتى انني كنت اذا تكلمت لا أسمع كلماتي من صوت الضجيج »

هذه بيوت القرى ومساكن الفلاحين في هذه البلاد وقد تشبه مساكن صغار المزارعين والفقراء في بلادنا المصرية لولا ان هذه انظف وأجمل يبيت فيها الفلاح مع أهله بعيداً عن مقر الحيوانات وزرائبها

اما بيوت سكان المدن فتشيد على الغالب من الحجر وتطلى بالطلاء الملون وهي ذات غرف ونوافذ وذات فروشات بديعة وطنافس عجمية ومقاعد ومجالس نظيفة من الداخل والخارج وتشبه غالباً الدور المشيدة في بلاد المتمدنين الا انها ذات طبقة واحدة اكثرها يحتوي على ثلاث غرف واحدة للحيوانات وواحدة للنوم وواحدة للادوات المنزلية

ويشيد اكابر البلاد وحكام الولايات قصورا بسيطة من حيث صورتها وشكلها لكنها أحسن وأجمل من الدور الاهلية ولها قباب واسعة وافناء رحيبة تحيطها الحدائق الغناء وتملأها الطنافس الثمينة والرياش الفاخر وستائر الدمقس والديباج والاسرة النحاسية ويكثر بها الخدم والحشم

أما قصور جلالة الامبراطور صاحب عرش يهوذا وسيد اسياد الاحباش والملوك الخاضعون لسدته الملوكية فحدث بما شئت عن جمالها وزخرفها فهي على أجمل اتقان وأحسن ترتيب تشبه قصور ملوك اوروبا في العصور المتوسطة وذات فروشات حريرية واثاثات ذهبية ورياش وسجوف وغواش وشفوف وثريات وكريات وارائك ومنصات ورسوم مسورة بالاخشاب المزخرفة المموهة المبرقة. وجملة القول ان شكل الدور والقصور في هذه البلاد قديم وان تجد بيتاً فيه طبقتان قطعياً حتى مساكن الاجانب المشيدة فيها

﴿اخطاطها﴾ ـ اخطاطها ضيقة مظلمة الجوائب تشبه الازقة القديمة الباقية في مصر الى هذا العصر. وهي بالكاد تسع مسير رجلين وكثيرا ما يتصادم ابناء السبيل أما اذا مرت ماشية في طريق عطلته وزحمته واوقفت الاهالي عن المسير ولا تخلو بعض المدن من احياء واسعة الا انها دون انتظام عديمة الارصفة كثيرة المنعطفات حتى يتصور من يمر فيها انه يمشي في نفق من الارض ضرب طريقاً بين جوانح

الاخصاص والبيوت

﴿حوانيتها﴾ ـ حوانيتها ضيقة للغاية وصغيرة جدا كأنها اوكار حيوانات وتقام غالباً داخل المنازل والاكواخ ولها خوارج واسعة تعرض عليها الاقمشة والبضائع الاجنبية وكل باعة هذه الاصناف من الارمن واليهود واليونان اما الباعة الوطنيون فيبيعون في سلال صغيرة او في خرج كبير يتنقلون به من سوق الى سوق ويجولون به من حي الى حي كما هو الحاصل بيننا ويقاضونها للمشترى بأثمان قليلة وكثيرا ما يحدث الصراخ والصخب بين البائع والمشتري ويفضي الى الملاكمة على مرأى من البوليس وهو ينظر اليهما دون ان يتحرك كأنه يرى شيئاً تعود ان يراه

﴿اسواقها﴾ ـ اسواقها عامرة حافلة بالتجار والقوافل والباعة تشابه اسواقنا من حيث كثرة الحركة ومن حيث ازدحام المناكب والاقدام ومن حيث الصياح والصراخ والبيع والشراء وهذه الاسواق منتشرة في كل الجهات وقلما تخلو منها بلدة في هذه البلاد حيث يستعيضون بها عن الحوانيت والتنقل بالمتاجر . قال المسيو فنيبراس «الحبشة غنية بالاسواق التي ذكرتنا اسواق اوروبا بحركتها التجارية العظيمة حيث يجتمع بها التجار والمتسببون لبيع ما عندهم من السلع والمواشي وغيرها وشراء ما يحتاجون اليه» وذكر المسيو هيجلرو الرحالة الافرنسي المقيم في اديس ابابا «انتبهت صباح يوم من نومي مذعورا على صياح وضوضاء ودوي عظيم فرأيت المئين من الاهالي حاملين الاثمار والازهار والبضائع ولما استقصيت الخبر عرفت انهم ذاهبون الى السوق» .

١١
اثارها

الحبشة هي بنت الالهة ام المتمدنين وهي ام النيل بنت الاقدمين استودع فيها ملوكها وعظماؤها كنوزهم وما كانوا يعملون ثم تركوا لذريتهم روحهم مجسمة في اطلال تتمثل للنفوس فتنطق بترابها الصامت وتتكلم بيكم صخورها كأنها تنادي بعظمتها

وانها صنيعة الاولين

كانت الحبشة مهد التمدن ومقر الحضارة منذ اجيال وقرون فعاشت غنية باثارها (١) غنية بتاريخها ثم انقضت تلك العصور وخلت ومرت عليها اجيال مطبقة الفم مقطوعة الوتر لا تعرف أحدا ولا يعرفها أحد ثم استمرت مستترة باكية من دفنها في جوف اراضيها الى ان جاء اواخر الجيل الماضي و بدء الجيل العشرين فانتقلت من دور الى دور ففتحت بلادها للقاصدين وحالفت دول وعاهدت الاكثرين ثم دخلها الرجال وامها السياح وجوابة الافاق فريق تلو فريق وهم يظنون انها ارض عذراء كلها صخور و بطاح وكلها وهاد قفراء لكنها بدأت لعيونهم كحديقة الدنيا وهم فيها نازلون. رأوها مغشاة بالاثار البديعة تحف روابيها العمارات الفخيمة القديمة وتكتنف ضياعها الاطلال العظيمة التي تعد من أعجب اثارات الارض بجمالها ورونقها وان مسها الضر ولعبت بها يد الزمان . رأوا فيها اهرامات شامخة وتماثيل هائلة وهياكل لا يستقر عليها القدم ومغائر منقوشة نقشاً جميلا وقبورا مملوءة بجثث الموتى سكان الراحة الدائمة والنوم الاخير حيث كانت تحنط جثث موتاها كسائر قدماء الافريقيين

قال هيرودوت « ان الاحباش يحنطون أجساد موتاهم و يجففونها على طريقة المصريين (٢) أو على طريقة اخرى ثم يطلونها كلها بالجص و يصبغونها بحيث تشبه

---

(١) اختلف المؤرخون في زمن ادخال مدنية الاحباش الى مصر ففريق قال بعد الطوفان وفريق قال خلاف ذلك الا ان المعروف انهم أدخلوها في عهد الكهنة قبل الملك مينا اول ملوك مصر قال شمبوليون العلامة الأثري الافرنسي الذي اكتشف الحروف الهيروغليفية « ان القبائل الاولى التي توطنت مصر ومدنتها أي مدنت بلاد وادي النيل وما بين الشلال والبحر الاحمر وردت من ارض الحبشة او أرض سنار الا ان ذلك كان في زمن بعيد لا يمكن تعيينه لبعده (٢) طريقة التحنيط عند المصريين هي انهم يستخرجون المخ من الانف قسما بحديدة عقفاء وقسماً بواسطة ادوية يدخلونها في الرأس ثم يشقون الخاصرة بحجر

على قدر الامكان نفس الشخص و بعد ذلك يضعون الجثة في اسطوانة جوفاء شفافة من الزجاج الحفري يسهل عمله ويستخرج بكثرة من مناجم البلاد ويرى أليت من خلال هذه الاسطوانة التي يكون موضوعاً في جوفها ولا تكون له رائحة جميلة ولا شيء اخر مكروه وأدنى أقارب الميت يحفظون هذه الاسطوانه عندهم سنة كاملة وفي تلك المدة يقدمون الذبائح وباكورات كل شيء ثم يخرجونها خارجاً ويضعونها في مكان حول المدينة » اه

وفوق ذلك بالحبشة قصور قديمة ماسبقها في صنع تشييدها من أحد من العالمين. وأوان افرغت في قالب الحسن ومصوغات سبكت في مسبك الجمال ولا أزيد الحديث فقد يطول الشرح ويتعدى وصف الواصفين

ومن عجيب ما يشاهد في اراضيها اثار مصرية يمتد تاريخها الى العصور الماضية وتلك يعجز الرائي عن وصفها فكيف بقلم كاتب لم ينتقل من أرضه ولم يك من السائحين . وهنا وهناك في مملكة التغرة على شاطيء البحر الاحمر اثارات يونانية مبذورة جميلة الصنع متقنة العمل أقام أكثرها بطليموس أفرجيت . قال العلامة القبطي قرمان (١) في مولف له انه وصل الحبشة فرآها غنية بالاثار ورأى فيها صورة كتابة أثرية قديمة منقوشة على بناء عتيق في مدينة ادوليس وهي ثغر من ثغور الحبشة قديما واقع

حبشي حاد ويستخرجون الامعاء ويغسلونها ويمرونها بخمر البلح في اطياب مسحوقة ويملأون البطن مرا مسحوقا ناعما ويكون من النوع النقي ثم في مسحوق القرفة وبعض اطياب الا البخور ثم يخيطون الشق وبعد ذلك يملحون الجثة بان يدهنوها بالنطرون ويبقونها ٧٠ يوما ولا يجوز أن تبقى في الملح المذكور أكثر من هذه المدة وبعد انقضائها يغسلونها ويلفونها بلفائف قطنية مصمغة بالصمغ العربي وهم يستعملون هذا الصمغ غراء ثم يأخذ الجثة أهل الميت ويصنعون لها بيتا من خشب على شكلها ويضعونها فيه ويجعلونها في قاعة معدة لهذه الغاية ويوقفونها منتصبة على الحائط وهذه هي أخر طريقة للتحنيط وكانت نفقتها وزنة فضة عبارة عن ٥٤٠٠ غرش . (١) رحالة قبطي ظهر في القرن السادس للميلاد وكان قبل ذلك تاجراً

على شاطيء البحر الاحمر و يعرف بثغر زولا ثم وصفها بقوله انها قطعة من الرخام الاسود على شكل السفين قائمة خلف كرسي من الرخام الابيض خص بالمريخ وعليه صورة عطارد وهرقل (و هرقل هذه الهة الحرب عند القدماء) وكان على قطعة الرخام الاسود كتابة محفورة تشير فيها الى بطليموس ايفرجيت السابق الذكر . اه

و بها اديرة عتيقة وكنائس قديمة عديدة تغشاها الاثارات الجميلة وسيجيء تفصيلها فى جزء التاريخ ولولا ما منيت به هذه البلاد من القلاقل والفتن في العصور السالفة ولولا هياج أهلها وغليان نفوسهم في صدورهم ولولا ان عاش بعضهم لبعض عدوا ولولا ان حطموا اغصان مملكتهم واسقطوا عروشها وهدموا بنيانها وخربوا اثارها وطمسوا معالمها لعدت بلادهم بلادا أثرية لا يزيد عنها في الاهمية التاريخية الا ان تكون مصر ارض الفراعنة

واذ ذاع في اوربا نبأ تلك الاثار تألفت الجمعيات العلمية وارسلت رجالها للبحث والتنقيب عن الكنوز ونفائسها في الرمال والوهاد وجوف الاراضي فعثرت ارسالية في الارتيرة عام ١٩٠٣ على احجار مكتوبة باللغة الحبشية القديمة من اعمال ملوكها الاولين وكتابات اخرى من اثار قبائلها العافية الاثر واكتشف أحد الفرنسيس في بلادها المتاخمة لحكومة الخرطوم اطلالا فيها من كل شيء عزيز ونفيس استدل من نقوشها انها اثارات ملوك فوينج(١) الذين حكموا اواسط السودان والحبشة في الجيل السابع عشر ثم انقلبوا كما انقلب غيرهم واصبحوا صاغرين

نشيطاً وزاده النشاط الى التجوال في البلاد المسيحية حتى وصل شواطيء الهند وقد الف مؤلفات عديدة ضاع أكثرها ولم يبق الا كتاب واحد عن وصف البلدان التي جال فيها موجود بدار الكتب بلندن . ومن اراء هذا الرحالة ان الارض ليست بمستديرة بل مبسوطة كل البسط (١) لا تزال سلالتهم باقية في السودان الى الآن و يعيش على الاكثر في مقاطعة سنار وما جاورها وتدعى النسبة الى بني امية الذين نجوا من اضطهاد بني العباس ويدعى ملك جبل قبا شرقي فمكه بالسودان النسبة الى ملوك الفونج ايضاً وكذلك ملك جبل ابو رمله شماليه

وعثر المسيو هيج لارو الرحالة الافرنسي المعروف في شهر سبتمبر الماضي على أوراق قديمة مكتوبة باللغة العبرية مطمورة في جوف شواطئ بحيرة زواي نزع عنها الاتربة وقرأها ثم أعاد تلاوتها مرات فاذا هي رسائل سليمان الحكيم عليه السلام الى الملكه سبا المشهورة بجمالها الباهر وذكائها النادر .

كل هذه الآثار وكل تلك النفائس مدفونة في أرض الحبشان باقية اطلالها من قديم الزمان الى هذا العصر وهذا الاوان وان اندثر بعضها وعفت رسومه وأصبح في خبر كان . وقد التفتت الحكومة الحبشية في العام الماضي الى أهمية آثارها فانتقت لجنة كبرى من علماء الفرنسيس للبحث والتنقيب عن هذه الكنوز والنفائس لتضع ما يكتشف منها في متحف يقال أنها ستشيده على نسق هياكلها القديمة ويتولاه عالم افرنسي

ومن دلائل اهتمامها بهذا العمل ابلاغها الشعب رسالة تأمره المحافظة على الآثار وتنهيه ان لا يمسها بضر بل ان من عثى عما نهت فاصصته بعقاب شديد

ذلكم على ما نرى فاتحة مستقبل جديد لهذه الامة النائية بكشف النقاب عن غامض تاريخها و ينبض الشعب من قعوده و يقظه من ثباته فيسلك سبيل السابقين ويكون عهد الامبراطور منليك عهد بطرس الاكبر لدولة الروس العظيمة

١٢

علمها ومدارسها

علمها في المهد ومدارسها في الرضيع وفقرها في كثرة الجهل فكان الجهل اكبر حائل لتقدمها وتمدنها . ليس بها دور علم وعرفان كما نراها في بلادنا المصرية وكما هي في أرض المتمدنين وليس اللوم في ذلك على أفراد الامة بل اللوم على الحكومة لتقصيرها وعلى الخاصة من الاهلين

شعب كله عامة وكل عامته أميون يعيشون في الارض كالبهم أو كالطبقة السفلى بين البشر لا يميزون بين فضيلة ورذيلة ولا يعنيهم من أمر الحياة الا انهم أحياء ولا

يعرفون من الدنيا الا انهم خلقوا يأكلون وان كان طعاماً خشناً وينامون وان كان على الوثير فعاشوا سذجاً همجاً وشبوا راقدين في الظلمات الى آخر ما هم فيه من سوء الحال وأشد حالات الجهل .

وفي رأيي كما في رأي سواي من الباحثين انه مهما يكن من أمر المعيشة المستقلة لامة وافتتاح عيونها لنور الاستقلال ومراحها في نعيم الحرية واشتهارها بالشجاعة والاقدام واعتيادها على الاجتهاد والعمل لا يتم لها التقدم على الوجه الاكمل مادامت جاهلة وما دامت لا تعرف للعلم قيمة والعلم هو المدنية والمدنية هي الحركه المستمرة الى الرقي الصحيح والرقي هو نهاية ما تطلبه الشعوب وترتجيه الممالك من السمو والرفعة .

ثبت من ذلك ان كل الاصلاحات التي أجرتها حكومة الاحباش في بلادها كانت عبثاً كما كان اهتمامها بتعزيز أمتها عديماً للجهل الفاشي بين اهلها وبديهي أن التقدم والارتقاء لا يحصلان في امة حتى تتهذب وان تتهذب حتى تتعلم ولن تتعلم حتى تنتشر المدارس والمدارس هي مرجع الفضل وحسن المربى ومغنية الشعوب بل عماد المدنية وقوام العمران كما هي أعظم وسائل الارتقاء

خاصتها بين أغنياء وكبراء على شيء من العلم البسيط والاختيار القليل مندفعون من تلقاء انفسهم الى تعليم القراءة وحفظ الكتاب المقدس وهو المفرود بالتدريس ودرس الكتب الكنائسية وتاريخ بلادهم واللغة الجيزية والشريعة

﴿مدارسها﴾ ـ مدارسها كتاتيب صغيرة منتشرة في البلدان الاهلية وحواضر الممالك الا انها أقل من حاجتها وكلها ضيقة اشبه بكتاتيب العرفاء في بلادنا أو اقل منها نظاماً وتعليما لا تؤدي حتى العلم الصحيح ولا تربي حتى التربية السطحية فيخرج الطالب وهو لم يعلق في ذهنه شيئا اللهم الا الكتابة والقراءة ومن ثم يحسب في نفسه الكمال ويظن انه بلغ مرتبة العلماء وأدرك غاية المسعى في الرقي والعلاء .

وقد يضل العقل في تصوير قبح شكل كتاتيبها فيظنها سجونا مظلمة الجوانب وحينا يظنها قبور أحياء أو مكامن أطفال . وليتصور معنا القاريء كوخا صغيرا مجردا من كل زينة يتوسطه معلم يحمل في يد عصاه وفي الاخرى كتابه وحوله الاطفال جلوسا على بسط

من القش في الكتاتيب العالية وعلى الارض في الكتاتيب الاعتيادية ويحيطونه من كل جانب فيكونون اشبه بدائرة مركزها معلمهم حامل الكتاب والعصا

طريقة القاء الدروس سيئة مهملة ذلك أن المعلم يلقي درسه على تلامذته القاء سطحيا دون تفسير ثم يأمرهم بحفظه حفظا ذهنيا مجردا عن التعقل كما هو شأن الكثيرين من طلبة مدارسنا في مصر ويقف في اثناء اشتغالهم بحفظ ما القاه عليهم ساكنا ينظر اليهم نظرات خفية ليعاقب المهمل ويبقى هكذا حاله حتى ينتهي النهار ويعود الاولاد الى اهاليهم .

العلم الذي يتلقونه قاصر على حفظ الكتاب المقدس ليس اكثر وهو لا يهيء المتعلم الا لمعرفة دينه فقط ولا انكر انه من اكبر وسائل التهذيب وترقية النفوس الى الكمال والفضيلة لكن يجب ان يكون مصحوبا بالعلوم الحديثة لمعرفة ما يحيط بالمتعلم من عوالم الكون وتواريخ الامم والاحاطة بمقدمات كل علم من العلوم وفن من الفنون لتنمية الادراك العقلي من جهة والاشتغال بما يمدن البلاد من جهة اخرى

على ان هناك مدارس عالية في الاديرة والكنائس ودور الحكام يتخرج منها الكهنة واهل العلم ورجال الشريعة . وتلك المدارس هي كليات الاحباش الشبيهة بالمدارس الموجودة في المساجد الكبرى بمصر . هذه تعلم النواميس الدينية والتشريعية والعلمية وما يتبعها وتلك كذلك . كما ان الطلبة المتخرجون من الكليات تعطى لهم شهادات امتيازية فيعطى للناجحين في العلوم اللاهوتية لقب « ديبترا » وللناجحين في الشريعة لقب « الممهر » ومعناه الدكتور وللناجحين في العلوم والمعارف على اختلافها لقب « الليكاونت » اى العالم المتبحر

ولقد شعرت حكومة هذه البلاد بغفلتها وتقصيرها ورأت بلادها في حاجة الى مدارس تنقل امتها من الظلمة الى النور ومن الجهل الى العلم فركنت الى افتتاح مدارس بين ابتدائية وعالية لتصلح عيوبها ونقصها يجد فيها الطالب من كل فن بحرا ذاخرا مما يساعد بطبيعته على تمدن البلاد والوقوف على غامض تاريخها وعلى القيام باعمالها الادارية والسياسية والعمومية على أفضل ما يمكن ان تكون عليه وستتخذ كل

الوسائل لترغيب الاهالي وجذبهم الى التعليم بل لجعل هذا التعليم اجبارياً مجانياً

هذا ومثير تلك النهضة وتلك الروح الجديدة هو صاحب الجلالة الامبراطور منليك وقد شرع جلالته في افتتاح مدارس بين صناعية وحربية وزراعية وطبية وغيرها . انما هذه لا تفيد الآن اذا لم ينتشر التعليم الابتدائي في كل البلاد لتستنير به الامة وتتدرج في مدارج الصعود حتى تصل ذروة المدنية واعلى منصات الحضارة

١٣

سكانها

شعب لا عدد له ولا تعداد يملأ الارض والسهل ويتزايد نموا من عام الى عام فهو ابن الطبيعة والطبيعة روح البشر وابن الهواء النقي والهواء النقي روح النفوس وحياة بعد الحياة يقولون ان عدده فوق العشرة ملايين من النفوس او يزيدون ثلثهم من المسلمين بما فيهم ٢٥٠ الف نفس من بني اسرائيل والباقون من المسيحيين المتمذهبين بمذهب الاقباط

وقد يكون ذلك الاحصاء صحيحاً بوجه التقريب الا ان بعض المؤرخين ذهبوا مذاهب شتى في تعداده فذكر فريق ان عدده يتراوح بين عشرين مليوناً وثلاثين وقال آخر بين ثلاثين واربعين وقال ثالث اكثر من ذلك الا انهم مبالغون فيما يقولون . وعندي ان من العسير حصر عدده وضبطه بدقة لاستحالة احصائه وغالبه منتشر في الفيافي والقفار وفي التلال والجبال وبعضه رحل يجول من اقليم الى اقليم ومن هضاب الى نجاد غير ان عدده يزداد من حين الى حين لما هو مشاهد من كثرة عدد مواليده وقلة عدد وفياته لوجوده في مناخ طيب وهواء نقي ولا بتعاده عن ملاهي المدنية وموبقات العمران

ولقد حسب بعض الاطباء نسبة الاطفال الذين يموتون في هذه الاقطار الى نسبة الذين يموتون في اقطار المتمدنين فوجدوها كنسبة واحد الى عشرة . وتلك

من المسائل الحيوية التي يجب النظر فيها والتي يرجع اصلها على ما نرى الى شيء واحد هو الاعتناء بالاطفال والاهتمام بامرهم وامر تربيتهم حتى يصلوا الى درجة النمو الطبيعي في الجسد وفي العقل وعدم ترك الام ولدها لعناية المرضعات والحصيان او للرضاعة الصناعية كما هو الحاصل في بلادنا المصرية . ولان الطفل الحبشي اذا ترعرع واينع اتخذ الارض وهادا والصخور وسادا وتسلق الاشجار وركض في العشي والابكار وتدرب على الصيد والقنص فيشب سليم الجسم والعقل شديد البنية نشيطاً قوي الجنان وشجاعاً حزوم الارادة شديد المراس . ولا ننسى ان هذه التربية القويمة جعلت الاحباش شجعاناً ومن اشد الامم عصبية وحباً لوطنهم وتفانياً في استقلاله حتى اصبح هذا الحب وذاك التفاني من احكام الروابط الاهلية التي لا يمكن انفصالها ومعلوم ان اصدق الروابط واشدها قوة هي حب الوطن وحب الاستقلال كما قال فيكتور هوجو الحكيم الافرنسي

واستدللنا من بحث بعض الاطباء في اسباب نموه وكثرة مواليده انه متأت من ان نسوته كاهن ولود وليس فيهن امرأة عاقر الا القليل لوجودهن في بلاد نقية الهواء ولتمتعهن بكل حقوقهن ولان من طبيعتهن الفرح والسرور لحسن موقع بلادهن وجمال طبيعتها ولذلك يبتديء زمن حيضهن بين الحادية عشرة والثالثة عشرة وينقطع عند الاربعين في حين ان زمن حيض المرأة في سائر الاقطار يحين في زمن معلوم بالتقريب وهو سن المراهقة فيبتديء عادة من السنة الرابعة عشرة وينقطع في الخامسة والاربعين أي حينما تبلغ المرأة الاياس

ويؤخذ من احصائية وضعها العلامة باريسيس المؤرخ اليوناني المصري « ان عدد مواليد الحبشة من الذكور بالنسبة لعدد المواليد من الاناث كنسبة ١١٠ الى ١٠٠ وعكس ذلك في اكثر الشعوب »

ويؤكد بعض الرحالة ان هذا الشعب يبلغ ٣٠ مليونا من النفوس بعد قرن من الزمان اذا استمر على عوائده وكيانه وسكن عن الثورات والهيجان وعن الغزوات والقتال وعن المشي الدائم الذي يجعل قدميه تتداعيان تحت جسمه الضئيل النحيل

غبطة البطريرك الحالي للامة القبطية الارثوذكسية

على اننا اذا نظرنا الى هذا الشعب وما هو عليه من العادات والتقاليد وكيف ان سواده الاعظم كان ولا يزال يعيش بين فضائل تغلبت على رذائل وجعلت هيئة الاجتماعية وعدده في نمو وازدياد عرفنا انه لاخوف عليه من التلاشي ما دام شعاره نصر الفضيلة على الرذيلة واية فضيلة أعظم من تسلطه على نفسه وعلى امياله فلا يندفع كما نندفع الى الانتحار مهما كانت حالته ومهما يئس وناله الضيق ولا يميل كما نميل الى اللهو والخلاعة مهما تغلبت على وجدانه الملذات ومهما غشته الظلمات فالحبشي سيد نفسه وليس عبد رق لها كما نعيش نحن ارقاء لنفوسنا وعبيد لشهواتنا ورغائبنا

هكذا عاش الحبشي من اول ايامه الى اليوم الى هذا العصر عزيز الجانب مرفوع الجناب فلم يستعبد ولم يسترق ولم تقو امة من الامم المنيعة على تغيير لغته او دينه كذلك لم تقو على امتلاك بلاده وفقدان حريته واستقلاله . فالحبشي يمثل لنا اليوم وليس الغد ـ لان الغد لله ـ كيف يكون المجد والعظمة وكيف يكون السؤدد والفخر ونحن نمثل له كيف يكون الهوان والذل وكيف يكون الاستعباد والرق

١٤
صناعتها

مرت الاجيال من الاعوام على الحبشة وما مسكت في يدها غير المحراث ولا عرفت غير الآلة التي تشق بها الارض لتسقيها من ماء النيل فما عرفت صناعة ولا انشأت معملا صناعياً فقد انصرف الفقير الى شق الارض والى المرعى والمتوسط الى الغزو والى حمل السلاح واقنع الغني بمجرد التحفظ على امواله فضعفت عزيمته و بقيت بحكم العادة و بافراطية هذه الحاسة هي السد الطبيعي بين رقيه و بين انحطاطه

والحبشي مع نشاطه يجهل قدر الصناعة و يترفع عنها و يعدها من المهن النوافل ومن بقايا الاعمال التي لا يشتغل بها الا العبيد والارقاء حتى صارت اضعف شيء في بلاده و بلاده احوج اليها من غيرها أولا لانها ركن عظيم من أركان البلاد وقوة مشيدة من أشد قواته وثانياً لانها تشغل كثيراً من الايدي وتعود بالربح على كثير

من الجيوب وثالثا لتيسير حال طبقات أهلها واستخراج كنوزها ونفائسها المدفونة في جوف اراضيها ورابعاً لمنافسة العالم المتمدن والامم الحية في الرقي الصناعي وفي ميدان الحضارة الحقيقية

والذي ينظر الى الامة الحبشية ولو نظرا بسيطاً سطحياً يراها متمسكة بصنائعها القليلة تمسكها بلغتها وحدود بلادها لانها ترى فيها حكمة اسلافها ومهارة اجدادها وفطنة ابائها ولذة نفسها . وهذه الصنائع المتلاشية رابطة اخرى تربط الاحباش بعضهم ببعض فلا يحيدون عنها ولا يودون تغييرها تفي باحتياجهم وتناسب احوالهم وكل ما حصل لهذه الصنائع من الوهن والفساد لا تزال اخذة تترقى بمرادف العنايات وتقادم السنين .

ويندرج تحت امهات الصنائع الحبشية كثير من انواع الصنائع المعروفة كالحدادة والصياغة والحياكة والبناء والنجارة والخزافة والسكافة ولا تخلو البلاد من ورش صناعية صغيرة يشتغل فيها مهرة من الصناع

ولا يمكننا ان نعدد عدد الصنائع حتى ولا بالتقريب انما الحالة الحاضرة تدل على قلتها ولا نظن انها تترقى الرقي المطلوب الا بترقي العلم لان الصنائع في كل البلاد بنسبة درجة علمها وموقوفة على انتشاره بينها اذ به تعرف قدر العمل واذا عرفت قدر العمل تقدمت بمقتضاه واذا تقدمت بمقتضاه لم يكن بد من الرقي

ومما تجب ملاحظته هنا ان كاتباً افرنسياً كتب رسالة عن تأخير الصناعة في هذه البلاد قال فيها « وفي الغرب امم كثيرة اصغر من الامة الحبشية عدداً ليس لشعوبها حياة الا بالصناعة فهي قوامها الوحيد ومن اهم الاماكن التي تصدر اليها مصنوعاتها الشرق ومن اهم بلاد الشرق الحبشة والحبشه امة مستقلة قادرة على القيام بحاجات نفسها وبحاجة الشرق اذا اعتنت بالصناعة ويمكنها مزاحمة الغرب اذا هبت من غفلتها لان يد العامل فيها رخيصة »

وانا اؤكد انه لو نهض الاحباش من سباتهم وتعلقت بالعلوم ارادتهم ووقع على الصنائع قصدهم لاحيوا فردوسهم من مواته ولجعلوا بلادهم جنة نعيم مقيم لانهم

اجرى من غيرهم في ميدان الرقي والنشاط واقدر كذلك ثباتاً على المكاره والاتعاب ولا يستبعد ان تكون نهضتهم لو نهضوا نفخة الصور ومبدأ عهد التقدم العتيد في البقعة المسيحية السوداء

١٥

تجارتها

لانزاع في ان كل امة لم يتطرق اليها العمران والتمدن قلما تراها تسعى الى العمل وقلما تجدها تشترك في المعترك الحيوي الدنيوي وتجاهد في سبيل الاثراء لان من طبيعتها القناعة باليسير ومن خلقها الاكتفاء بشظف العيش فلا امرأ بطرا من وفرة الغنى وفرط وسائل التنعم والرفاه ولا اخر يتضور جوعاً من شدة الفقر. وتقويض تلك الطباع الراسخة في النفوس امر بعيد المنال ما دامت الامة باقية في البداوة ولم تتعود بعوائد اهل الحضارة

واذا نظرنا بامعان الى حال الامة الحبشية ووقفنا على حقائق كيانها وبحثنا في ماهية حيويتها وطبقناها بكلياتها وجزئياتها على أحوال الامم الاخرى عرفنا انها الامة المائلة الى البقاء على عسرها وضيقها طبعاً واقتناعاً وفلسفة واذا عرفنا ذلك عرفنا كذلك انها فقيرة التجارة قليلة الحركة بالنسبة لكثرة سكانها وثروة تربتها. صحيح لا ننكر انها دخلت فجأة في دور جديد وحياة جديدة الا ان هذه الحياة في فجر هذا العصر الجديد لم تدب في أرواحها ولم تخرج من أرضها ولم تصدر منها بل هي تدفق العناصر الاوروبية تدفق السيل على بلادها ومنافسة بعضها بعضاً في التزاحم التجاري والنفوس مطبوعة على التسابق فيما تعتقده خيراً أو تجده لذيذاً أو تظنه نافعاً

ولما كانت دول هذا الزمان مبتلاة بداء النهم وتعيش كالطيور مما ينبت في أرض الغير وكانت حياتها قائمة على التجارة وكانت التجارة سر تقدمها فان النمسا والمانيا والولايات المتحدة رأت انها تجني على نفسها وعلى بلادها وعلى رعاياها اذا تركت هذا الفردوس الارضي الحبشي تحت تصرف دول اوروبا الاخرى ولم تضمن

لتجارها حق الانتفاع بالاشتراك في هذا التزاحم لحماية تجارتها وتوسيعها في بلاد لم تفتح أبوابها للتجارة والمدنية ولم يستغلها مستغل الى الآن

وقد أخذت هذه الدول الثلاث تترامى الى قصر منليك الواحدة تلو الاخرى وتحوم حول عرشه كما يحوم النمر حول قفص غزالة مسجونة ليقتنصها حتى تمكنت من عقد المحالفات التجارية بينها و بينه ونالت مبتغاها وما أملته ثم شرعت تدرس حالة البلاد وتفحصها فحصاً دقيقاً لاستثمار أموالها من وجوه مشروعه وغير مشروعه مقدورة وغير مقدورة متبعة في ذلك الخطة التي سارت عليها في كل بلاد الشرق

واذا كنا نرى هذا التزاحم الدولي التجاري يفيد الحبشة بعض الفائدة لانه يوجد بها قوة جديدة بين القوات التي تتنازع السياسة في أرضها ويرد احدى هذه الدول عن التمادي في الطمع والاستئثار بالامر والنفوذ الا اننا نجده من وجهة اخرى سيكون لسوء الحظ خطباً من أجل الخطوب على الاحباش اذا لم يهبوا من غفلتهم ويجاروا هذه الامم في ميدان هذا التزاحم لكفالة حياتهم وخوفاً من انها تهضم حقوقهم وتستأثر بمنافعهم وتقضي عليهم قضاء مبرماً لا مخرج لهم منه ولا مطمع في حياة بعده . وعبثاً نعلل بان لا خطر على البلاد من التزاحم الاجنبي ونفوذه لان الخطر الذي تهدد كل ممالك افريقيا من الشرق الى الغرب ومن الشمال الى الجنوب لا يزال تأثيره في العقول حتى انه جعل كل أمة شرقية ترتجف عند نزول الغربي في بلادها كما ترتجف وريقة الشجر في أبان مرور النسيم عليها . وهكذا تجد دول هذا الزمان طامحة الى املاك غيرها فلا ترجو خيراً الا لنفسها ولا منفعة الا لرعاياها أو كما قال الامبراطور منليك تلك الكلمة المأثورة « ماذا يضر اوروبا خراب الشرق لو كانت خزائنها عامرة »

فليحذر الاحباش منذ الآن غزوة الدول فالعاصفة تتكور فوق رؤوسهم وليختبروا أجنحتهم و يعدوها لمقاومة تلك العاصفة الشديدة وما زالت دولتهم قادرة على خلاص نفسها من الاجانب وانقاذ بلادها من الانحلال اذا وجهت أميالهم الى تقدم التجارة وساعدتهم على التدرج في أعمالها وشجعتهم على الاستغلال والاستثمار

وكل ما يوفر حاجيات البلاد . نظن انها لو تمشت على هذه القاعدة لحفظت مستقبل مملكتها وتغلبت على كل صعوبة مادية أو معنوية مانعة للاشائها وتجزء ممالكها وزوال استقلالها

اما أسعار حاجياتها المعاشية فهي متهاودة للغاية الا ما ندر لفقر أهلها واقتناعهم بالقليل دون اليسير . ولم ترتفع الحاجيات في وقت من الاوقات ارتفاعاً مناسباً ولهذا يظهر الانخفاض دواماً بظهور قلة الواردات والصادرات التي لا تزيد عن ٥٠ مليوناً من الفرنكات . ومعلوم ان أسعار الحاجيات المعاشية في سائر الاقطار والامصار لا تكون الا بنسبة ثروة الامم وسعادتها وما يكون لديها من اليسار وفي قبضة أهلها من الاموال .

وأهم صادراتها سن الفيل وريش النعام والعاج والبلح والتمر هندي وعسل الشمع والصمغ والذهب والتبر والمسك والفحم الحجري والكبريت والملح والبن والقطن

وأهم وارداتها الدبلان والشاش والشيت والصوف والحرير والمظلات والابر والصفيح والاوعية والبترول والساعات والخرز والحلي وانواع الخردوات وغيرها

١٦

طرقها التجارية

طرق لا تعد ولا تحصر تمر فيها القوافل بين رواح وغدو والاهالي بين ذهاب وإياب الا انها مخيفة بحيواناتها الكاسرة وقطاعها الذين يساومون التجار سوم النعام في الفلوات والصحراوات و ينهبون متاجرهم و يمزقون شملهم فهم أشبه بالقرادة في الناقة يمتصون دماءها بنهم شديد بل يحاكون خلية النحل لا يصادف من يدنو اليها الا لدغات سامه . وعلى هذا اقول انه لو كان للنظام مقام في هذه البلاد لما اجترأ أولئك المعتدون على النهب والسلب والقتل والسبي ولسادت الطمأنينة وتوفرت أسباب الراحة وعمت الرفاهية افراد الرعية

وأشهر طرقاتها الخارجية خمس أولاها طريق مصوع الايطالي يمتد من مستعمرة

الارتيرة الى أرض التغرة فالامحرة فارض الغالا وكلها بلاد غنية بثروتها الطبيعية الا انها محاطة بقتاد شاق لا يسهل تخطيه لكثرة هضابها التي تعدت السحاب وجبالها التي تناطح القبة الزرقاء واصوصها الذين يتسابقون الى سفك الدماء وانزال الشقاء والبأساء بعباد الله التعساء

وطريق أساب الايطالي طريق جبلي صخري وعر مقفر لا نبات فيه ولا ماء تكتنفه المصاعب وتزيده القبائل رعباً وذعراً وعلى الجملة فهو متروك لمعاناة السفر

وطريق زيلع الانكليزي طريق غير مألوف تخشاه القوافل لكثرة قبائله الغازيه وعصائبه المتعادية التي تتهددها بافظع انواع التوحش من نهب وسلب وضرب وسفك دماء فتضطر كل قافلة ان تسير محاذية لضفاف البحر الاحمر من زيلع الى جيبوتي ومن هذه الى جلديسا فهرر

وطريق بربره الانكليزي طريق مخيف تتمنع القوافل من اجتيازه واذا اضطرت لعبوره وواصلت السرى اخذت الحيطة لنفسها بقدر الامكان لتتمكن من رد الهجمات المتوالية والغزوات المتتابعة وهذا الطريق قليل العلاقات مع داخلية الحبشة وان كان كثيرها مع الاوغدن والصومال

وطريق جيبوتي الفرنسوي واقع في منتصف الطرق المذكورة وهو ايسرها مشقة وأقلها طولاً وعناء وأوفرها محصولاً وماء واكثرها أهلاً وغناء وعلى هذا النحو يكون محط الرحال والطريق التجاري الوحيد الى داخلية البلاد

﴿ ادلاء الطرق ﴾ ـ اطرقها ادلاء يقودون الرحالة ويرشدون القوافل في مفاوز القفار وكافتهم من الدناكل والعيسا لانهم امهر من غيرهم في معرفة النواحي والجهات وموارد المياه ومشارع السبل ولانهم أقدر من حيث البسالة والمحافظة على المتاجر والتجار

﴿ وسائط النقل ﴾ ـ وسائط النقل عسيرة للغاية ومتعبة للنهاية فهي في البر الابل والحمير والبقر والبغال وهي في البحر المراكب الشراعية والسفن الصغيرة وانواع شتى من القوارب والزوارق غير ان معظم السلع التجارية تحمل على ظهور الابل بلا انقطاع

١٧

طريقها الحديدي

اتفق البشر على ان الطرق الحديدية كانصاف دائرة مركزها حياة الامة وعظمتها فهي تقرب المواصلات وتمدن الاقطار مع ما فيها من مراعاة جانب الحاجة مضافاً اليها ما يقلل من المشقات والاتعاب وما يزيد الحركة والعمران ومعلوم ان الحركة والعمران من عوامل النهضة الدافعة الى الرقي والتقدم . على ان شعور الاحباش الى تمديد الطرق الحديدية في بلادهم مجاراة للممالك المتمدنة جعل حكومتهم تمهد كل عقبة في سبيل شركة افرنسية لم تر منها بعد ان وهبتها ما وهبتها من احتكار وامتياز وفتح ابواب الرزق الا يداً مبسوطة تتذرع لفتح البلاد فتحاً سلمياً الا انها لحسن الحظ لم تأت بما أملته وانهد رجاؤها وختمت روايتها الاستعمارية التي مثلتها في أرض الحبشان بفقدان نفوذ حكومتها وموته الذي تعالج اليوم سكراته وتتحرك في غمراته حركة المذبوح وما ألذ الحياة عند النزاع

ويرجع تاريخ هذه المسئلة الى عام ١٨٩٤ يوم زار المسيو شافنيه الافرنسي والمسيو هنج السويسري عاصمة الحبشة وطلبا من جلالة امبراطورها امتيازاً بتأليف شركة لمد طريق حديدي بين ميناء جيبوتي وديس ابابا فاعالي النيل وبعد ان نالا المبتغى والفا شركة افرنسية كبرى مدت الطريق الحديدي الى ديرداموا على مسيرة ٣٠٦ كيلو مترات من البحر الاحمر حال دون اتمامه بعض التلاعب والموانع واذا بحثنا في اسباب هذا التلاعب لوجدنا مرجعه الى امرين جوهريين الامر الاول استخدام الشركة امتيازها آلة للتداخل السلمي في شؤون البلاد وواسطة من وسائط نشر التجارة الفرنسوية في انحائها والامر الثاني عدم ايفاء المبالغ المكتتب بها لمد القسم الاول من الطريق . وكلا الامرين عسير وزادهما عسرا الغرض الذي رمى اليه بعض سواس الفرنسيس من ان تبنى حكومتهم القسم الباقي من هذا الطريق ليكون ملكا لها وليعطيها بلا ريب حق السيادة المطلقة على مملكة الاحباش فتتولى قيادها

وتستحوذ عليها وحدوث مثل هذا التغيير والانقلاب العظيم يضر بنفوذ الدول الطامحة الى هذه البلاد طموحها الى كل مملكة شرقية فاتفقت كلها على معاكسة فرنسا حيث لكزتها لكزة ضعضعت اضلاعها وكادت تفري باحشائها وادرك جلالة الامبراطور منليك سوء مغبة تسليمه لمطالب الفرنسيس فاعلن الدول بانها اذا لم تتفق على حل هذه المشكلة حلاً سلمياً فانه مستعد لبناء الطريق على نفقته مما دفع بفرنسا ان تعدل عن جعل بلاد الروس سوقاً لتجارتها وان تعلن بجعل سكتها الحديدية سكة دولية تحت شروط وافقت عليها انكلترا وايطاليا وتضمن بقاء امتياز الخط من اختصاصات الشركة الافرنسية دون غيرها واصلاحه وتنظيمه على عمال فرنساويين وان يؤلف مجلس ادارته من فرنسوي وانكليزي وايطالي وحبشي وان تقتسم الدول الثلاث المذكورة ارادات دون غيرها مع مراعاة حرية الاحباش واحترام استقلالهم

الا ان هذا الاتفاق لم يتم رسمياً على الوجه الاكمل لان المانيا قد عقدت محالفة تجارية مع الحبش واصبحت مضطرة بحكم الحال وبمقتضى التنازع ان تنال شيئاً من الحقوق في هذا الخط لتتمكن من توزيع تجارتها وترويجها في هذه البلاد ولم يبق لفرنسا الا ان تقاسمها ما تريد وتعاملها معاملتها لانكلترا في مصر

وقد كان في نية الانكليز مد خط حديدي بين بربره والحدود الحبشية ثم تمده حكومة منليك الى عاصمتها لكنها رأت ان هذا الخط قد لا يفيد في الوقت الحاضر لوجهين أولهما ان صادرات البلاد وواردتها قليلة لا تكفي قيمة نقلها مصاريف تلك السكة والوجه الثاني عدم اتمام خط جيبوتي عقدة المشاكل الذي لا نقدر ان نقول فيه الآن قولا فصلا استيحاشا من الخطأ فنكله الى حين انكشافه وانا لنرجو ان يحل حلا سلمياً عند حصول الفرصة الملائمة وان لا يكون من البواعث الى تنافس الدول في هذه البلاد تنافساً لا يكون من وراءه الا خرابها وانتثار اعضائها وانتساخ نفوذها. وليس على الاحباش اليوم الا ان يظهروا امام هذه الدول ان فيهم قوة اذا عملوا بها حسنت واذا ارادوا فعلوا ليحفظوا امتهم العظيمة وينعشوا أملا هو بين الموت والحياة

١٨
نقودها

كلما قلبنا صفحة من صفحات تاريخ هذه الامة الحبشية وكلما بحثنا في اطوارها واحوالها وجدنا انها الامة الباقية على تقاليدها وعوائدها المتمسكة بنواميسها القديمة وشرائعها القديمة وان كنا نراها اليوم ذاهبة مع التيار الفكرى الذى يطلع عليها من وراء الجبال والبحار فهي لا تزال ترى من ثمورها انعطافاً وحنواً الى عهدها السابق وعصرها الخالي ولا تزال تتقايض الى الساعة بالمحصولات و بالاقمشة وان سكت لها النقود على مثال النقود المتداولة في بلاد المتمدنين

﴿نقودها الفضية﴾ ـ ضربت هذه النقود عام ١٨٩٧ في مضرب باريس وتمثل على احدوجهيها صورة الامبراطور منليك واسمه و يوم توليه العرش وعلى الوجه الثاني صورة الاسد الحبشي منقوش تحته هذا الشعار الملوكي « الاسد الغالب سبط يهوذا » الا انهم اعتاضوا عنه في النقود النحاسية بقيمة القطعة . التي تدير حوافيها الامثولة المأثورة عن الامبراطور الحالي « الحبشة لا تبسط يدها الا الى الله »

ووحدة نقودها الفضية الريال وقيمته خمسة فرنكات و ٢ سنتيما و وزنه ٢٨ غراما و٧٥ . و . مليجرام ثم النصف ريال وقيمته فرنكان و ٦٠ سنتيما والربع ريال وقيمته فرنك و ٣٠ سنتيما والثمن ريال وقيمته ٦٥ سنتيما والجزء من المائة من الريال وقيمته خمسة اجزاء من المائة من الفرنك

﴿نقودها النحاسية﴾ ـ هي الجرش أوالغرش وقيمته ٣٢ سنتيما ونصف القرش ١٦ سنتيما و ربع القرش ٨ سنتيمات وجزء من المائة من الريال وقيمته خمسة اجزاء من المائة من الفرنك

﴿نقودها الحديدية﴾ ـ هي نقود قديمة لا قيمة لها محدودة يتداولها الناس في كثير من الولايات وتختلف قيمتها على الغالب باختلاف ثروة البلاد و بموجب ما يستنتجه الاهالي من حركة السوق على اثر كل اجتماع

و يتعامل الاحباش ايضاً بالريال الذهبي الاثيوبي وقيمته ١٦ قرشاً وبالريال ابوطيره او ريال ماريا تريزا النمسوي سمي بهذا الاسم لان على احد وجهيه صورة نسرين وقيمته ٣ فرنكات و ٧٥ سنتيما

وقد كانت أو لا تزال النقود الحبشية مقصورة على التعامل بالوهم المحض الذي لا اساس له ولا بعض اساس من قيمتها الحقيقية حتى صارت أشبه بالقراطيس المالية تارة في صعود وطورا في هبوط فمثلا ترتفع قيمة الريال الى ٥ فرنكات و٧٥ سنتيما ثم تهبط الى اربعة فرنكات وكذلك القرش تعظم قيمته حيناً الى ٣٥ سنتيما ثم تنقص الى عشرة سنتيمات وعبثاً حاولت الحكومة معالجة هذه الحالة و بقاء النقود على قيمتها الاصلية

وليس كل الاهالي الذين يتعاملون بالنقود فلا يتعامل بها الاربع الساكنين لانها قليلة ولان جل الاحباش يتقايضون بالمقاطع والمحصولات والاقمشة كما قلنا في مطاوي هذا الكلام

﴿المقاطع﴾ ـ هي قطع من الملح الصخري المعروف بملح قاق ويسمونها «الملحة» ومن الكتان الابيض ويسمونه « شماس » ومن الخرز الملون وهو كثير التداول . أما قطع الملح فهي منحوته نحتاً مشحذا طولها ٢٥ سنتيما ووزنها ٥٥ غراماً وتتردد قيمتها بين فرنك وخمسة أجزاء من المائة من الفرنك و بين ٢٥ سنتيما . وتعتبر كل سبع قطع من الملح مساوية لريال واحد وكل قطعتين من « الشماس » لريال واحد . اما الخرز فليس له قيمة محدودة اسوة التبادل بالمحصولات و بالاقمشة ولا حاجة الى زيادة التوسع في هذا البحث فهو قديم ومعروف عند الجميع

﴿البنك الاهلي﴾ ـ وقبل ختام هذا الفصل تعترضنا مسئلة من أهم المسائل التي يبحث فيها في المجتمعات و يتنازع بها السواس كما انها تشغل الاذهان اليوم الا وهي ترخيص حكومة الجناب العالي الخديوي للسير الوين بلمر ورفقائه بتأسيس شركة مساهمة تدعى « بنك الحبشة » أو بعبارة أوضح انشاء فرع للبنك الاهلي المصري في اديس ابابا رأس ماله ٥٠٠ الف جنيه و يديره مجلس مؤلف من ثمانية اعضاء

بينهم عضوان من أعيان الاحباش . وان كان هذا البنك الانكليزي فعلا الدولي اسما سيكون من اكبر الوسائل الموصلة لتوسيع نطاق المعاملات التجارية بين المملكة الحبشية والبلاد المصرية وربط انحاء البلاد بالسلع والبضائع الا انه سيتولى من جهة ثانية مراقبة جميع المسائل المتعلقة بتبادل النقود الحبشيه رمساواتها بالنقود الاوروبية وبصيرورته على تقادم الاعوام خزينة للحكومة بمعنى انه يصرف رواتب الموظفين ونفقات الجيش ويقبض الضرائب ورسوم الجارك والعوائد ويحفظ لنفسه الحق بان يسمح للحكومة بسحب الدراهم او ان يأباها عليها ويتولى كذلك مباشرة ادارة الاملاك الاميرية وفي جملتها املاك الكنائس وعلى هذا النحو سيكون رقابة عتيدة على مالية البلاد قابضاً على اعناقها مستنزفا لخيراتها وغلاتها

اما وقد أثرت سياسة المستر هارنجتون سفير بريطانيا في اديس أبابا على حكومة منليك ووصلت الى قلبها فملكتها فان انكلترا اجتازت بانشاء هذا البنك وبمسعى سفيرها العقبة الكبرى في سبيل سيطرتها على هذه البلاد. أما بغيتها في هذه السيطرة فشاملة لاسباب كثيرة لا يسعنا تعدادها كلها وانما نذكر سببين منها السبب الاول هي ان تكون مالية البلاد في قبضتها تتصرف فيها تصرف الرياح بالسحب المتقطعة وتنال منها منال الذئاب من الحملان والسبب الثاني هو توطيد دعائم مملكتها الهائلة التي يجب ان تمد من جنوب افريقيا الى شمالها ولا تتوطد الا اذا بسطت حمايتها على سلطنة افريقيا المسيحية. قال أحد وزراء ايطاليا السابقين « ان حكومة منليك ارتكبت الخطأ الاكبر في استسلامها لمطالب انكلترا التي ترمي الى غرض واحد نتيجته فتح البلاد فتحاً سلمياً فاذا ضمنت انكلترا حفظ الموازنة الدولية في الحبشة ولم تعترضها الدول في هذا السبيل والدول لا تحارب لاجل الحبشة ولكن لاجل نفوذها فيها سهل على الانكليز كل عسير »

فاذا لم يتبصر الاحباش منذ الآن في العواقب فالمستقبل مظلم مدلهم وسيجيء اليوم الذي يجلس فيه الحبشي على انقاض عشته واثار دارسه يبكي على وحشة بلاده

و يذرف الدمع على رفات امته و ينقبض فؤاده بتذكر أيام مجده

١٩

تاريخها ومقاييسها

﴿تاريخها﴾ ـ التاريخ المستعمل في هذه البلاد هو التاريخ الميلادي ناقصا ثماني سنوات . ويفتتح عامها في ٢٩ اغسطس وهو اليوم الموافق ليوم حدوث المذبحة الهائلة التي حدثت في مصر وقتل فيها عشرات الالوف من بني القبط بامر دقلطيانوس

وتنقسم السنة الحبشية الى ١٢ شهرا وكل شهر الى ٣٠ يوماً ثم يضم ٥ ايام في نهايتها تتميما لها فتكون ايام السنة الحبشية على هذا المثال ٣٦٥ يوماً يزاد عليها يوم واحد في كل أربع سنوات . اما شهورها فكما يلي :

شهورها	الشهور القبطية	الشهور الميلادية	افتتاحها
مسكرام (١)	توت	سبتمبر	٢٩ اغسطس
تكميت	بابه	اكتوبر	٢٨ سبتمبر
ميدار	هاتور	نوفمبر	٢٨ اكتوبر
تكشام	كيهك	دسمبر	٢٧ نوفمبر
طيت	طوبه	يناير	٢٧ دسمبر
بيكاتيت	أمشير	فبراير	٢٦ يناير
مجابيت	برموده	مارث	٢٧ فبراير
ميازيا (٢)	برمهات	ابريل	٢٦ مارث
جنبوت	بشنس	مايو	٢٦ ابريل
سنيه	بؤونه	يونيو	٢٥ مايو
عمليه (٣)	ابيب	يوليو	٢٤ يونيو
نحاسيه	مسرى	اغسطس	٢٤ يوليو

(١) الصايب (٢) الربيع (٣) شهر الملح

﴿مواز ينها﴾ ـ وحدة مواز ينها الرطل ووزنه ٤٥٠ غراماً والاوقية ووزنها ١٣ غراماً و٣٣٣ مليجراماً والليبرة وتساوي ٥٠٠ غرام او رطلا مصر يا (والفروسالا) يتراوح وزنها بين ١٠ ارطال و١٢ رطلا

﴿مكاييلها﴾ ـ وحدة مكاييلها الداوولا ومكيالها ٩٠ لترا لكنها تختلف باختلاف مواقع البلاد ـ والكونا ـ ومكيالها اربعة لترات ونصف لتر

﴿مقاييسها﴾ ـ وحدة مقاييسها الذراع ويسمى «كند» والشبر ويسمى «سنجر» والقبضة وتسمي «جات» والاصبع ويسمى «تات»

٢٠
مساحتها

٥٦٠ الف كيلو متر مربع من الارض تحيطها الهضاب والصحروات الجبال والفلوات احاطة السوار بالمعصم هذه هي مساحة السلطنة الحبشية الكريمة التربة الصالحة للزراعة الغزيرة المياه فلا هي تحتاج الى مد ترع أو اقامة قناطر لريها ولا هي تحتاج الى سماد او آلات زراعية لغرسها . لكن يا للاسف! ان جل هذه الاراضي متروكة لا يسمع فيها صوت دواليب المحراث ومنجل الحصاد ولا يرى بها اقدام مزارع يحييها وينميها ويقص اغصانها كانها حقول مهملة أو أمكنة ملعونة لاخلاد الاهالي عن العمل واستكانتهم الى الراحة

ولا أشير هنا الى أسباب خلودهم عن العمل على فرض حصوله لانه ليس من بحثي في هذا الفصل لكن غاية ما ينبغي ان أقوله وأشير اليه ان أهل الحبشة أهل بداوة والبدوي من طبعه قنوع باليسير فلا يعمل الا ما تبلغ منه النفس جهد طاقتها ومبلغ حاجتها او قد تكون اسباب استكانتهم الى الراحة من طبيعة بلادهم لان كل بلاد على رأي العمرانيين امرعت اكنافها بالخيرات واصبح الرزق ميسوراً اخصب السكان فاستحوذت البطالة على النفوس

وواضح من هذا البحث معنى قولي الذي كررته مراراً من ان الحبشة بلاد غنية جيدة

التربة محتاجة الى ايدي تعمل وتشتغل لاحيائها واستغلال ثروتها . فليبادر المصريون والاقباط خصوصاً الى امتلاكها واصلاحها تدريجاً مباراة للعناصر الاجنبية التي تقاطرت اليها افواجا من كل حدب وصوب فيجدوا من خيراتها ما يتعبهم الاتعاب والمشاقات

والحبشة مع كل ماذكر من مساحتها لاتزرع غير نحو عشرها فقط وتلك تنقسم الى خمسة اقسام الاقطاعات الملوكية وهي الاراضي الخاصة باصحاب التيجان . والاميرية وهي الخاصة بالحكومة والتي توزع الى حصص ذات مساحة محدودة ومسطح معلوم بين الرؤوس والقواد والضباط والجنود فينال كل منهم حصته حسب رتبته ومقامه وهذه الاراضي مقيدة بنظامات واحكام تتمشى عليها اهمها انها لا تكون ذات علاقة بابناء المستحوذين عليها الا اذا ورثوا وظائف والديهم لكن هناك من اشخاص الحوادث الزمانية ما يصعب دخولها ضمن حكم من هذه الاحكام وفي هذه الحالة تبقى الارض في يد الوارث بصفة استثنائية

والاقطاعات الكنائسية وهي الاراضي الخاصة بالاديرة والمعابد وهي من اوسع الاقطاعات واخصبها واوفرها محصولا لتفاني الاحباش في منح املاكهم للهيئة الدينية وقفاً على الفقراء والمساكين حتى صارت املاكها عبارة عن جزء من عشرة اجزاء من بلاد الحبشة

والاقطاعات الاهلية وهي الاراضي الخاصة بالاهالي لا ينازعهم فيها منازع وهي عبارة عن خمسة اجزاء من عشرة اجزاء من الاقطاعات الخمس

والاراضي الموقوفة وقفا اهلياً وهي المسماة بلغتها « جولت » ليس للحكومة شأن في تداخلها ولا ادنى علاقة بها يتصرف فيها مالكها الوارث كيف شاء فان مات بلا عقب ضمت املاكه الى الحكومة وتارة الى الاقطاعات الملوكية او الى الكنيسة حسب ارادة المالك في وصيته (١)

(١) يقضي نظام الحبشة الشرعي ان الفروع العصبية اي القرابة الفرعية وهي التي تكون بين الاخوة أو بني الاعمام والاعمام فانها لا ترث شيئاً ما قطعيا اما باقي نظام الوراثة ونواميسها فهي اشبه بالحال الذي نتمشى عليه

الجزء الثاني

١

اسم سكانها ونسبهم

لكل شعب من شعوب الارض اسم يعرف به ونسب ينسب اليه بشواهد الاحوال والتعارف من المقارنات في الزمان والمكان وما يرجع الى ذلك من الذريات المتعاقبة المتنقلة من جيل الى جيل على توالي الازمان . وقد اكد علماء المؤرخين من البحث والاستقراء ان الشعب الحبشي من سلالة الاثيوبيين الحقيقيين . والاثيوبيون أمة سامية قديمة النشأة أصلية الموطن كان مبدأ ظهورها على ضفاف النيل ما بين شلال أصوان والنيل الازرق فعبرت شاطئيه الى داخلية البلاد ومن ثم الى ضفاف البحر الاحمر الى ان تفرقت في شرقي افريقيا وعرفت اليوم بالامة الحبشية

وقد قسم القدماء الامة الاثيوبية الى قسمين القسم الاول وهو القسم الشمالي واخره عند الدامر وأوله عند شلال أصوان وهو اثيوبيا السفلى والقسم الثاني وأوله عند النيل الازرق وآخره ضفاف البحر الاحمر أو الخليج العربي وهو اثيوبيا العليا والذي يعرف أهله ايضاً بالكوشيين او بنو كوش و بالاحباش او بنو حبش . فهي ثلثة أسماء أقدمها واخصها الكوشيون واحدثها واعمها الاحباش وأحبها لديهم الاثيوبيون

أما سبب تسميتهم بالاثيوبيين فقد اكثر المؤرخين من تحريه في البحث والتنقيب فذهب ابادي الى ان اصل اسم اثيوبيا تحريف لاصل عندنا مجهول الآن مثل جل الاسماء المجهولة بل ربما كان الظاهر به خلاف ماروا ه الاكثرون وقال ماريت باشا ان اسم اثيوبيا كان يطلق قديماً على جميع القارة السوداء أو الجهات الجنوبية لبلاد مصر وهي المنطقة المحترقة التي يقطنها الجنس الاسود من بني البشر وقال جيبون المؤرخ الانكليزي نقلاً عن المؤرخين المتقدمين ان لفظة أثيوبيا كلمة اصلية في اللغة اليونانية يراد بها على اطلاقها احترق وجهه أي اسود لكنها تفيد بنوع خاص

الاحباش لجوارهم لخط الاستواء ووجودهم في المنطقة المحترقة التي سودت جلودهم وحرقتها وهي رواية متجلية حقائقها مثبتة نقلياتها لشدة الصلة بين المعنى واللفظ الموضوع له أو بتعبير أوضح هي ذات الحقيقة التي بني عليها المؤرخون دعامتهم في تشييد التسمية على هذا الوجه الصحيح

اما تسميتهم بالكوشيين فهو تعريف مأخوذ من جملة أوجه ففي التوراة نفسها نصوصاً على تسميتهم بالكوشيين من كوش وزد على ذلك ان المصريين دعوهم بهذا الاسم ثم نقشوه على آثارهم الباقية الى الآن. ولا خلاف في أصل هذا الاسم فانهم انما دعوا كوشيين نسبة الى كوش ابن حام بن نوح جدهم الاعلى فاطلق الاسم على جميع القبائل والعشائر من عقبه ثم على فئة منهم الى ان عمهم جميعاً

اما تسميتهم بالاحباش فهو اسم اطلقه عليهم غيرهم وأوردته التواريخ القديمة بين مصرية وايطالية وعربية فذكر في التاريخ المصري بلفظة « ابيسي » ويراد بها الاراضي المحاطة بالصحارى كما هو مشاهد على اثار الوجه القبلي (١) وفي التاريخ القبطي والايطالي بلفظة الاحباش ويراد بها ارض الاخلاط لكثرة عشائرها وفصائلها وارهاطها وهو تعريف مأخوذ بلا ريب من العرب لان العرب أول من اطلق عليهم هذا الاسم ودعوهم به. قال صاحب الطراز المنقوش انما سمي الاحباش حبشاً نسبة الى جدهم حبش بن كوش ولذا تلحق بهم ياء النسب عند الاضافة فيقال حبشي وحبشية (٢)

واذا بحثنا في ترجيح هذه الاقوال الثلاثة رأينا ان القائلين بالنسبة الى حبش

---

(١) قال المرحوم بروكش باشا ان اسم الحبشة وجد على الاثار المصرية بلفظة ساريس كما ورد في انجيل متى ٢١ : ٤٢ (٢) قال ابن دريد جمع حبش احبوش بضم الهمزة ويقال حبشان واحبش واما قولهم الحبشة فعلى غير قياس وقال ابن هشام في شرحه على المقصورة الدريدية ويقال في الجمع ايضاً احبوش وحبشة والتحبيش التجميع

لا مؤيد لقولهم الا وجود حبش في سلسلة النسب لكوش ولا مميز له عمن سواه من الداخلين في تلك السلسلة بل ربما كان لغيره شهرة أعظم ومنزلة أعلى في تاريخ الامة الحبشية القديم فضلاً على ان الاحباش أشد الناس محافظة على الانساب وحنوهم الى الانتماء الى اقدمها فلو كان لهم وجه لترجيح الانتساب الى حبش لتمسكوا به لقدمه

اما الان فقد غلب عليهم اسم الحبش وقد يراد به التحقير كما يراد بتسميتهم بالاثيوبيين التوقير وعلى الجملة فالحبش اسم اطلق عليهم ولم يستعملوه اليوم الا مضطرين الى التعريف بنفسهم بمقتضى مألوف سائر الامم ولا يزالون يدعون انفسهم بالاثيوبيين عند الكلام على انفسهم

ولما كان لتعريف الامة بوطنها أو ملكها أو جدها أمر مألوف وكثير الوقوع فقد أطلق اليونانيون قديماً على هذه المملكة مملكة «سبا» نسبة للملكة بلقيس التي ذهبت الى سليمان بن داود ورزقت منه ولداً أسس العائلة الملوكية في هذه الاقطار وظلت معروفة باسمها اعني سبا حتى أطلق عليها العبرانيون مملكة السالوميت ثم اطلق عليها أهلها مملكة الجيز أعني مملكة الاحرار وكسكتام أعني مملكة المسيحيين وكائي أي مملكة الرجال ذوي اللون الاحمر ثم اطلق عليها الاوروبيون امبراطورية الاب يوحنا في العصر المتوسط والامبراطورية الحبشية في هذا العصر

هذا ولا يزال كثير من العلماء المتبحرين يبحثون وينقبون عن اسم الاحباش الاصلي لثبوته بالنص القطعي والدليل الساطع ليتيسر معرفة المخلوقات العضوية القديمة التي صارت هذه الامة سلالة لها .

٢

اصلهم وعناصرهم

اختلف المؤرخون في اصلهم لخفائه واندراسه بدروس الزمان وذهابه مع توالي الاحقاب ووقف اكثرهم في ابحاثه بين الشك واليقين لانه سالب الثقة

بالحكم و بالعقيدة وقد يكون السبب في ذلك ان الاحباش عاشوا لا وصلة بينهم و بين العالم وكانوا في القديم على غير حالهم اليوم من البعد عن القوم ونحن الان يقل فينا من يعرف تاريخهم واحوالهم مع تقريب الوصلة في الدنيا وانتقالها الى هيئة عمران متصل وأمن عمومي فكيف الحال في تلك الاجيال. وليست الصعوبة في معرفة اصل الاحباش بل في معرفة فروعهم الكثيرة التي تعاقبت من ذرية الى ذرية ومن جيل الى جيل حتى انتهت الينا على ان بعضهم لبثوا على اصلهم وكيانهم والبعض الاخر وهو الاقل عددًا تبدل كليا

والذي ظهر لنا من مطالعة أراء المؤرخين والباحثين ان هناك تفاوتًا عظيماً في أقوالهم وكان هذا التفاوت من أعظم بواعث الاختلاف بل اثبت لنا ان كل مؤرخ روى على قدر ابحاثه ومألوفاته ورجح ما شاء ترجيحه فزعم اناس ان الاحباش اسيويون اي انهم هاجروا اليها من اسيا وقالوا وما كانوا سودا بل كانوا بيضًا فسودتهم حرارة الشمس كما قال ابن سينا في ارجوزته الطبية

في الزنج حر غير الاجسادا حتى كسى جلودها سوادا
والصقلب اكتسبت البياضا حتى غدت جلودها بضاضا

واذا كانت الحجة الكبرى لاصحاب هذا الرأي أصل الاحباش من الجنس الابيض ثم سودتهم شمس اقليمهم بحرارتها المتضاعفة عن حرارة الاقاليم المعتدلة فهي ليست بالحجة الراهنة من انهم أسيويون (١) لان علماء طبائع الكائنات لم يوردوا في أقوالهم شيئًا عن أصول الامم حتى يؤخذ رأيهم بمثابة حجة قاطعة واذا فرضنا ان هذا التأويل يحتمل التوسع فليس لتلك الحجة وحدها ما يوجب الترجيح برجوع

(١) قال أحد المؤرخين ان سكان المنطقة المحترقة في افريقيا اختصوا بلون السواد لدعوة كانت على حام من أبيه نوح ظهر أثرها في لونه وفيما جعل الله الرق في عقبه وهو قول مدحوض لا حقيقة له الا في مخيلة بعض النسابين الذين لا علم لهم بطبائع الكائنات

الاحباش في أصلهم الى الاسيويين وعلى رأيي ان هذا تأويل اقتضته الضرورة وكل تأويل اقتضته الضرورة لا ينبغي ان يسلم به أو يستسلم له

وذهب فريق الى ان الاحباش من سلالة اليهود الذين تشتتوا في الارض عقب اضطهادات بختنصر ملك اشور وبابل وجاءوا الى مصر ومنها ركبوا النيل حتى انتهوا الى البلاد البعيدة فوقفوا في المنطقة المحترقة والقوا بها عصا التسيار . وذهب البعض الى انهم من نسل مصرايم بن حام بن نوح ذلك لان مصرايم اسس مصر ثم قام بنوه باعباء تلك المملكة موءلفين لطائفة الحرشسو ثم اختلفوا وتفرقوا فاتخذ فريق منهم النيل طريقاً يوصله الى نقطة غير مأهولة ليكون بها مملكة يقوم باعبائها بلامنازع فسارت تلك الطائفة تتوغل في وادي النيل حتى وصلت منابعه الشرقية وهناك وجدت المياه متوفرة بكثرة والاراضي لم يشقها محراث فاناخت بها المطايا وحطت الرحال ووطدت العزم على الاقامة بها ثم عمدت الى التجارة فاتقنتها ثم اجتمع كل شخص بمن هو على شاكلته واحتل نقطة والف عائلة مخصوصة وترأس عليها وهكذا استعمرت تلك البلاد ووجدت بها الطوائف العديدة المكونة لها . وقال اهرشيوش الموءرخ اليوناني ان سبا (الاحباش) واهل افريقيا البربر من جويلا بن كوش ويسمى يضول .

فان كان الرأي الاول اي انهم من سلالة اليهود فليس للرواية من دليل قطعي لعدم كفاءة الاسباب وضعف البرهان ولان اليهود دخلوا البلاد بعد تأسيسها بامد طويل ولايزالون فيها الى اليوم محافظين على عوائدهم وكيانهم وحيويتهم ويسكنون في قسم خاص بها . وان كان الرأي الثاني فهو باطل ومن اغلاط الموءرخين لعدم استناده على صحة ولان طائفة الحرشسو قدمت الحبشة بعد تكوينها وقطنت في جهاتها الجنوبية والشرقية ولاتزال ذريتها باقية الى اليوم تشابه المصريين شكلا وهيئة وان اختلفت عنهم لوناً وعوائداً . وان كان الرأي الثالث فهو غلط محض لان يضول كما جاء في التوراة من ولد يافث والاحباش من ولد كوش بن حام

على ان مشائخ علماء التاريخ ومنهم هيرودوت وديودور الصيقلي الذين بحثوا في

أصل البشر اتفقوا على ان الحبشة أقدم الامم التي ظهرت في الارض بعد تبابل الالسنة وعهد قوم نوح وانها لم تأت من أرض خارجة عن ارضها بل ولدت بها ونشأت فيها ولهذا يسمونها الشعب الاصلي الموطن أو برأي معقول انها ولد كوش بن حام وجعلوا برهانهم بمثابة ذات الواقع وتشخيصه اذا صح ولامحالة ان الطوفان حدث وان الذين سكنوا الارض بعد فجر الخليقة هم من سكن أواسطها لان الشمس المحرقة جففت الارض من المياه بعد هذا الطوفان العظيم

ومهما يكن من اختلاف المؤرخين وتعدد الاقوال في اصل الاحباش فالثابت المقطوع به في التاريخ كما تدل عليه التحقيقات الصحيحة وتقتضيه صحة المأخذ والمستند والنتيجة الصادقة انهم من سكان افريقيا الاصليين ومن سلالة الشعوب التي تألفت منها مملكة اثيوبيا القديمة العظيمة أي انهم من اولاد كوش ومن أصل أفريقي وهو الاصح باتفاق آراء الاجماع .

ولما كان بقاء الامة دون اتصال بغيرها او امتزاج بسواها على توالي الاجيال من الاستحالة واللاوقوع حصل مثل هذا الاتصال وذاك الامتزاج بالاحباش لاختلاطهم بجملة عناصر مختلفة كثيرة من هاجر اليهم من الامم كما وقع في اصل كثير من أهل العالم مثل المصريين والعرب واليونان وغيرهم وا كثر من تأثر بهذا الاختلاط اهالي بلاد لستا الواقعة اعلى نهر التكازيه واهل ولاية اجامدور الواقعة غرب بحيرة دنبعة وعلى هذا يصعب على المؤرخ ان يرجع بالاحباش الى اصل واحد في هذا العهد او الى بضعة اصول على التحقيق لكن الراجح ان اصولهم الكبرى ترجع الى اصلين كبيرين « حامي وسامي » فالاصل الحامي مؤلف من ثلاثة عناصر :العنصر الاول هو الشعب الاثيوبي الاصلي الموطن الذى وجد بها بعد الطوفان و يكون نحو نصف سكان البلاد تقريباً والمعتبر فيما بين اهاليه باسم «أجاووه» أو « اجوه » او «اجو» او «اجويه» ويراد به الاحرار على اختلاف اللفظ وائتلاف المعنى . والعنصر الثاني وهو العنصر السوداني الذي يعرف بالزنج او العبيد ومن المرجح انه من سكان

افريقيا الاصليين (١) ويقطن على شواطيء النيل الازرق من جهة السودان. والعنصر الثالث وهو العنصر المصري او بقايا طائفة الحرشسو التي نزحت الى هذه الاقطار ومنه العداليون سكان ولاية عدال.

أما الاصل الثاني فهو فروع من عنصرين العنصر الاسرائيلي وهو سلالة اليهود من سبط لاوي الهارب من ارض كنعان الى هذه البلاد على أثر خراب اورشليم ويعرف «بالفلاشا» والعنصر العربي وهو سلالة العرب الذين نزحوا الى هذه البلاد طلباً للرزق واستوطنوا سواحلها وحدودها ويعرفون «بالجبرتة» مع بقية المسلمين من العنصر الحبشي.

٣

اوصافهم الخلقية

قد علمت مما تقدم ان الاحباش في اختلاف اصول كما هم في اختلاف انساب وفي تباين عناصر كما هم في تباين شعوب تجمع اصولهم خمسة عناصر كبار اولها يقرب شكلا من الجنس اليوناني وهو العنصر الحبشي الاصلي وثانيها من الجنس الاسود وهو العنصر الزنجي وثالثها من الجنس المصري وهو العنصر العدالي ورابعها وخامسها من الجنس الاسيوي وهما عنصرا اليهود والعرب

ويختص العنصر الاول برقة البدن وربعة القامة وحسن تناسب الاعضاء وسمرة اللون مع ميل الى الاحمر الفاقع وصلابة العضل ومتانة العصب وقوة البنية وكثرة الشعر الجسدي وتناسب الاطراف وخفة اللحية والشارب وسمك الحاجبين دون اقتران وفلفلة الشعر واستطالة الرأس واتساع الصدر والجبهة وبروز الوجنتين وفتور العينين مع حدة في بصرهما وبياض الاسنان مع متانتها ورقة الشفتين مع ضخامة الشفة السفلى قليلا وعرض الشدق مع اتساعه

ويختص العنصر الثاني الزنجي بسواد اللون وقحط الشعر وفطس الانف وضخم

---

(١) يقول المؤرخون ان الزنوج من اصل قديم قبل التاريخ وهم في عرف علماء الطبيعة من السلالة الثالثة التي هي ادنى السلال البشرية

خنابتيه واتساع الشدق و برطمة الشفتين وبروز الفك وضيق القحف وصلابة عظامه وطول اليدين بالنسبة اليهما في البيض واعوجاج الساقين وقلة لحمهما وهم في الغالب طوال القامة

و يختص العنصر الثالث المصري باستقامة العمود وحسن تناسب الاعضاء ورشاقة القد وهو يشابه المصريين كل المشابهة الا انه يمتاز عنهم باتساع الكتفين والجبهة واستقامة الانف مع تحدب خفيف في وسطه واستطالة الرأس وقلة الشعر كباقي الافريقيين

اما الذين هم من العنصر الرابع الاسيوي او اليهود فهم اجمل شكلا واحسن هيئة من الذين هم من العنصر الخامس العربي وذلك لشبههم بالبدو في هيئتهم وانضغاط و بياض وجوههم ودقة انوفهم وصحة دائرة وجوههم وتناسب افواههم وقلة ضخامة شفاههم وحدة بصرهم وحسن انتظام اسنانهم وجعودة او سبوطة شعورهم واعتدال قامتهم و يدخل ضمن هذا العنصر امة « الكاومنت » القاطنة حول السهول المحيطة ببحيرة دنبعه

والذين هم من العنصر الخامس العربي يمتازون عن من هم من العنصر الرابع بانف اقل دقة مع فطس قليل في جميع طوله و بضخامة الشفتين وطول العينين مع حدة في بصرهما و بغلظة الشعر الصوفي السميك الذي يكون على الغالب واقفاً في رؤوسهم

وقد عد المؤرخون اهل الحبشة على اختلاف عناصرهم من العنصر الزنجي حتى جاء البارون لري الباحث المدقق وافسد معتقدهم حيث قابل بين الحبشي والزنجي فوجد عين الاول اكبر ومنظره الطف وزواية العين من الداخل اكثر ميلا بقليل ووجنتيه وقوس وجهه اكثر بروزا والمثلث المؤلف من الخد وزوايا الفم اكثر استقامة وشفتيه ضخمتين ولكنهما غير مقلوبتين كما في الزنجي واسنانه الطف واحسن مغارز واقل بروزا وقوس مغرز اسنانه اضيق ولونه ليس حالكا كلون الزنجي

لونهم - يختلف لونهم باختلاف عناصرهم و باختلاف مناطقهم فترى الاسمر الفاتح والاسمر الغامق والاحمر الفاتح والاحمر العسلي والاصفر النحاسي والاسود القاتم والاسود الفاتح او شبه الاسود

٤

اوصافهم الادبية

الشعب الحبشي بقية امة عريقة في المجد تليدة في الترف كبيرة في السلطان وضخامة الملك ترامت عليها الامم في صدر الاجيال الغابرة فلم تر منها الا شعوراً حياً وشجاعة فائقة واخلاصاً كبيراً ووطنية عالية وعقلا سامياً كأن الصفات الفاضلة والفضائل الجليلة موهبة من مواهب الرحمن لهذا الشعب الكبير القدير

قال هيرودوت « الاحباش أهل قوة و بأس وشعب رفيع الجناب كبير النفس شديد المراس عالي الهمة اخاف شعوب الارض واوقع الرعب في النفوس » ثم وصفهم في فصل آخر بقوله « هم أهل كرم وذكاء اباة النفوس كبار الابدان حسان الصور كاملو البنية يعمرون طويلا ولهم خفة ورشاقة في السباق يقل نظيرها » وقال ديودور « الاحباش أهل سعة ورخاء يتشابهون اخلاقاً وعوائداً ويختلفون مشاربا ومآربا تجمعهم جامعة الوطن وجامعة الجنسية » وقال بلين المؤرخ المعاصر للامبراطور ادريانوس الروماني « اما والله لو نفخت نسمة من روح الحبشي على نفوس قوم وكانت ميتة الوطنية لاحيتها وجبانة لشجعتها وضعيفة لقوتها » وقال هومير « الاحباش اعدل الناس وأقربهم الى الالهة محبة والى الدين تعزيزاً » وقال بطليموس افرجيت « شجاعة مع النخوة و بسالة مع المروءة هذا هو الحبشي »

تلكم صفات قدماء الاحباش ولو بحثنا مع الباحثين عن طبائع النفوس وطباعها نجد ان الامم الحالية ان هي الانسخة مطابقة للاصل المتولدة منه وصفاتها مرتبطة بما كانت عليه اسلافها وتلك النظرية من صفات الامم الباقية على حالتها القديمة وعوائدها لانها ترجع في اخلاقها الى الاصل الخارجة منه الصادرة عنه بخلاف الامم المتمدنة التي تغيرت وتبدلت اخلاقها وعوائدها وصفاتها بتبدل مدنيتها وحالتها الاجتماعية حسب ظروف الزمان والمكان واحتياجات بني الانسان . ولا مندوحة مما تقدم ان احباش اليوم على اصول الفضائل والصفات الموروثة عن اجدادهم ولهم حسن

الاذعان في التشبه بها تمسكهم بالقديم واقتفائهم أثر السلف الصالح ومعلوم ان الفضائل والصفات التي يظهر أثرها في ذرية امة تكون جميعها ملكة راسخة في نفوس تلك الذرية يصعب انتقالها عنها اى انها لا تتغير ولا تتبدل الا اذا تغيرت النفوس وتبدلت المبادىء وتغيير النفوس وتبدل المبادىء ليست من الامور السهلة المنال خصوصاً لامة مستقلة لم تقو عليها امة اخرى حتى يصح ان تتبعها لان الامة المغلوبة كما قال ابن خلدون تتبع الامة الغالبة في سائر احوالها .

ولو اتخذنا امارات اوصاف الحبشي الخلقية وطبقناها على اصول اهل الفراسة في اوصافه الادبية لوجدناه الرجل الضاحك الثغر الخفيف الروح النزاع الى الحرية الناشيء على حب الاستقلال لا تشغله السياسة ولا يهمه العالم حتى ولا امرأته ولا اولاده فهو لا يهمه غير ارضه وغير وطنه وغير حاكمه ان يكون من بني جنسه وهي عواطف حية صيرت له البأس خلقاً والشجاعة سجية والانفة صفة تتنزل به منزلة الطبيعة ولا تنفك عنه حتى يبلغ ارذل العمر ويدنو من حافة الابدية

الحبشي هو ذلك البطل المغوار الذي يمثل لشعوب العالمين قاطبة صور البسالة على اوسع معانيها فمن شجاعة الاسد الى حكمة الافعى ومن شهامة البوبري وحميته الى مروءة العربي ونخوته بل هو ذلك الانسان المفطور بالمدافعة عن نفسه فلا يكلها الى سواه ولا يثق فيها بغيره يرجع اليها متى دعاه داع أو استفزه صارخ . وكل تلك المزايا الحسان جعلته اليف الجراءة والاقدام كما جعلته نشيطاً انما مع هذا النشاط يتردد في اعماله تارة على سبيل التفريط وأخرى على سبيل الافراط او كما يقول مونتسكيو الفيلسوف الافرنسي « البدوي مع نشاطه يسلك في العمل اما على سبيل التفريط واما على سبيل الافراط فهو يهدم في بعض الاحيان بمائة الف ساعد كل شيء وتارة بمائة الف قدم لا يسيرا كثر من الحشرات »

والحبشي لين العريكة هادىء الطبع ان تسكره سورة الغضب لكن الجهل يدفعه على الغالب لان تثور عليه نفرة الخلق فيأكل بعضه بعضاً دون

ان يشعر و يبيد نفسه بنفسه دون ان يدرك قال الرحالة هاريكور الباريسي « الحبشي مع دماثته لا يأمن من التهور والسقوط في هاوية الغضب الشنيع الذي يجعله منكباً على قتل ونهب كل ما يلقاه في طريقه حتى يأتيه ما يورده مورد الهلكة فلا تتبعه على أثرها لهفة حنان ولا تنسكب عليه قطرة رحمة وقد يكون تهوره من جهله وغضبه من سلطان الاقليم على أخلاقه » وهو قول معقول لانه اذا كان للجهل تأثير عظيم في اخلاق الشعوب وعاداتهم فلمناخ الاقليم تأثير أعظم واجل فتتغير وتتكيف أخلاق الشعب على حسب اعتداله وحرارته

ثم من اهم طباع الحبشي الفرح والسرور وكثرة الطرب والخفة والطيش و يمكن ان يقال لو بحثنا عن السبب الذي حمله على كثرة الطرب والخفة لوجدناه على الاغلب من طبيعة بلاده وحرارة ارضه قال ابن خلدون « ان طبيعة الفرح والسرور هي انتشار الروح الحيواني وتفشيه وتقرر ان الحرارة مفشية للهواء والبخار مخلخلة له زائدة في كميته ولذلك تجد في المتفشي من الفرح والسرور مالا يعبر عنه وذلك بما يدخل بخار الروح في القلب من الحرارة الغريزية التي تبعثها سورة الخمر في الروح من مزاجه فيتفشى الروح وتجيء طبيعة الفرح »

ومما امتاز به الحبشي على غيره من الامم السخاء وحب الغزو ومراعاة الجار والاخذ بالثار واحترام العرض وحب الوطن والدين واللغة وتلك صفات سامية عالية قوت فيه اباءه على الضيم والنفرة من الذل وحركت فيه شعور التفاني في استقلاله وحريته. قال العلامة شنفورث الالماني « الحبشي هو المستهين بالاستشهاد في سبيل المحافظة على وطنه فاذا اظلم الجو بالشر يوم الحرب الفيته ينسل الى ميدان القتال طالباً النصر او الموت استيحاشاً من التخاذل وهو لا يقف امام عدوه موقف المدافع بل يأخذه على غرة فيفتك به الفتكة البكر »

كذلك من أخص سجاياه وأشد أركان مفاخره الشهامة والمروءة وطول الاناة واحتقار الموت والصبر على مضض الشقاء وشظف العيش واحسان وفادة الضيوف التي يقول فيها الشاعر العربي

ياضيفنا لو زرتنا لوجدتنا نحن الضيوف وانت رب المنزل

هذه هي صفات واخلاق الشعب الحبشي الذي عرفه العالم منذ مئات من السنين متمسكا بعوائده القديمة ونواميسه القديمة وهذا هو الشعب الذي حفظت له المشيئة ذرية حية الى يومنا هذا وحفظتها ذخيرة من ذخائر الاثيوبيين وبقية من بقايا الالهة وقوة من قوى الطبيعة العاملة التي احيت الاجيال دون ان تموت او تخمد او تدول كما دالت كل دول افريقيا

وان كان هذا الشعب هو الشعب الذى سادت فيه الفضائل واستملت مكارم الاخلاق فان له رذائل تنكصه عن التمام وتحتاج الى تغيير كبير في حياته العلمية والادبية والاجتماعية فالحبشي يحتاج الى علم ينير طريقه ويطلق افكاره من قيود الاوهام والاراء السخيفة ويغرس في عقله حاسة حب الجامعة وحرية الضمير وسمو المبادىء العالية . وقد يكون الجهل سبباً لاضمحلاله وملاشاته في مستقبل الايام بعد ان فتح بلاده للعناصر الاجنبية التي من خواصها ابادة الامم الشرقية او اجلاؤها عن ارضها مهما كان بأسها ومهما كانت وطنيتها وكل صفحة من التاريخ أعدل شاهد على صحة ما اقول

ويرى فريق من الخبيرين باخلاق الشعوب انه لا سبيل لنجاة الحبشي من الدائرة الضيقة التي أصبح فيها الا ان يستعد لمكافحة الشعوب الحائمة حوله ويستجمع من القوة ما يساوي القوة التي تهاجمه خصوصاً تلك القوة المعنوية وهي قوة العقل والعلم التي هي أساس كل قوة سواها كما يقول قاسم بك أمين

فاذا تعلم الحبشي وأنارت المدنية عقله وأخذت الافكار الحرة والمبادىء السليمة تمتد وتنمو وتكبر فيه حتى يبلغ من الرقي الادبي والحيوي ما يستطيع بهما ان يعيش بجانب من يسابقه من الامم فيسبقها ويستأثر بخيراته دونها وهو اقدر على المعيشة في أرضه التي هي أبر عليه من الغريب عنها . ولا يبعد ان يسلك هذا الطريق القويم ويحفظ بلاده وحريته فقد يطمعنا بنجاحه تاريخه القديم وأحاديث آبائه وأجداده المحفوظة عنده في الكتب وفي مقبرة التاريخ والامة التي استطاعت ان تعيش طول زمانها حية مستقلة تحمل حسناتها الى الذرية لهي أمة ما انطفأت شعلة الحياة في صدور بنيها

٥

عاداتهم وخرافاتهم

أقول اتفقوا في ان عادات الامة تابعة لاحوالها موافقة لحالتها الاجتماعية ومنزلتها من المعارف والمدنية. والعادات اما ان تكون مطابقة لشريعة الامة فتكون تنفيذاً لها لا حكماً زائداً واما ان تكون مستنبطة منها فحكمها حكم المستنبط واما ان تكون وضعية فتكون من قبيل المعقولات تعرف وتقبل واما ان تكون خفية المأخذ أي انها بنيت على أوهام وخرافات فتستحق المحو والازالة

ومن وقف على عادات الاحباش وجد ان اكثرها خفي المأخذ بني على أوهام وخرافات توارثها الابناء عن الآباء واتخذوها قاعدة مسلمة بل جعلها بعضهم من المعتقدات الصحيحة التي لا ريب في صحتها

فمن عاداتهم المطابقة للشريعة (١) الختان لاعتبارهم اياه من الامور الحيوية المنمية للقوى الطبيعية المساعدة على اطالة الحياة. والتزوج باكثر من امرأة. والرقص في الهياكل تشبهاً باليهود. والاستحمام في كل يوم مرة.

ومن العادات المستنبطة تحريم البغي لاعتبارهم العفة صفة لا تنفك عن المرأة للحرص عليها. وتحريم شرب الدخان لاعتقادهم انه من الموبقات. ودفن الميت بعد موته بساعتين. واحتجاب المرأة الا عن اهلها وذويها.

ومن العادات الوضعية خروجهم عند شبوب الحرب رجالا ونساء لملاقاة العدو فالرجال يقاتلون والنسوة يضمدن الجراح. وكشف الرأس في كل حين علامة على الحداد. واخذ المنتصر رجال المغلوب وضمهم الى رجاله. والتسري بالجواري والوصيفات

أما العادات الوهمية الخفية المأخذ فهي ليست محدودة ولا ممكنة الحصر نقتصر منها على هذه العادات الآتية وهي :

---

(١) شريعتهم هي الشريعة الموسوية رغما عن انهم من المسيحيين وسيجيء الكلام عليها.

أولا ـ ان من حنث بيمينه طفق يبصق في الارض مرات عديدة معتقداً ان البصق يكفر عن ذنبه و يطهر لسانه من وصمة الحنث

وثانياً ـ اللموط أي الشروط الموسومة في الوجوه وهي عادة قديمة ينسبون اصلها الى ان ملكا من ملوك اليمن حاربهم فانتصر عليهم ثم اراد ان يستبيح حرمتهم فطلبوا منه الصلح والامان فاشترط عليهم ان يجعلوا في وجوههم هذا الوسم على هذا الرسم وهي رواية لم نجد ما يؤكد صحتها

وثالثاً ـ ان كل متزوج يخلد الى الراحة مدة عام كامل فلا هو يشتغل شغلاً ولا هو يحارب احداً

ورابعاً ـ ان الخطيب يطعم خطيبته قبل زواجهما بشهرين من الزمان عسلا مطبوخاً مع اللبن ليزيدها ضخامة وقوة ثم في خلال هذه المدة يضعها اهله كل يوم في حفرة من الارض مطيبة بالخشاب ذات رائحة عطرية فيدخل الدخان الذي تصاعد من هذا الخشب المحترق في مسام جلدها فتعرق كثيرا و يتبدل جلدها الاسمر بجلد ابيض جميل ناعم كالمخمل او كالدمقس وفي يوم العرس يتناول العروسان طعاماً مطبوخاً من دجاج مسحوق لحمه بعظمه مخلوط بالسمن لتقوية أعصابهما

ثم هنالك عوائد أخرى يصعب علينا تدوينها وغالبها قبيح فاسد لكنني اعتقد انه لا يمضي زمان طويل حتى تقضي حالة الحبشة الاجتماعية الى ترك بعض عوائدها المذمومة التي تمثل الجهالة على اوسع معانيها و يمنعنا المقام عن نشرها احتراماً للمتمسكين بها .

﴿خرافاتهم﴾ ـ لا تخلو امة من امم العالمين من خرافات يعتقد بها خواصها كما يعتقد بها عوامها الا انها تتفاوت في كل شعب بنسبة درجة علمه ورقيه وحضارته وأروني أية امة لم تعتقد بالسحر و بالشعوذة واية مصر من الامصار لم تكن مملوءة بالدجالين والمنجمين الذين يبنون مقاصدهم و يدعمون قواعدهم و يشيدون مقاماتهم الخيالية في النفوس والعقول فيتلاعبوا بالاوهام في الافهام . وعند معشر الاحباش من أولئك الدجالين اصناف عظيمة الوقع خطرة المحل يضطرني عدم التوسع ان

أضرب عن تفصيلها صفحاً وان أقل كلمة عن « اللباشة » واللباشة كلمة حبشية يراد بها العرافة او المعرفة العالية أو الحكمة أو هي بافصح تعبير صحيح علم معرفة الغيب

ولا يعرف اللباشة من بني حبش الا القليل وهؤلاء يلازمون اكابر القوم وعظمائهم ليكشفوا لهم الغيب عن مكنونات ضمائرهم و يفتحوا امامهم باب المستقبل المغلق و يمنونهم بالاماني والآمال . ويعد الاحباش معرفة « اللباشة » من العلوم العالية التي لا يستطيع كل فرد معرفتها او انها مختصة باناس ذوي مدارك سامية وعقول واسعة يرفعون النقاب عن الضائع والمسروق و يكشفون زراعي الشقاق والفتن في البلاد و يعرفون القاتل و يشهرون العدو النازل

وقد يحمل الساحر العليم « باللباشة » شبه جراب فيه بعض العقاقير الطبية والابخرة و يصحبه فتى صغيراً يتراوح عمره بين الثامنة والثانية عشرة و يحمل اناء فارغاً وعوداً طويلاً يشبه الشبق

أما اجراء عملية اللباشة لاظهار سرقة مثلا هي ان يوقف الساحر الحكيم صبيه الفتى امامه ثم يضع في اناثه قليلا من اللبن ثم يمزجه بشيء من الادوية والعقاقير ثم يتلو على الاناء ما يتلو من اقوال علمية وحكمية وعرافية و بعدئذ يسقي الكأس للولد فاذا ما استقر في جوفه أصابه غشاء فيرغي و يزبد و يصرخ و يصيح ثم يعدو راكضاً والناس وراءه حتى ينام على محل فاذا ما بحثوا فيه وجدوا المسروق . كذا يقولون

واذا ارادوا الوقوف على السارق عملوا مع الصبي نفس العملية السابقة بعد ان يجمعوا كل المشتبه فيهم ويجلسوهم في موضع واحد ثم يطلقوا الصبي بينهم فيجول حولهم مرات الى أن يقف امام احدهم متهيجاً ثم يضربه بكلتا يديه ضرباً مبرحاً وعندئذ يمسكونه فيقر بالسرقة فيلزموه باحضارها . هكذا يروون

و يقولون ان العملية تفسد اذا خاض الصبي في ماء اثناء ركضه الى محل السرقة ولذلك يسيرون امامه رسولا اذا رأى ماء حمله قبل ان يصل اليه

وقد يستطيع هذا الحكيم ان يحول الشبهة عن السارق اذا اتفق معه بان يزيغ عقل الطفل عن الرشاد عند ما يريد الدنو منه الا ان هذا قليل أو نادر على ما يقولون

هذه اكبر خرافة في هذه البلاد لايزال الاحباش يعتقدون بها الى اليوم و يعدونها من الحقائق الراهنة وان تكن غير كذلك بل اعجب واغرب مما تقدم اعتقادهم الثابت في السحرة أنهم يستطيعون ايقاف حركة الكون والتصرف في الكائنات تصرف الخالق العظيم قال المقريزي « وعند الحبشة على ما يروون سحرة يمنعون الريح ان تهب فيأمر الحطي رجاله ان يضربوهم ضربا مبرحا حتى يعيدوا الريح الى هبوبها» وهكذا ترى الاحباش احتكروا كل معتقد خرافي فصاروا من اشد الامم تفاؤلا وتطيرا

٦

مسكراتهم وطعامهم

نرى ان المسكرات تقرب غالبا ان تكون عامة شاملة لسائر الامم والشعوب متوحشها ومتمدنها ومع التزام اختلافها باختلاف مخارجها تتساوى مضارها على طريق واحد و يتفق وضعها على نسق لا يتغير

ولا اشك ان التجارب الكيماوية والطبيعية اثبتت فوائد بعض المشروبات من حيثية موادها وكيفية استخراجها الا ان الافراط منها من الامور التي لا ريب في ضررها وقد تسيء بالمفرط الى حد تضر بجسده وعقله واخلاقه بل تسبب له الرعشة وضعف البصر وسوء الهضم وتفسد نسله وتدنيه الى البهيمة فهي اذا مهلكة محضة. وعلى ذلك فاعتقادي ان كل فوائد الخمر تنحصر في النفس دون الجسد اي انها تهيج نفس الشارب فينتشي و يطرب أو كما قال الفيلسوف رنان يدمن الانسان من الخمر ليكتسب قوة تساعده على الطرب لكنه يطرب لينتحر و ينتحر ليموت وهو لا يشعر

وقد تجد الاحباش مدفعون جدا الى معاقرة بنت الحان وان كانت خمورهم ليست كثيرة ولا يتعدى عددها العشرة انواع . ولعل سبب تماديهم في الادمان منها انشغافهم بالفرح والطرب من طبيعة ارضهم واسائق الطبع والنفس ميالة الى ماترتاح اليه مفطورة على ما الفته وتعودته وان اضربها ولاشي حيويتها أو أهلكها

واكثر خمورهم شيوعا خمر العسل أو « التك » أو « التدج » بلغتهم وهو خير

شرابهم وأجوده لطيب طعمه وعطر رائحته وصفاء لونه وقد يكون كناية عن النبيذ في عرفهم و يصنعونه من مزيج مقدار من العسل بستة اضعافه من المياه مع اوراق شجر الخوصو المر أو الفلفل الوحشي ثم يتركون هذا المزيج في ارض معتدلة جافة مدة ثمانية أيام حتى يتخمر وتصير حلاوة العسل مرة كالصاب أو العلقم . وهذا الشراب مدر للبول مسهل للمعدة مفيد للصحة اما اذا اكثر الشارب من تعاطيه افقده الصواب وأصابه بمكروه شديد قد لا ينجو من خطره

وشراب « السوعة » أو « التلا » وهو كناية عن الجعة و يصنعونه على الغالب من دقيق الشعير مضافا اليه بعض العقاقير وقد يشابه « الحق » جيع قدماء المصريين وعلى ما نعتقد ونوء كد توكيدا وثيقا بحسب التناسب بين النوعين وطبقا لاقوال الباحثين ان الاحباش اخذوا هذا الشراب عن قدمائنا الذين كانوا يكثرون من ادمانه و ينشدون فيه غوالي شعرهم ونثرهم حتى ملاوءا بها المعابد والهياكل ولا تزال صورها باقية الى الساعة على آثارهم الكثيرة وفوق قبورهم التي تعيد الى الذهن قول القائل

ادفنوني وادفنوا الراح معي واجعلوا الكاسات فوق المقبره

وشراب « الدجوسا » وهو نوع من الكحول شديد الوطأة يتعاطونه بقلة ومع ذلك يلتبسهم نوع من الخبل فتتشوش افكارهم وترتخي أعضاؤهم و يعتريهم الفتور وهو يشابه في شدته شراب « الابسنت » المعروف .

وقد امتاز الاحباش على الخصوص بعدم تعاطي خمور اوروبا وان تعاطوها لا يفرطون لاعتبارهم اياها من المشروبات المضرة والغير مفيدة كمشروباتهم الروحية هذا ما عرفناه عنهم وعن مسكراتهم وربما تكون لهم خمور أخرى يستخرجونها من عرق الدوالي ودماء العناقيد

﴿ طعامهم ﴾ – يفتقر الانسان لقيام حياته الى الغذاء افتقاره الى الهواء والماء ويضطر اليه اضطراره الى الرقاد . ومصادر الغذاء البشري عند سائر الامم والشعوب يتناول الخبز واللحم وما تنتجه الارض من الخضروات والنباتات والأثمار لكن غذاء البدوي غير غذاء الحضروي ذاك خشناً وهذا لطيفاً لانه نتيجة من نتائج

المدنية التي يتمتع بها قوم دون آخرين

وقد اعتاد الاقتصاديون ان يقدروا درجة تقدم الامم في المدنية والعمران بعد الاطلاع على طرق غذائها والوقوف على الاطعمة التي تتناولها وعلى هـذا القياس تكون الامة الحبشية همجية بحتة لانها تعيش على الفطرة الاصلية من حيث اكل اللحوم حية نيئة في غالب الاحيان والتغذي من الاطعمة التي لا يصح لنا ان نطلق عليها اسم غذاء وان كان لديهم شيء من ذلك فهو من قبيل الكلاء

ويصنع الاحباش خبزهم من دقيق اللف والقمح والشعير والدخن والاذره والدجوسا كذلك يصنعون من الاول نوعاً من الفطورات لذيذ الطعم شهي المأكل.

واغرب انواع طعامهم ما يسمونه « بروندو » عبارة عن لحم بقري نيء يمزجونه تارة بالفلفل الاحمر وطوراً يطبخونه مع بعض الخضروات طبخاً خفيفاً وطعام يسمونه « بربرى » وهو مزيج مخلوط من الخضر ومن ماء وملح . اما باقي أطعمتهم فتشبه أطعمة السودانيين كالويكة وغيرها

وقد ابتلاهم الله بداء النهم في اكل الاسماك وما يصطادونه من غزلان البراري ودجاج فرعون والاكثار من شرب اللبن الرائب دون الحليب الذي اثبت الاطباء ان فيه جراثيم صديقة للانسان تعينه على طول البقاء فاذا صح هذا ولا شيء يمنع صحته كان طول البقاء سهلاً لان ذلك اللبن سهل ميسور لكل انسان في كل مكان

ولشدة بنيتهم ونقاوة جوهم وقوة صحتهم وسهولة عيشهم وكثرة مراحهم يأكلون بنهم شديد وشراهة نادرة المثال لكن مع هذه الشراهة يصومون كل الصيامات المعروفة عند اخوانهم الاقباط ولا يفترون عنها بل يتنسكون في خلالها فيألفون المعابد والاديرة ويقيمون الصلوات مما يؤكد ولامحالة شدة تمسكهم بدينهم القويم وطقوسه المقدسة قال ابن خلدون « ان المتقشفين من أهل البادية أو الحاضرة ممن يأخذ نفسه بالجوع والتجافي عن الملاذ أحسن ديناً واقبالاً على العبادة من أهل الترف والخصب » .

نساء الحبشة

٧

ملابسهم وزينتهم ونظافتهم

وقر في نفس القارئ مما تقدم ان طبيعة البداوة منافية للبذخ والقصف والتنعم في اطايب المعيشة وانها حاجية اكثر مما هي كمالية ولا يشعر الانسان بالكماليات الوفيرة الحتمية الا بعد ان يستوفي حاجته الضرورية ويتحضر . وتعيش بين الاحياش قبائل شتى باقية على فطرتها الاصلية لا تعرف اللباس فمن فئة عارية عراء كاملا الى فئة تستر اجسادها بمئزر تضعه على اوساطها الى فئة تستعمل جلود الحيوانات كساء على ان كل هذه الفئات صاعدة على مهل بفعل القدوة شيئا فشيئا الى مرتبة الطبقة الدنيئة من البشر ولسوف تقع تحت احكامها

اما الاحياش انفسهم فقد استقوى بينهم هذه السنوات الاخيرة عامل الرغائب الكمالية والمدنية قادمة به على غير مهل وقد ساد في الطبقة الوسطى من الشعب فضلا عن العليا وبانت نتائجه فيها اذا أصبح ذووها يتفننون في صنع الكساء واتقان زيه تفننا عجيبا جعله جميلا للناظرين . ويرتدي الحبشي سروالا ابيض خفيفا يصل حتى قدميه وفوقه رداء دقيق النسج يصل حتى ساقيه ويسمى الثوب او «التوب» منقوش اسفله بنقش احمر عرضه عشرة قراريط ثم يطرح طرفه على كتفه اما رأسه فعارية صيفا وشتاء الا اذا ستره بقطعة من القماش كذلك يمشي حافي القدمين

وتتزيى النسوة من طبقة الادنياء والاوساط بل وسائر اطراف طبقات الشعب بقميص طويل ورداء يشبه رداء الرجال يغطيهن حتى الكواحل اما نسوة الاعلياء فيلبسن قمصانا مطرزة بطراز بديع ويأتزرن بثوب ازرق وقد يوجد بينهن من يسابقن بنات الغرب في لبس الازياء العصرية لكنهن لا يعرفن الدكولتاج الذي يجعل الصدور عارية عراء كاملا يجرح البصر ويمس الذوق السليم وقد يكون جل ميلهن الى الازياء التي تغطي الاكتاف بالاكمام المنفخة من أعلى الذراع

اما ملابس كبراء البلاد وامراءها فهي حريرية غالية الثمن مزركشة بالقصب فمن

قبعات كالهالات الى صديريات من الدمقس مطرزات الى سراويل من الديباج موشيات الى احذية من الجلد تماثل احذية قدماء المصريين شكلا الى اردية من المخمل مطروحة فوق اكتافهم الى سيوف حادة النصال في مناطقهم الى مظلات سوداء يحملونها صيفا وشتاء . كذلك هو كساء الرؤوس والملوك الا انه على الغالب من الحرير الاحمر او الاخضر المطرز بالقصب والحلي ويحملون المظلات الحريرية الحمراء المزركشة لانها من مميزات الشرف ودواعي الفخار .

﴿زينتهم﴾ ـ خلق الحبشي مدفوعا الى المباهاة بالتحلي والتفاخر بالتبرج والتأنق في الملبس وله ولع زائد في الزينة والتطيب بانواع من الطيب زكي العرف وقد يكون هذا ميلا فيه فطريا كما يقول الاستاذ شنفورت ليس من طبيعة الاقليم بل من معيشته وحياته واول الاشياء التي اتخذها حلية الخضاب بالالوان المختلفة كسائر الشرقيين وطلاء الجسد بالشحومات والزيوت كقدماء الاسبرطيين وتشريط جلد البشرة ليحدث خدوشا في الوجه كالزنوج . وقد تناط ادوات زينته بشعره وتعتني به نسوته اعتناء شديدا حيث يسوين المفارق و يمسحن شعورهن بطيب رائحته عطرية جميلة مصنوع من السمن ومن الريحان المسحوق ثم يجدلنه تجديلا بديعا على اشكال شتى تختلف باختلاف الاقاليم و يغرزن فيه انواع الخرز وريش الطيور الجميلة وغيرها . اما حليهم فتصاغ من الذهب والفضة والنحاس والعاج والخرز والودع والصدف واكثرها شهرة الاكاليل والاطواق والعقود والقلائد والاقراط والدمالج والمناطق والاساور والخواتم والحجول ولهم في عملها صناعة غريبة ونقش اغرب واجمل

﴿نظافتهم﴾ ـ النظافة في عرفهم كالعبادة لانها من الايمان وقد يعتنون بنظافة اجسادهم كما يعتنون بأمر حياتهم لولا انهم يوسخونها بالشحومات التي يتدلكون بها لتقوية اعصابهم وترطيب اعضائهم من حرارة اقليمهم . على ان النظافة لم تراع في سائر بلادهم حيث ترى منازل قبائلهم و بعض شعوبهم اشبه بالزرائب تميت النفوس وتهلك الارواح حتى ضربت بقذارتها الامثال وحتى اتخذها الاوروبيون موضعا لانتقاد عموم الاحباش

ومن لوازمهم الاستحمام يومياً في الأنهار والخيران فالمياه مطمح انظارهم والنظافة روح ثانية لهم فهم يحيون بالنظافة و بالنظافة يحيون . قال المسيو هيج لرو «الحبشي نظيف فبقي الاستحمام من ثم حليفاً له ونصيراً يكسبه القوة ويجعله نشيطاً وقد يكون سراً من اسرار اطالة حياته » وقد أيد الباحثون اقواله فذكر الاستاذ بارييس بك « ان الحبشي بواسطة استحمامه يومياً توقى آفة البرد والخر فعاش حافي القدمين عاري الرأس وقضى حياته في برد الليل بين هبوب الرياح والعواصف دون ان يصاب باذى او بضر »

كذلك تراه نظيف الثياب جميل الهندام يحلق شعر رأسه ويجز لحيته و يقلم اظفاره فهو مع بدواته نظيفاً الى الغاية التي تحب فكيف به اذا تمدن وتحضر

٨

نسوتهم

اوصافهن الخلقية — أتعرف من هي المرأة الحبشية هي تلك السوداء الهيفاء القامة الواسعة الجبين الرشيقة القد البعيدة مهوى القرط البارزة الردفين الممتلئة الساعدين الناهدة الثديين الحسنة التقاطيع البديعة الملامح البراقة العينين خصها الله بجمال وافر تقوم العفة بحراسته ويحسن باهر ملكت به القلوب فسارت باينه الامثال

بتلك المحاسن الكاملة والصفات الجذابة تفانت الشعوب في حبها والتزوج بها تفانياً شديداً كأن سوادها قد استحال كله الى حسن يسطع على وجهها فيؤثر في وجدان الناظر اليها و يأخذ بحواسه ومشاعره قال المرحوم البرنس هنري دورليان « خلقت المرأة الحبشية للعبادة » وقال الفاريز البرتغالي « اذا رأيت المرأة الحبشية قل انها هي ذات المرأة الاسبرطيه جميلة فتانة » وقال ليدواف « لو اطعت الفؤاد لتزوجت حبشية »

تلك هي صورة المرأة الحبشية التي عاشت من فجر الخليقة الى هذا العصر محافظة على شكلها وصورتها مالكة بجمالها مع سوادها قلوب الرجال وقد نقل الينا التاريخ فيما

نقل من حوادث سطوتها على القلوب ما يذكر مع الاعجاب . والمأثور عن العرب منذ خلقوا انهم من أشد الناس رغبة في التزوج بالحبشيات واكثرهم صبوا اليها واني اذكر شيخ بني عبس تزوج حبشية تدعى ذبيحة رزق منها ولداً اكبر باسلا وشب بطلا صنديداً وأريد به عنترة العبسي رب السيف ورب الشعر في زمانه كذلك اذكر والد النبي العربي فقد كانت له جارية حبشية تدعى بركه يعزها ويكرمها واورد الان دليلا ثالثاً وهو ان شاعراً عراقياً عربياً يدعي الشيخ عبد النافع نظم بيتين رقيقين في ولد رزقه من حبشية نسرى بها قال فيهما

وقد نلت البنين من السراري واقربهم الى روحي وجاشي
وليد لا يزال يقول عمي هو النعمان والخال النجاشي

وليس العرب وحدهم الذين تهافتوا على بنات الحبشة بل الشعوب الافريقية من قطب الى قطب وكذلك شعوب اوروبا وهذا تاريخ مصر طافح باسماء ملوك تزوجوا ببنات ملوك من الحبشة وهذا امين باشا الرحالة الانكليزي تزوج عام ١٨٨٤ بحبشية تدعى زعفران رزق منها فتاة سماها فريدة كانت فريدة بجمالها الفتان وحسنها البديع

وفي التاريخ ادلة كثيرة على ان بين ربات الجمال اللواتي ظهرن في العالم وعددن في مصاف آلهات الحسن والجمال الملكة بلقيس مليكة هذه البلاد التي زارت سليمان بن داود فراعه حسنها وجمالها وليست هذه الملكة وحدها بل كثيرات غيرها نذكر من بينهن الملكة طايطو الامبراطورة الحالية التي اذهلت بجمالها الرائع وأدبها العالي كل من رآها

وقد يكون سر جمال الحبشيات في عيونهن التي يقول فيها المسيو فينيبراس « يصعب علي ان اصفها » و يقول سلت « اذا أردت ان تعرف كيف يكون جمال العيون فانظر الى وجه حبشية تر عينين براقتين لامعتين » و يقول المسيو موريه المؤرخ الافرنسي نقلاً عن بعض الرحالة « الخور في عيون الاحباش » وما ادراك ما هي العيون هي التي جعلت روفائيل مصوراً والمتنبي شاعراً ولامرتين كاتباً وفيكتور هوجو فيلسوفاً وحكيما

وقد أفاض العرب في وصف الحبشيات ولهم فيهن اقوال غاية في الابداع وأشعار رقيقة تسيل في النفس كما يسيل الماء النمير يمنعنا ضيق المقام عن تدوينها كلها فنقتصر منها على قول من قال

وبي حبشية سلبت فؤادي فليس يروق لي شيء سواها
كأن لعوطها طرق ثلاث تسير بها القلوب الى هواها

و يقال عن نسوة شعب «الكاومنت» انقاطن في السهول المحيطة ببحيرة دنبعة انهن اجمل نساء الحبشة شكلا وصورة وقواماً ولطفاً ولوناً وقد قال الرحالة ابادي « لو كان التمايز بالجمال دون اللون لكان شعب الكاومنت بلا شك اجمل شعوب الارض»

صفاتهن الادبيـة — ان من يرى تقاطيع وجه الحبشية يحسب انه يرى صورة متحركة متقلبة تختلف فيها بين صفات المرأة وصفات الرجل حيث تتقلب تباعاً من الجسارة الى الخوف ومن الرقة الى الشراسة ومن الوداعة الى التلظة فهي امرأة من حيث هي امرأة ورجل من حيث هي باسلة وفتاة من حيث هي طاهرة عفوف . طبعها النشاط وأليفها العمل تشارك زوجها في شؤون الحياة وتسعى سعيه في طلب الرزق مسوقة الى ذلك بقوة تدفعها الى اجهاد قواها كل الاجهاد كأن سوادها فائدة يغتنمها ذكاؤها ومجالا يرتع فيه اجتهادها وقد تفوق الرجـل احياناً في شدة اقدامها ونشاطها فهي اذا عملت اذهلت العقول بعملها لان نشاط المرأة كما هو معلوم عامل نفساني يختلف عن نشاط الرجـل يحملها غالباً على التطرف ولها صفات اخرى ندر ان تكون في ربات الجمال وهي شدة التأثر ولطف الاحساس وخفة الروح وصفاء القلب مع ماهي عليه من القسوة والترجل والمكر والخداع

ومن خصائص الفلاحة انها تبكر بكور الغراب لعملها وتقطع المسافات الطويلة في تجوالها فاذا ما رجعت الى مسكنها الصغير من القرية أخذت بزمام حيواناتها الى المرعى ثم عادت تتعهد اطفالها وطبخ طعام أهلها وخياطة ما رث من ثيابهم واستدرار در بقرها ومعزها وترتيب آنية منزلها وعلى الجملة فهي باسلة مترجلة تضارع الرجل بسالة واقداماً وتحمل الدرق والرمح وتركب صافنات الجياد

وتختلف المرأة في طبقتي الاوساط والاعلياء عن أختها في طبقة الادنياء بالتعليم وما أضافت اليه من حسن التهذيب وآداب النفس والمهارة في معرفة المعيشة المنزلية فهي اذا أبدت في فعلها نشاطاً وهمة فقد تجردا عن قبح المناجاة واذا راحت أوغدت في الحجرة خاتلها طيفاً لا تسمع لمروره قرقعة أو ضوضاء واذا سارت بين الناس فكأنها النسيم الطيب الارج يسري بينهم غير مزاحم ولا مصادم واذا أقبلت على الاشياء ترتبها وتنظمها خلت أناملها لخفة ملمسها كالفرفور اذا تراوح بين الازاهر فهي سيدة من حيث هي سيدة وامرأة من حيث هي امرأة

ومن اخص صفات الحبشية الورع والتقى والتواضع ولطف المعاشرة والعفاف أو كما قال الفاريز « هي كاللؤلؤ في الصدف صوناً » بل هي أم فريدة فملاك ينير طريق ولدها و يهذب قلبه و يبارك حياته ومتى كان في البيت امرأة من هذا القبيل فهي الدار المباركة والمنزل السعيد ومهد السلم والامان الذي يستعصم به رب العائلة بعد يوم كله حرب وكله جهاد في سبيل الحياة بل هو بالنسبة له كالواحة للمسافرين في الصحراء كلما دنا منها دبت في نفسه عواطف الرجاء في السلامة ثم لا يكاد يصل اليها حتى يستنشق في ارجائها أريج الهناء والسرور وتجدد في نفسه من القوة والهمة ما يكون له خير معين على الفوز والغلبة في معترك الحياة لليوم التالي

بقي لي ان أذكر مركز المرأة الحبشية في نظر أبناء جنسها فاقول انها شقيقة الرجل وشريكة الزوج ومربية الاولاد فهي تعيش بنفسها ولنفسها كما انها اكثر عقلا ودهاء وقوة من المرأة الشرقية التي لم أر فيها الآن غير الدهاء الذي أوجده الضعف والتي اوجدتها القدرة تعيسة فحبسها الاب وجهلها الابن

٩

زواجهم

الزواج في عرفهم من الامور الحيوية التي لا يستغنى عنها الانسان ما دام حياً وما دام مكملا بالشرائط الطبيعية وكل من عصى هذه العادة سخرت به

الامة وأقصته عن عائلاتها بحيث يصير أشبه بالرضيع الفطيم الذي تكل ابو يه فلا أم ترأمه ولا أب يحنو عليه الا اذا كان الامتناع عن الزواج لسبب شاذ لم تقض به طبيعة الحال وجو باً . اما الطلاق فمباح حيث ان الرجل مطلق الحرية والمرأة مثله فيطلقها او تطلقه اذا لم يكن ثمت موجب صحيح ومسوغ شرعي فكان ذلك مفسدة لاخلاق الرجال والنساء حتى ان الرجال ينتهزون كل فرصة للعدول عن نسائهم والنساء لا مانع يمنعهن من الانفصال عن الزوج والاتصال بالعشيق

وتتزوج الفتاة في الثانية او الثالثة عشرة من عمرها والفتى في الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة مما يثبت حبهم الاقتران الباكر حباً شديداً لخلو بلادهم من اماكن للبغي ومعاهد للفجور بل اذا رأى الرجل ان امرأته تتطلع الى غيره قتلها وأعدمها الحياة وقد قال لنا أحد الثقات لا يتولى الحبشي الرحمة والحنان على امرأة تكون باغية فيسومها الخسف و يعذبها جوعاً و يضرب رأسها بالنعال وكثيراً ما يفقأ عينيها بالحديد و بالنار وان كان في هذا القول مبالغة الا ان فيه ما يدعو الى حقيقة واحدة هي حرص الحبشي على عفاف امرأته وحرص هذه على عفافها

وللزواج عندهم انواع كثيرة ترد على الجملة الى ثلاثة انواع النوع الاول الزواج المدني زواج لا رابطة فيه بقانون ولا قيد بناموس و يسمونه الزواج الحر وبمقتضاه يكون كل من المتزوجين حراً في ترك رفيقه متى اراد فينتقل الرجل من المرأة الواحدة الى الاخرى متى شاء وتنتقل المرأة من البعل الواحد الى البعل الآخر متى ارادت ومن ذلك ما روي لنا عن رجل يطلق المرأة اذا جربها و يتزوج الاخرى حتى تزوج نيفاً واربعين زوجة . وقد وجدنا بعد البحث ان الذين يتمشون على هذه الطريقة هم الطبقة الدنيئة من الشعب الذين يعيشون في الارض بعيدين من احوال الناس قريبين من احوال البهم لكن كلما الفوا عوائد الحضر نقص من خشونتهم و بداوتهم

والنوع الثاني الزواج المدني باتحاد أي بواسطة قوانين البلاد و يعقد امام حاكم البلدة او رئيس العشيرة و يتم بكتابة وصية اتفاقية يوقع عليها شهود عدول وتتضمن ما يمتلكه العروسان ثم يحلف الرجل وحياة الملك قد تزوجت بفلانة فتحلف هي

كذلك وحياة الملك قد تزوجت بفلان فاذا لم يتلاءما في معظم اخلاقهما او كلها او في مزاجيهما فالشأن فيه الاباحة بتفارق الزوجين وحينئذ لا يكون الطلاق الا كناية عن مخرج من ضنك المعيشة التي تحدث بين الزوجين بحيث يرد الى كل منهما ما يمتلكه بالعقد او بحسب ما يتراضيان عليه حين التناسخ

والنوع الثالث الزواج الديني حسب قوانين الكنيسة وناموسها وهو ذات الزواج المتمشي على قواعده الاساسية سائر المسيحيين في سائر اقطار الارض ومن شروطه عدم انفكاك الاقتران مدى العمر ومنها ايضاً ان يتناول العروسان ليلة اكليلهما العشاء الرباني في الكنيسة ثم تكتب وصية اتفاقية يوقع عليها شهود معروفون

ولا يسوغ لكل متزوج على هذه الطريقة ان يتخذ له قرينة شرعية ثانية انما يبيح الكهنة للرجل ان يتسرى بامرأة او باكثر من امرأة حتى اتصل هذا الداء من عامة الشعب الى خاصته ومن قادته الى رؤوسه وملوكه فلن تجد منزلا خالياً من السراري والوصيفات كسائر منازل العثمانيين في الشرق . وهي عادة منافية للشريعة المسيحية مناقضة لقوانينها المقدسة . على ان الطلاق محرم على المتزوجين بقانون الكنيسة تحريماً كلياً وما يقع فيه من فسخ عقد الزواج لاسباب جوهرية كالزنا والجنون والعقم انما هو من قبيل الفراق والانفصال لا من قبيل الطلاق

وقد تجد قليلا من الاحباش من يعقد زواجه بواسطة قانون الكنيسة وكان الباعث الاكبر على ذلك حسبما يقولون الخوف من عدم اتفاق المتزوجين في المعيشة وفي الحياة . ومن هذا القبيل ما رواه المسيو بول كومب قنصل فرنسا في اديس ابابا سابقاً « من ان بعض اهالي الحبشة يقولون اننا لا نعرف طباع البنات وصفاتهن ولا نثق بهن الوثوق التام فكيف نقترن بهن بواسطة قوانين الكنيسة » على ان المسيو ولدمير الالماني يقول « ان من اكبر الجرائم سكوت حكومة الحبشة عن تلافي هذا الخلل المتفشي بين طبقات الشعب في مسئلة الزواج حيث ان كثيرين اقاموا ثلاث سنوات مع خطيباتهم بدعوى معرفة اخلاقهن وتوثيق روابط المحبة ثم لم يعقدوا عليهن العهود الناموسية وقد يكون ذلك من اكبر العوامل في مستقبل الايام على انتشار الفجور »

وليست مسئلة الزواج وخلافها باقية في وسط الشعب الحبشي وحياته بل ان كثيراً من شعوبه وقبائله الوثنية لا يتخذ الرجال النساء الا حسبما طاب لهم وراق فيعدلون عن آيتهن الى غيرها ايان شاءوا بلا زواج ولا طلاق و بعضهم يشترون النساء و يبيعوهن كقدماء اليونان لبعدهم عن الحضارة وعوامل المدنية والدين والاداب

ولقد يعجب الانسان من ان تكون الامة الحبشية مسيحية عرفت بالعصبية في دينها ثم تتلبس بعادات تخالف كل المخالفة ما عرفت به الامم المسيحية بأسرها في كل ارض وكل زمان . نعم ان حكومتها تحارب هذا الملل وتقاتل هذه العوائد سعياً وراء ملاشاتها الا انها صارت في موقف الحائر الذي يبحث عن سواء السبيل ليسير فيه فهي جامعة اشتات حواسها كأنها تستجلي نوراً يهدي او تصغي الى مناد يرشد حق على الاقباط ان يكونوا تلك المنائر وحق على كهنتهم ان يكونوا اولئك المنادين ليهذبوا امة هي اختهم في الجامعة الدينية وشقيقتهم في الجوار وليدعوها الي شريعة المسيح فتكون الدعوة اول سبب من اسباب حياة تلك الامة واستمرارها في الحياة ومحافظتها على كيانها.

١٠
هيئتهم الاجتماعية

الاحباش امة واحدة في بلد واحد من جنس واحد ودين وان لم يكن واحداً فشبيه بالواحد وعادات واخلاق واحدة رابطتهم برابطة الاخوة واتحدتهم اتحاداً قومياً ليس لمجرد ميل فطري وانما لعواطف سامية اتصلت بكل جوارحهم منذ القدم هي عواطف الوطنية التي لم تبق محلا لنا لاستغراب نفورهم من الاجنبي وان قفت شهامتهم بمراعاة حرمته وان نزل بهم مستجيراً نزل في مقام اللائذ الامين . واذا وقفت على أحوال معيشتهم وكيانهم وجدتها اقرب شبهاً لاحوال الشرقيين منها الى أحوال البدو ورأيت عرى هيئتهم الاجتماعية أقوى مما هي في كل الارض نعم ان كثيرين من الرحالة والرواة قالوا في وصفها انها عبارة عن مجموع عادات

ورسوم باردة خالية من الحنو القلبي ومن الشفقة الحقيقية لكن هذا القول من قبيل المزاعم المبنية على غير استقراء مدقق . ويمثل الاحباش هيئتهم الاجتماعية في وطنيتهم وفي شجاعتهم الادبية في منازلهم وفي اخائهم ثم تراهم على جانب عظيم من التأدب في محادثتهم فيسكتون متى وجب السكوت و يتكلمون متى وجب الكلام على ان هذا التأدب الذي اشتهر عنهم لا يخرج عن حد الغلو في الرسميات الا في ضروب معلومة تقتضي المعاملة الرسمية المحضة . و يندر بينهم وقوع مخاصمات خصوصاً في العائلات واكثرهم مغرمون بالاحتفالات والمظاهرات ومن جملة آدابهم قيام الاولاد بكل الخضوع والطاعة التامين لوالديهم ومنها احترام الكهنة والانقياد للرؤساء وتلبية نداء المستجير ومراعاة الجار لان من اكبر العار عندهم ان يسطو الجار على جاره

﴿درجاتهم﴾ - ينقسمون الى خمس درجات أولاها درجة الاشراف وهي الملوك والامراء والقواد والرؤوس والعلماء والاكليروس ثم درجة الجنود فدرجة التجار ثم درجة الفلاحين فدرجة العبيد وهؤلاء الاخيرون قليلو العدد كلهم من الجنس الاسود الزنجي لكن اخلاقهم لطيفة عرفوا بالصدق وطبعوا على الولاء وهم أعلا رقيق افريقيا . ولا يذهب هذا القول بالبعض الى ان الرقيق موجود في هذه البلاد فهو معدوم بالمرة و يعاقب النخاسون بعقوبة الاعدام شنقاً وتعتبر الحكومة ان من الذل ان يعيش رجل تحت سلطة آخر يكرهه بالضرب و بالعصا و يلزمه بالانقياد له في احكامه واوامره

﴿علماؤهم﴾ - خلت بلادهم من العلماء وخوت من الفلاسفة فلم يقم بينهم رجل من أنبياء العلم والعرفان ولا التصور والخيال ولا الخطابة والتشريع ولا التطبيب والاختراع ولا علماء اجتماع وتصوير ليرسموا بريشتهم الجميلة مناظر الطبيعة وما فيها من جمال وجلال ولا علماء نفوس يشخصون أعماق القلوب وتأثير الانفعالات النفسية كالشفقة والحب والبغض والانتقام . نعم ان بلادهم قديماً كانت مهد المتمدنين آهلة بعلمائها عامرة بفلاسفتها الا ان هؤلاء قد اندثرت آثارهم وخفيت اسماؤهم وليس لهم ذكر في كتب التاريخ الا قليل لا يذكرون فان ماتت أعمالهم ومات ذكرهم فكفى

برحمة العالمين عليهم حسنة تذكر لهم .

بينهم علماء لاهوت تبحروا في العلوم الدينية وعلماء تاريخ وان اقتصر على تاريخ بلادهم وعلماء فنون حربية وهندسية واستعمال السلاح واساتذة للسباق وجهابذة للصيد والقنص

ولا عجب اذا غيرت ما فات من الحديث وقلت ربما يكون فيها علماء ويوجدون فعلا انما وجودهم في امة ساذجة اعتادت على البداوة وعاشت في كنف البساطة والجهل أجيالا طوالا قد يضيع مكانتهم كما يضيع ذكاءهم ويطمس ما يفعلون بل اذا كتبوا أو ألفوا انما يكتبون لانفسهم ويؤلفون لذواتهم وليس عندهم مطابع تنشر ما يدونون وتطبع ما يقولون بل ولا صحف تذيع ذكرهم وتنقل بينات أراءهم فيرجعون على رغم عقولهم وينخذلون على قوة أفهامهم

ثم لا أنكر انهم أمة من الامم التي اشتهرت بالذكاء والنبوغ وسمو المدارك وعلى استعداد تام للرقي فليس ببعيد أن تنتج بلادهم قبل مساء هذا القرن الفلاسفة العظام والعلماء الاعلام ورجال الاقلام لانهم امة مستقلة والاستقلال يقدم الامم عاجلا الى المجد والعظمة متى وجدت دافعا ونهضة وحب الوطن يدفع بالنفوس الى النبوغ

﴿مؤلفاتهم﴾ ـ مؤلفات « بوك » كما يقول الاتراك أو بعبارة اخرى لا مؤلفات ولا مؤلفون الا بعض قصص صغيرة ومؤلفات نادرة يؤلفها علماؤهم ويكتبونها بخطوطهم . وكل كتبهم هي الكتاب المقدس والمزامير والكتب الكنائسية وقانون جوستنيانوس وغيرها من مؤلفات الاقباط التي نقلت الى اللغة الحبشية في الزمن الغابر وكل من أراد كتاب من هذه الكتب نسخه بخط يده وعد ذخيرة لاولاده واحفاده والذرية من بعده ونتيجته خلو بلادهم من المطابع من جهة وعدم اهتمامهم بالعلوم والاداب من جهة ثانية

ولقد أخذت الامة الايطالية عدوتهم بالامس وصديقتهم اليوم تتقرب اليهم وتتزلف لحكومتهم لتوسيع نفوذها في البلاط النجاشي ـ وهو المطاق التصرف على البلاد والعباد حتى تنال من وراء هذا النفوذ نفعا عظيما قد لا تحلم به ـ فكتبت حروفهم

ثم صبتها ثم سبكتها ثم انشأت لها المطابع في رومه ونابولي لطبع كتبهم الموجودة الان لتهديها اليهم مهرًا لصداقتها وعربونًا لاخائها وودها .

غير ان ميل جلالة الامبراطور منليك الفطري لاصلاح بلاده الاصلاح الحقيقي وترقية شأنها كلف بعض ابناء التليان سكان روما ونابولي بانشاء مطبعة في حاضرة ملكه لطبع الكتب والمؤلفات الحبشية وترجمة أهم الكتب الاوروباوية الى اللغة الحبشية لنشرها وتعميمها بين الاحباش وعلى تعليم الاحباش صف الحروف والطبع وهو على ما نرى سيزيد في تمدن هذه الامة ويكثر نبغاءها وما كثرت نبغاء امة الا سمت الى المعالي وأصبحت في قمة الصعود .

﴿صحفهم﴾ ـ صحيفة أو مجلة أو نشرة في بلاد الاحباش وعند الاحباش من كلمات الاستحالة لانه لا وجود لها والاهالي لا يعرفون معناها ولا يدركون فحواها ولا يتصورون ان في الارض مثل هذه الاوراق التي تكتب ثم تصف وتطبع في ساعات الا ان يكون جلالة الامبراطور والملوك والروءوس وكبار الاحباش الذين ترسل لهم جريدة المؤيد وجريدة مصر على وجه خاص وبعض صحف اوروبا وهؤلاء يظهرون الاعجاب عند تلاوتها ويعتبرون اصحابها اعتبارًا كليًا ويحترمون محرريها الاحترام الصحيح ويعترفون بسمو مكانتهم خلاف الشرق وأهل الشرق الذين تقل الصحف عنده وعندهم اعتبارًا ليس جهلا بقيمتها بل لعدم التربية وعدم احترام الفاضل . نعم الشرقيون يعترفون ان القائمين بالصحافة من افاضل ابنائهم ونبغائهم وأهل العلم فيهم انما جبلوا على عدم اكرام الفاضل واكرام من ينور عقولهم ويفتق غشاء الظلمات عن أذهانهم بل من ظهر بينهم بفضل ألفوا الجمعيات والجلسات لقتله وانما بهذا يقتلون انفسهم ويميتون تقدمهم . وصح قولنا في انهم لا يأتلفون الا على شر ولا يتحدون الا على خسران ولا يجتمعون الا على كل ما يعود على المجتمع الهيئوي بالشقاء وهو نهاية ما تصل اليه ادراكهم

ربما يدخل الى ذهن القارىء كيف لا توجد حتى جريدة رسمية في الحبشة تنشر فيها اوامر جلالة الامبراطور العالية وحكام الولايات والاقاليم فنجيبهم ان

كل هذه تكتب في نشرات وسجلات لا توزع على أحـد بل تحفظ في بلاط الامبراطور وقصور الحـكام

وفيما عدا ذلك ففي دجيبوتي جريدة فرنسوية بهذا الاسم تنشر فيها أهم أخبار الاحباش انما بطريقة مختذلة لصغر حجم هذه الجريدة الاسبوعية وتوجد في انكلترا وفرنسا والمانيا وايطاليا مجلات مخصوصة وجرائد كذلك تختص مباحثها عن ممالك افريقيا و بلاد الحبشان

وصفوة الحديث انها خالية من الصحف ومن المجلات لكن من يعلم اذا ظهرت فيها الصحف بلغتها بعد ان تعم المطابع فيها و بعد ان تعم العلوم والعرفان بين أهاليها

﴿عائلاتهم﴾ ـ كل أمم الارض حتى البعيدة منها عن منازل الحضارة تنفر من الوحدة وتعيش قبائل وعشائر واخاذًا ومنشأ تلك الجماعات العائلة وقد يجد المرء في زوجته وولده ما يقوم بحاجة ذلك الميل . واذا نظرنا الى الامة الحبشية رأيناها تعيش في عائلات لبقاء النوع ونموه وأيفاء حاجة النفس أدبيًا ومادياً وراحة الافراد وسعادتهم . وعليه فالرجل الحبشي سيد بيته وله السلطة المطلقة على عائلته فلا يتداخل أحد في شؤونه والمرأة ربة البيت وسيدته لا يخالف لها طالب ولا يرد لها أمر فاذا نكب رجلها بنكبة في ماله او بدنه كانت له جناحًا يطير به نحو الآمال في تحسن الاستقبال او ملاكًا يواسيه بالسلوى وحسن التأسي أو منقذًا ينتشله من ورطته بالنصح او بالمساعدة فهي تجامل زوجها كل المجاملة وترده بلطف عما توقن انه مخالف للحق . وتعتبر عندهم تربية الاولاد من الامور الاولية التي تطلب من الرجل والمرأة على السواء حتى يشتد ساعدهم و يصيرون اكفاء لمهام الحياة والاعتماد على نفوسهم ثم يصبح الاولاد غير مطالبين لآبائهم الا بالحب والاعتبار وان طولبوا في ظروف استثنائية للقيام باود عائلاتهم . على ان قبائل عديدة في هـذه البلاد لا يعرف الاولاد فيها الطاعة لآبائهم ولا الآباء يزجرون اولادهم اذا اتو ذنبًا وقد يكون ذلك من فساد نظام العائلات وانعدام السلطة الابوية انعدامًا كليًا و بعضهم اذا أجهد نفسه في تربيـة أولاده كان ذلك ليس لمجرد الحب وانما ليعد للوطن ابطال حرب

أكفاء للدفاع عن حوزته

واذا مات الرجل عن اولاد وكان فقيرًا قام باودهم عمهم اوخالهم او اقرب قريب اليهم واذا مات غنيًا عين وصي على القصر تحت مراقبة أمهم وكاهن الكنيسة التابعين لها .

ومن عاداتهم عدم الاباحة للنسوة في طبقتي الاوساط والاعلياء ان يخرجن خارج خدورهن بل يعشن محجوبات عن العيون و يحصلن على احتياجاتهن بواسطة خصيان يقومون بخدمتهن انما لهن ما للرجال من الحقوق والعقل والتصرف والارادة والعواطف أما نسوة الطبقة الاخيرة فتكون معاملتهن حسب اخلاق رجالهن الا انهن غير مضطهدات ولا معدودات متاعًا فلا يترك الرجل يمشي في الارض مرحًا وزوجته واولاده يصرخون و يولولون وقد اضواهم الجوع . ومع ان الاغنياء بينهم يتخذ الرجل منهم اكثر من امرأة واحدة فهم يعتبرون العيشة العائلية و يحسنون تدبيرها وللزوجة المقام الاول عندهم لها ما لرجلها من السيادة على البيت أما السراري فهن بمنزلة تكاد تضاهي منزلة الخادمات والاماء

و يعيش العذارى في عزلة عن الشبان واذا جاءهم ضيف او زائر استقبلوه ببشاشة ووقار وأعدوا له مكانًا خصوصيًا ثم رافقوه الى خارج القرية او المدينة عند انصرافه اما باقي نظام عائلاتهم فهو شبيه بنظام عائلاتنا سواء بسواء

﴿أغانيهم﴾ - يعدون الغناء صناعة مثل باقيات الامم ولهم مغنون ماهرون في فنهم ينشدون في الافراح والحفلات فيطربون ولكل مغن جوقة موسيقية يتربع بافرادها في دست المكان المعد للغناء ثم يأخذ في تشنيف الاسماع على آلات الطرب بصوت عال لان الصوت الحسن عندهم ما كان عاليًا ثم يتنزل في الرقة والحنو شيئًا فشيئًا ثم يسكت فترة و يعود الى ما كان عليه فتسمع رنة الصوت واحدة وعلى نغم واحد قوي في الابتداء ممل في المذكريه في الوقفة أما الجوقة فتنشد نوبة بعد نوبة وكل أغانيهم بسيطة على نغم واحد وليس لها عندهم نغم مركب ولا ايقاع خلافًا لما هي عليه عند المتمدنين .

على ان صناعة الغناء في عرفهم ليست بالصناعة الشريفة ولذلك ترى جل المغنين فقراء لا يكادون يجدون قوت يومهم الا بعد تعب شديد وتنزل بهم الضائقة احياناً فيبيعون الصوت للمتسمع بثمن اقل من اقليل ولهم شعراء ينظمون الشعر و يقولون القصائد و يغنونها على الرباب او على ظهور الابل فيذكرون الغرام والسهاد والظبي والقمر والحب والوصال بكلام تتسق به الحقيقة بالمجاز بعقد واحد سلكه الغرام وجوهره الحماس و بريقه اللهب المقتبسة من شعلة الحياة البدوية التي تنزع من الانسانية الجبن وتجعلها نزاعة الى البسالة ميالة الى الشمم وقد يكون احسن المغنين عندهم من كانت اغنيته تسبيح الله

﴿أعيادهم﴾ — أعيادهم كلها ايام سرور يوسعون فيها على عيالهم و يتبسطون في المطاعم و يتخذون الاواني الجديدة و يلبسون الازياء الحسنة واشهر هذه الاعياد هي : الفصح والغطاس والميلاد والصليب والعذراء والملاك مخائيل ومار جرجس ومار مرقص والقديسين والشهداء واعياد أخرى تقام لها حفلات عظيمة في العام او في الشهر مرة

أما عيد الصليب فهو اجمل عيد يعيدونه و يفوقون في تعييده كل عيد سواه فيوقدون المشاعل على قمم الجبال وابواب المدن و يسرجون المصابيح و يضيئون الشموع في كل الكنائس والمعابد ثم يقبل الامبراطور محاطاً بعظماء بلاطه الى الكنيسة الكبرى للصلاة ومنها يؤم ميدان الاستعراض فيستعرض جيوشه فاذا انقضى ذلك الاستعراض هب الناس الى النيران المشتعلة فألقوا فيها باقات من الازهار جميلة الرائحة ثم عند الظهر يمد الامبراطور في قصره السماط وهو مائدة لا يقل عدد المدعوين اليها عن خمسة آلاف نفس و يساق الى المنحر الف رأس من البقر ليوزع لحمها على الفقراء والمحتاجين . وقد أحصى الكونت ليونتيف الروسي عدد البقر الذي نحر لهذه الوليمة عام ٩٨ فكان الفي بقرة وعدد دمجانات خمر العسل فكان ١٩ دمجانة

واذا هل عيد الغطاس وهو عيد مشهور ضربت الطبول والبوقات اشعاراً بحلوله ثم يخرجون عن بكرة ابيهم في موكب عظيم يتقدمه الكهنة حاملين تابوت العهد الى النهر العظيم ليقضوا الليلة على شاطئه بين الصلاة والتمجيد لله فاذا اصبح الصبح أقبل

الامبراطور محفوفاً بحاشيته وكبار رجال مملكته ثم يقف بجانب الكاهن الاكبر الذي يغمر التابوت في النهر ليستحم الاهالي على أثره للتعميد والتبريك و بعدئذ يرتب الموكب للمسير على نسق المواكب العظيمة يتقدمه الجند فرجال الكهنوت حاملين التابوت و بعدهم الامبراطور مشهراً سيفه حاملاً بندقية ثم الامراء ثم القواد ثم الاهالي حتى يصلوا الى الكنيسة جميعاً فيدخلوها افواجاً فاذا انتهى الصلاة خرجوا وانصرفوا

أما الاعياد الاخرى فلا تخلو من مثل هذه الحفلات المتقدم ذكرها و يلحق بها عيد وطني سنوي يقام تذكاراً لواقعة عدوه و يقع في اول مارث وكيفية ترتيبه ان الامبراطور يخرج من قصره بهيئة المواكب العظيمة لابساً التاج حاملاً المظلة والصولجان و ينتظم له الناس صفين من باب القصر الى كنيسة مار جرجس في سفح جبل منغاشا حتى اذا قاربها ودخلها دقت الاجراس وعلت اصوات المصلين بالدعاء لله وفي انتهاء الصلاة يستعرض الامبراطور جيشه في سهل فلوواها الواقع جنوب اديس ابابا ثم يقصد قصره ليمد السماط لخمسة آلاف نفس على مثل ما تقدم في عيد الصليب

﴿أفراحهم﴾ — لافراحهم مزية على سائر أفراح الشرقيين وهي انها تجمع بين حفلات البداوة وحفلات الحضارة مع مراعاة الذوق بين الاثنين فاذا كان يوم العرس ذهب العريس باهله وذوي قرابته ومن يلوذ به من الاصدقاء والاحباء الى منزل عروسه ليزفها الى بيته بموكب عظيم يتقدمه الطبل فالشاب راكب بغلا مسرجاً مزيناً ووراءه أهله يغنون و يضربون الدفوف و يطلقون العيارات النارية في الفضاء وتتلوه الفتاة راكبة بغلا مسرجاً مزيناً أيضاً ووراءها اهلها وجوقة من العذارى راقصات لاعبات مغنيات وجوق من اللاعبين يلعبون بالسيوف و يرمون بحرابهم الى الهواء ثم يلقفونها . و ينتقل الموكب من هنا الى هناك حتى يطوف المدينة أو القرية الى ان ينتهي الى دار العريس المزين من الداخل والخارج بابهى زينة وهناك يترجل العروسان و يدخلان الدار جنباً بجنب والناس محدقون بهما يهللون ويزغرتون

ثم يقيمون الالعاب و ينشدون الاغاني الى ان يتهادى الليل الى هزيعه الاول فيمد السماط و يفتح مقصف الاطايب الجامع بين لحم البقر وخمر العسل لجميع المدعوين على السواء . ومن ثم يظل الناس بين ضحك ولعب وزمر وطبل ورقص وغناء حتى يبتسم الفجر فينطلقون الى منازلهم بعد ان يحيوا العروسين و يهنئوهما . وأحياناً لا تقتصر الافراح على ليلة بل تقام لها ليلات عديدة حسب ثروة المتزوج ومقامه. ومن عاداتهم أيضاً تقديم الهدايا للعروسين كل على قدر سعته

﴿مآتمهم﴾ - لمآتمهم جلبة عظيمة وصراخ وضوضاء وحزن شديد يحثثن فيها النسوة التراب على رؤوسهن و يسودن وجوههن و يندبن الميت بالصراخ و بالعويل ولطم الخدود وفي بلاد كثيرة يطفن الطرق صارخات مولولات باكيات

ومن سننهم دفن الميت بعد موته بساعتين ولو كان ليلا في المقبرة القريبة من الكنيسة التابع لها بعد تأدية الرسوم الدينية على جدثه ثم يعود اهل الميت الى دارهم لاستقبال المعزين وتبقى نسوتهم نحو يوم وليلة في البكاء والعويل أما اذا مات كبير او عظيم بكوه أياماً تارة ثلاثة ايام وطوراً أربعين يوماً

﴿حدادهم﴾ - حدادهم سنة كاملة يمتنعون فيها عن التطيب ولبس فاخر الثياب والحلي و يزكون على روح مفقودهم بعد اربعين يوماً من وفاته وفي كل عيد واذا مات الرجل دون أن يترك وصية سألوا الكاهن الذي كان يعترف عليه عن وصيته فيرشدهم الى كل ما اوصاه

﴿سلاحهم﴾ — الحبشي اينما كان سائراً في الطريق او نائماً في البيت او مشتغلا في عمله تراه فارساً كمياً يحمل رمحه ليزود عن حوضه بسلاحه وعن وطنه بدمه والوطن لا يسلم حتى يراق على جوانبه الدم . سلاحهم الحراب والتروس والدرق والرماح والسلاح الابيض والنبابيت والقسي والسيوف الحديدية وتلك تلتوي عند الطعن بها والمدي والسياط والمجان وهذه مصنوعة من جلد الجاموس والاسلحة النارية التي دخلت بلادهم عام ١٥٣٠ بواسطة البرتغاليين والبنادق على اختلاف انواعها والمسدسات ولهم أسلحة اخرى خاصة بجيشهم سيجيء الكلام عليها

﴿آلاتهم الموسيقية﴾ — الرباب والطبل والنقارة والناي والمزمار والدف والعود) وقد دخل حديثاً) والارغن والصنج اما طريقة استعمالهم هذه الالات وتوقيع اللحن عليها فتنافر غير ملذ ولهم موسيقى اميرية كباقي الحكومات كاملة المعدات والالات

﴿ملاهيهم والعابهم﴾ - بلادهم خالية من معاهد الانس والسرور ومراسح الرقص والخلاعة ودور التمثيل والغناء وليس لهم ملاه يلهون بها في فراغهم الا في منازلهم حيث يقصون القصص والنكات ويلعبون الالعاب وفي حفلاتهم العمومية والخصوصية التي يقيمونها في كل حين شأن أمثالهم من البدو . واذا أرادوا الراحة والانبساط نزهوا الخاطر في مناظر الطبيعة الجميلة بالوان ازهارها اللطيفة بتغريد اطيارها مما يملأ الروح نشوة والفؤاد صبوة والاحداق بهجة . أما العابهم فكثيرة يستشف منها عجائب وغرائب نذكر منها البهلوان واللعبة المسماة عند عامة المصريين « بالجديد » كأن يخفي الانسان شيئاً في احدى يديه ويحاجي غيره عليه واللعب بالكعاب والنرد والطاب والمسابقة بالجياد والركض على الاقدام والمنافسة بالرماح على ظهور الابل والمساخر والقمار وهو قليل

﴿رقصهم﴾ — البدو أشد الامم اعتباراً للرقص والاحباش في مقدمتهم حيث يقيمون له مظاهر شتى في أعيادهم وحفلاتهم فيجتمعون رجالا ونساء ممسكين بالايدي ويؤلفون حلقة وهم يثبون ثم يميلون يمنة ويسرى ثم ينقلون اقدامهم تنقلات الدلال ثم يرقصون رقصة الالباء ويكون الرقص على الغالب مصحوباً بالغناء واللعب والضرب على الآلات الموسيقية .

والرقص عندهم على ضربين اما للمناداة والتأليب طلباً للقتال وفيه يمثلون رقص اليهود في هياكلهم او للدلالة على الفرح والانبساط كما رأيت او بشكل آخر يميلون فيه برؤوسهم وينقلون اقدامهم ويحركون أردافهم على نغمات الموسيقى والصنج

١١

دينهم وعلاقتهم بالاقباط

كان دينهم الوثنية فيما مضى من الزمان ثم دانوا بدين الامم الصابئة التي كانت نحلتها في الكواكب واستنزال روحانياتها ثم تهودوا على عهد الامبراطور منليك الاول ومارسوا كثيراً من الطقوس الموسوية وفرائضها ثم تنصروا عام ٣١٦ بعد الميلاد حيث جاءهم اقباط مصر سلالة الفراعنة الاولين ونشروا بينهم الدين لارثذوكسي القويم فتعلموه عن طيب خاطر واعتنقوا المذهب القائل باتحاد اللاهوت بالناسوت دون امتزاج ثم اعتقدوا به اعتقاداً شديداً أخلصوا فيه النية لله فكانوا من أقرب الناس اليه تعالى ومن اتقى شعوبه الكثيرة في ارضه الواسعة هذا ما نعرفه ويؤكده التاريخ الشاهد الصامت لكن زعم بعض المؤرخين الى ان اليونانيين هم أول من أدخل الدين المسيحي الى هذه البلاد لدخولهم اليها بعد المسيح قبل كل أمة من أمم الشعب القديم وهو زعم تكذبه المشاهدات التاريخية والمعلومات الباقية الى عصرنا هذا ويكفي حجة عليهم بذلك قول العلامة لرشي المؤرخ « الاقباط هم أول من نشر الديانة المسيحية بين الاحباش فدانوا بها كما دان بها اليونانيون الذين كانوا يقطنون سواحلها ويعيشون بالتجارة وبالصناعة » ومن تتبع تواريخ الامم الغابرة بين مسيحية وأسلامية ويهودية لايرتاب فيما قررناه من ان الاقباط أول من علم الاحباش دين المسيح

وذهب بعض المؤرخين الى ان مار مرقص نادى بالديانة المسيحية في الحبشة كما نادى بها في مصر الا ان هذه الرواية بعيدة التصديق لانها لم تتحقق بعد ولان الباحثين لم يقفوا على شيء يدل على ذهاب الرسول اليها أو انه ارسل أحداً من تلامذته الى ربوعها قال جيبون المؤرخ الانكليزي وفي نحو هذا الزمن (يريد به القرن الرابع) تأسست الكنيسة الحبشية وقبل هذا العهد لم يكن لهذه الديانة من أثر في تلك البلاد ومن هذا القبيل ما رواه الاب جان دي سنت من ان الكنيسة الحبشية تأسست في القرن الرابع ويرجع الفضل في تأسيسها الى الاقباط

ويعتقد الاحباش حسب تاريخ كنيستهم الذي وضعه أحد مؤرخيهم في القرن الرابع الميلاد ومحفوظ في كنيسة اكسوم ان اول رسول مسيحي جاء بلادهم هو كهرمان الملكة كنداكة ملكة الاثيوبيين الذي ذكر تعميده في العدد السابع والعشرين من الاصحاح السابع من سفر أعمال الرسل على ان هذا الاعتقاد غير حقيقي بالمرة والصحيح كما سبق لنا ذكره

والبراهين عندنا على ان الاقباط هم الذين أدخلوا الدين المسيحي في الحبشة قائمة بامرين جوهريين الامر الاول ما يتعلق بالتاريخ وهو من حيث هو برهان مسلم والامر الثاني بقاء السلطة الدينية على هذه البلاد في يد الاقباط وهو من حيث هو برهان عقلي نظري لكننا ندع هذا البرهان العقلي جانباً ونتمسك بالبرهان التاريخي المسلم فنقول : حدث في زمن البطريرك اثناسيوس بطريرك المصريين انه كان جالساً في مجمع من الاساقفة اذ دخل عليه خادمه وقال له ان رجلا غريباً يا مولاي وفد الآن من ديار الاحباش يود مقابلتك فاذن له بالدخول ومادخل الرجل واستقر حتى أمره البطريرك ان يقص قصته فقال

مولاي : منذ بضع سنوات مضت شرع عمي وولي أمري ميرو بيوس أحد فلاسفة صور في رحلة رياضية الى ارض الهند واستصحبني مع شقيقي الاصغر اليها وعند أوبتنا من هذه السياحة القينا عصا التسيار في احدى مدن الاحباش لكي نتزود بالماء فلم نشعر الا وهجم علينا اهل تلك المدينة لينتقموا من بحارة احدى السفن وكانوا قد اساءوا اليهم فانقضوا علينا في جملة من انقضوا عليهم وذبحوا جميع الاجانب ولم ينج من يدهم الا فرومنتيوس وهو انا وايديسيوس وهو أخي فباعونا عبيداً للملك ولما صرنا في حوزته عين أخي نديماً له وجعلني كاتماً لسره وهكذا لبثنا عنده على هذه الحالة حتى اعتقنا ساعة احتضاره وهو على فراش الموت فالتمست منا ارملته ان نمكث في بلادها لنساعدها على تربية اولادها فرضينا وأقمنا عندها الى ان اصبحت كل حكومة الحبشة في قبضة يدنا على توالي الايام ولذلك استعملنا كل نفوذنا في رفع شأن الديانة المسيحية في هذه البلاد . ولما جاء الزمن

الذي صار فيه ولي العهد راشداً وقادراً على ادارة حكومة بلاده بنفسه رأينا انه لم يبق لنا حينئذ وجه للاقامة هناك فرحلنا قاصدين وطننا ومسقط رأسنا وقد سبقني أخي اليه أما انا فعرجت على مصر لاسرد الخبر على مسامعكم راجياً ارسال أسقف اليها ليؤسس الارسالية في هذه البلاد

سمع اثناسيوس القصة فاستشار الاساقفة في الامر فقر الرأي على تحريض فرومنتيوس بالرجوع الى الحبشة وأخذ هذا العمل على عاتقه وعليه أعطيت له رتبة كهنوتية وأعيد من حيث جاء الى حيث قضى بقية حياته في التبشير والتعليم ولا يزال الاحباش يحترمونه و يجلونه الى اليوم و يسمونه أبو سلامة أو أب السلام. ولقد اجتهد الامبراطور قسطنطين ملك الرومان في اقناع فرومنتيوس والاميرالحبشي باتباع مذهب اريوس فحبط مسعاه

قلنا ولربما يكون زعم اليونانيين في انهم اول من أدخل الدين المسيحي الى هذه البلاد راجعاً الى ان فرومنتيوس يوناني الاصل لكن المشاهد من عبارتنا انه لولا تحريض البطريرك اثناسيوس للراهب واعطائه رتبة كهنوتية لما انتشر على يديه الدين المسيحي بين الاحباش ثم من جهة أخرى لاحظ بعض المؤرخين في عرض هذا البحث أمراً جوهرياً هو ان فرمنتيوس يقول في قصته « اننا استعملنا كل نفوذنا في رفع شأن الديانة المسيحية في هذه البلاد » فقالوا ولا يخفى ما في هذا القول من التلميح بانه كان للدين المسيحي هناك من أثر وكان يدين به الكثيرون وهو ما ذهب ببعضهم الى الاستنتاج بمناداة مارمرقص للنصرانية في هذه البلاد كما نادى بها في مصر والحال ان فرومنتيوس يريد بكلمته توسيع سلطة الديانة المسيحية واعزاز جامعتها في البلاد التي كانت لاتزال تعبد الاوثان وتمجد الالهة

وما برح بطاركة الاسكندرية يعينون المطارنة في الحبشة من الاقباط و يستحيل على الاحباش ان يقبلوا أي مطران آخر لا يعينه بطريرك مصر كما ما فتئت الكنيسة الحبشية تحافظ على شروط الطاعة والخضوع لامها الكنيسة المصرية القبطية حيث رفضت قرارات مجمع خلكيدونية وأبت الاعتراف بسلطة البطاركة اليونانيين الذين

كان يعينهم الامبراطور الروماني على الكرسي الاسكندري ثم نمت الكنيسة الحبشية نموًا عجيباً وما جاء القرن الخامس حتى كان كل الاحباش يدينون بدين النصارى ثم اجتمع مجمع نيقية الديني وجعل خضوع مسيحيي الاحباش في أمورهم الدينية للكنيسة القبطية الارثذوكسية شرطاً من الشروط فجاء في قراره « ان مسيحيي الاحباش لا يجوز لهم الاستقلال بامورهم الدينية وانما هم تابعون للكرسي الاسكندري البطريركي » .

ثم دخل القرن السابع للميلاد وظهر النبي العربي عليه السلام فارسل الى النجاشي أصحمه مليك هذه البلاد كتاباً في سنة ٦٢٧ ميلادية يدعوه فيه الى الدين الاسلامي ويدعو أبناء أمته اليه أيضاً وهذا نص الكتاب :

من محمد رسول الله الى النجاشي أصحمه ملك الحبشة

سلام عليك فاني أحمد اليك الله القدوس الموءمن المهيمن وأشهد ان عيسى بن مريم روح الله وكلمته فخالقه من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده ونفخه واني أدعوك الى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته وان تتبعني وتوءمن بي و بالذي جاءني فاني رسول الله وقد بعثت اليكم ابن عمي جعفراً ومعه نفر من المسلمين فاذا جاءوك فاقرهم ودع التجري واني ادعوك وجنودك الى الله فقد ابلغت ونصحت فاقبلوا نصحي والسلام على من اتبع الهدى

وصل الكتاب مع الوفد النبوي الى اصحمه فاستشهد وآمن بالدين المحمدي وسمى نفسه أحمد انما أظهر استحالة انتشاره بين ابناء شعبه قال الشيخ دحلان في كتابه السيرة النبوية ما نصه من اقوال النجاشي « ان أعواني من الحبشة قليلون فانتظرني حتى اكثر الاعوان وألين القلوب » وهو جواب شاف على عدم امكانه نشر الدين الاسلامي في بلاده لاعتصام الامة الحبشية بدينها المسيحي اعتصاماً شديداً . ثم حدث بعد ذلك ان اصحمه تزوج بالسيدة ام حبيبة بنت أبي سفيان وكانت أرملة تقرباً من النبي عليه السلام وأرسل ولده اريحا بكتاب الى الرسول هذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم الى محمد صلى الله عليه وسلم من النجاشي أحمد

سلام عليك يا رسول الله من الله ورحمة الله و بركاته لا اله الا الله الذي هداني للاسلام أما بعد فقد أرسلت اليك يارسول الله من كان عندي من أصحابك المهاجرين من مكة الى بلادي وها أنا قد أرسلت اليك ابني اريحا في ستين رجلا من أهل الحبشة وان شئت ان آتيك بنفسي فعلت يا رسول الله فاني أشهد ان ما تقوله حق. والسلام عليك يا رسول الله ورحمة الله و بركاته

حمل الولد الكتاب وفارق الحبشة مع الصحابة والرجال قاصداً مكة لكن نجم سعده كان آفلاً فهاجت عليه الانواء في الطريق وغرقت السفينة التي كانت تقله في اليم قبل ان يصل ثم مات ولده على اثره بقليل ودفن في قبر بين مدينتي حوزيه واطبي بالتغرة و يسمونه الى الآن قبر أحمد النجاشي وقد صلى عليه النبي والصحابة.

ومع دخول اصحمه الى الدين المحمدي واختلاف الصحابة وحملة القرآن الشريف الى بلاد الحبشة لم يقلل من نفوذ الدين المسيحي فيها وان أسلم كثيرون من الاحباش فهم اسلموا على الغالب من حملات العرب عليهم وقتالهم من حين الى حين

وفي عام ٦٦٠ للميلاد ارسل البطريرك بنيامين الى الحبشة مطراناً ومعه راهب يسمى تكلا هيمانوت عرف بتقواه وقداسته وسعيه في ادخال البقية الباقية من الاحباش الى الديانة المسيحية ولا يزال الاحباش يكرمونه الى اليوم و يقولون انه اول من عمم الرهبنة في بلادهم و يعتقدون بروحانيته و يذكرون له معجزات عديدة و بالجملة فهو قديس من قديسيهم له كنائس خاصة كذلك له كنيسة باسمه في مصر القديمة بجوار كنيسة المعلقة يزورها الاحباش الذين يفدون الى هذه الديار

قال الفاريز البرتغالي «واهتم كثيرون من الاقباط بنشر المذهب الارثذوكسي في الحبشة ولا سيما تسعة رهبان كانت لهم شهرة واسعة بل صار لهم المقام الاول في تاريخها وأحدهم وهو اراجاوي الذي أدخل الرهبنة في بلادهم ومن خلفائه تكلا هيمانوت الذي كان رئيساً للكنيسة الحبشية فأجرى فيها اصلاحات مهمة بالادبرة ورد للدين المسيحي من كان باقياً من سكان الاقاليم على عبادة الاوثان الى ذلك الوقت» .

ثم حدثت بعد ذلك حوادث أخرى خلا فيها الكرسي الحبشي من مطران الاقباط وانفصمت عرى العلاقات بين الكنيسة القبطية وربيبتها الكنيسة الحبشية ولبثت بين ارتباط وانفصام حتى عهد الملك تاوضروس فاشتدت الرابطة وبقيت متينة شديدة الى عصرنا هذا

وكانت مدة انفصام العلاقات يقوم ملك الحبشة بالرئاسة الدينية قال ابو صالح المؤرخ « ان ملوك الحبشة كانوا يعتقدون انهم مرشحون لتأدية المواجب السياسية والدينية حتى ان بعضهم أدى فريضة العشاء الرباني في احتفال اقيم في الكنيسة الحبشية » .

ويدفعنا الحديث هنا الى الاعجاب بشدة تمسك الاحباش بدينهم القويم وبمحبتهم الفائقة لعقيدتهم الارثذوكسية وطقوسها . فهم غيورون على دينهم غيرة الولد الحنون على ابيه الطاهر القلب النقي السريرة معجبون بآيات الانجيل وأساطير الشهداء الاولين مطيعون لرؤساء كنيستهم واحبارهم خاضعون لاوامر حكامهم صاغرون لنواهيهم سائرون على خطة أرضت الله والناس أجمعين . قائمون بفرائض العبادة واداء مطالب الدين شأن امثالهم من الشعوب التي تكون خواص صفاتها البسالة وكرم النفوس ويؤكد لنا هذا الحب الديني في أفئدة أولئك السوداضطهادهم للارساليات الدينية الكاثوليكية والانجيلية في بلادهم وعدم انصياعهم مع ما هم عليه من السذاجة والبساطة الى تغيير معتقدهم ومذهبهم رغماً عما يبذله أولئك المرسلون من الاجتهاد وبذل المال شأنهم في كل حال

قال العلامة المقريزي « الحبشة قوم يدينون بالنصرانية من قديم ويعتقدون مذهب اليعقوبية وهم يشددون في ديانتهم تشدداً زائداً ويعادون من خالفهم من سائر الملل أشد عداوة ويعادون الطائفة الملكية من النصارى بحيث أخبرني من دخل منهم الى بلاد الحبشة انه أظهر بها انه يعقوبي خوفاً من القتل لو علموا انه ملكي » (١)

(١) هذا الاسم صار علما على الكنيسة الرومانية من بعد الفتح الاسلامي وهو

البطريرك اثناسيوس مؤسس الكنيسة الحبشية

obeikan.com

وكان أهم ما يتراوح في اذهان الشعوب الغربية ونفوسها دعوة الاحباش الى الانشقاق عن مرشديهم الاقباط واقصاء الامتين عن بعضهما اقصاء لاتكون وراءه جامعة وهما بمثابة الاخت للاخت والابن للاب فكان عملها محالاً ولم تفز بغير الخيبة والخزلان . وهذه الدولة الايطالية كثيرا ما سعت وجاهدت في ضم رعاياها الاحباش في مستعمرة الارتيرة الى حضن الكنيسة الكاثوليكية فوجدت من نفورهم الشديد ما اضطرها الى العدول عن رأيها والاستنجاد بغبطة بطريرك الاقباط الارثوذكس طالبة منه تعيين أحد أحباره مطراناً عليهم . وربما تم هذا التعيين في هذا العام . وفوق ذلك نرى في التاريخ قصصاً كثيرة من هذا القبيل منها ان حكومة البرتغال (١) أغرت الاحباش عام ١٥٤١ على الانفصال من الكنيسة القبطية و بعد ان أرسلت لهم مطراناً كاثوليكياً أقره أحد ملوكهم هاجوا عليه هياجاً شديدا وقتلوه شر قتلة . ومنها ان الآباء اليسوعيين ذهبوا اليها عام ١٥٥٥ وتداخلوا في شؤونها الدينية فدان مليك الحبشة بالمذهب الكاثوليكي وعلى أثر ذلك ثار الاحباش ونكلوا بهم تنكيلاً وشتتوا شملهم حتى ترك بعضهم البلاد عام ١٦٢٢ والبعض الباقي عام ١٨٣٣ ثم جدد المرسلون الكاثوليك من الرهبنة العازارية ارسالياتهم لالقاء الاتحاد بين الكنائس الرومانية والكنيسة الحبشية فخاب مسعاهم وخذلوا كما خذل سابقوهم من الطوائف البابوية . وفي عام ١٨٥٩ أرسل ملك التغرة رسولا الى رومة ليقدم الطاعة للبابا لكن ما بني على ذلك من الآمال عاد الى خيبة وفشل أيضاً ثم عين بطريرك الاقباط أحد تلامذة الكنيسة الانجيلية في القاهرة أسقفاً للحبشة لكنه سجن ومات في سجنه عام ٦٧ وأخيراً في عام ١٨٨٠ دخلت آخر ارسالية قبطية أرثذوكسية

اسم عربي مشتق من كلمة « ملك » ومعناها الذين ينحازون الى الملك او الامبراطور الروماني مذهباً وسياسة (١) البرتغال مملكة واقعة جنوب شرقي اسبانيا مساحتها ٩٠ الف كيلومتر مربع وعدد سكانها اربعة ملايين ونصف مليون من النفوس وعاصمتها لسبون واشهر مدنها بورتو واقعة على المحيط الاطلانتيكي وشهرة هذه المملكة في زراعة البرتقال

الى هذه البلاد في عهد الملك يوحنا السابق ولا تزال باقية فيها الى اليوم برأسها نيافة الحبر الجليل الانبا متاؤس المطران الحالي

و يتضح لكل من تمعن في اخلاق الاحباش بغض النظر عن ملوكهم وسياستهم ووقف على عقائدهم وعلى تاريخهم ان رابطتهم بالاقباط متينة واخاءهم بسلالة الفراعنة قديم وتعلقهم بالكنيسة القبطية تعلق الطفل بامه والوطني بوطنه بل لان الامتين أمة واحدة بعقيدتها الدينيـة الواحدة وقوانينها الكنائسية الواحدة التي تتجلى فيها الارثذوكسية على اوسع تعاليمها . أما اختلافهما في العوائد والاخلاق فليس فيه وجه للتغيير والتبديل بين محبتهما مهما زعم الزاعمون فقد يفترق الشقيقان عن بعضهما فيتخذ كل منهما وطناً يتبع عوائد أهله و يتخلق باخلاقهم وطباعهم فيختلفان صفات وأخلاقاً ولا يختلفان محبة وولاء واخاء . وهكذا لكل امة عوائد خاصة بها و بكيانها الحيوي واجتماعها الهيئوي وقد نقل لنا التاريخ ان كل فريق من الامم المتحدة في العقيدة والمذهب كان يختص دون الاخر بصفات مخصوصة وعوائد كذلك لا يشاركه فيها سواه وشاهدنا الامم الاسلامية فكم هي متباينة المشارب مختلفة العوائد تجمعها جامعة الدين المحمدي فلا تنفك ان تنضم الى بعضها على رغم اختلاف مواطنها

وفوق ما تقـدم من الحديث لابد لنا من كلمة تقال ايضاً عن علاقة الامتين ببعضهما وعن اخائهما الشديد . فنقول ان الاحباش اشد التصاقاً بالاقباط لسائق الطبع من جهة ولأنهم من دين واحد من جهة اخرى ولن يتحولوا عن رابطتهم هذه الا اذا تحولت وتبدلت نفوسهم وهو من الاستحالة بمكان اللهم الا اذا غيروا عقيدتهم و بدلوا نفوسهم وهو من اللاوقوع لاعتصامهم بحبل الدين اعتصاماً متيناً ولا اقوى من الرابطة الدينية في الاتحاد والاخاء وليست هـذه الاسباب وحدها في رابطة الامتين بل لان الاقباط لهم فضل عظيم على اخوانهم الاحباش في كل جيل وكل زمان فهم اول من انقذهم من الهمجية بعد ازمنة المدنية وهم اول من نظم مملكتهم بعد ان كانت بربرية و بعد ان كانت تعيش في التوحش و يعيش اهلها عرايا من سلطانهم الى احقر حقير فيهـم الا ما كان يأتزرون به خفية لسوآتهم نقول ذلك لان قبطياً .

يعرف بفخر الدولة ذهب اليها عام ١٣٩٧ ميلادية في عهد ملكها اسحق ابن داود بن يوسف ارعد ورتب له المملكة واقامها من سقطتها واحيا موانها واعز جانبها وجبى له الاموال ودون الدواوين والمحاكم حسب النظام المصري القديم فصار ملكا له ملك وسلطان وديوان والبسه ثياباً فاخرة ميزته عن رعيته بعد ان كان جده يوسف ارعد يخرج عريانا ويعيش بين امته عيشة الفقير لا عيشة السلطان العظيم وقد قويت البلاد الحبشية على يد هذا القبطي واستولت رهبتها على الامم القريبة منها والبعيدة فاذا ذكر الاحباش رقيهم ونجاحهم واحياء ارضهم وعزهم وسلطانهم ذكروا فخر الدولة وغيرته ودقة نظره وحميته وكبر عقله. وليس هذا بالدليل على فضل الاقباط بل لهم فضائل كثيرة سيجيء ذكرها في تاريخ هذه الامة الذي افردنا له مجلداً خصوصياً. فالاحباش كما رايت مدينون للاقباط باحيائهم من العدم واجراء روح الحياة في عروقهم والاقباط مدينون للاحباش باعترافهم للجميل وشدة اخائهم

ثم ان الاحباش يعترفون بغبطة بابا الاسكندرية رئيساً دينياً عليهم كما يعترف اخوانهم الاقباط برعايته ويقدمون له اسمى مظاهر الخضوع والخشوع بل يعبدونه عبادة ويعدونه من زمرة الاولياء والقديسين وليس هذا الشعور في نفوس فريق من الامة دون فريق بل هو الشعور العام عند الجميع وخطة يسيرون عليها حسب تعاليم اوليائهم وقديسيهم وملوكهم قديماً وحديثاً. واذا رأينا الكثيرين يذهبون الى قرب انفصال الامتين لاختلافهما في مسألة دير السلطان (١) بارض

(١) لما قامت الحروب الصليبية انفرد الاقباط عن سائر الطوائف المسيحية باظهار الانعطاف لاخوانهم المسلمين عملا بحقوق الجوار والوطنية والشرع والدين فحاز عملهم هذا رضى العقلاء اجمعين وبادر السلطان صلاح الدين الايوبي فوهبهم امكنة واملاكا في القدس لاتزال باقية في ايديهم الى اليوم ولم تنل الامم العظيمة مثلها رغماً عما لها من السوءدد والقوة والسلطان

وقد بقيت هذه الاملاك الثمينة في حوزة الاقباط من ذلك العهد البعيد الى الان وفي جملتها دير مطل على كنيسة القيامة المشهورة في القدس الشريف يعرف

القدس الشريف فذلك خطأ وخطل في الرأي بل حديث من احاديث الخرافة ونعد الذاهبين هـذا المذهب من زمرة الجاهلين بتاريخ الامتين ولا اقل من ان يرسلوا نظرة الى الايام الماضية و يتصفحوا التاريخ ليعلموا ان مشكلة دير السلطان ليست بالجديد فضلاً عن ان قديسي الحبشة حرموا على اولاد امتهم الانفصال عن مرشديهم الاقباط وعن امهم الكنيسة الارثذوكسية

بدير « السلطان » نسبة الى السلطان صلاح الدين الايوبي المشار اليه وكانت المنازعات الطائفية على املاك القدس سبباً في اصدار الاوامر السلطانية المتوالية باثبات حقوق الاقباط على املاكهم هناك وفي جملتها ذلك الدير حتى عهد جلالة السلطان الحالي عبد الحميد خان

ونظرا للعلاقة الدينية المستحكمة العرى بين الكنيسة القبطية و ربيبتها الكنيسة الحبشية كان الاقباط يسمحون لاخوانهم الاحباش بالنزول معهم في ذلك الدير ليشتركوا معاً في وسائل التمتع بالزيارة المقدسة . غير أن نفرا من الاحباش قاموا اخيرا يدعون ملكية الدير بادلة واهية تارة بان تسمية الدير بدير السلطان نسبة لاحد سلاطينهم وطورا بانه ممنوح لهم من سليمان الحكيم ملك اسرائيل العظيم في عهد الملكة سبا وهو زعم باطل لان في ذلك العهد البعيد لم يكن المسيحية من اثر ولم يظهر المسيح الا بعد الملكة المذكورة بتسعمائة اثنين وتسعين عاماً

ولا يخفى أن مشكلة دير السلطان هذه كانت قد عرضت على المرحومين الملك يوحنا والملك تاوضروس من ملوك الحبشة السابقين فحكما فيها حكما فاصلا باثبات حقوق الاقباط للدير مما هو مثبوت في الاوراق المحفوظة في الدار البطريركية القبطية الى الآن . غير أنها عادت فتجددت المشاكل من جديد على عهد الامبراطور الحالي وانتهت باصدار فرمان من جلالة السلطان الاعظم باثبات ملكية الاقباط للدير طبقاً للاوراق المحفوظة في دفترخانة الاستانة العلية ايضاً وكان الفضل في بقاء الدير في يد الامة القبطية لعطوفة الوزير بطرس غالي باشا ناظر الخارجية المصرية لما بذله من الهمة في ازالة العقبات التي وضعتها الدول في هذا السبيل ورامت اعطاء الدير للاحباش حتى تنال من وراء هذا المسعى نفوذاً في بلادهم .

بعد اعترافهم بسلطتها وسلطة هؤلاء عليهم و بعبارة أصرح فان تسلط النواميس على وجدان الاحباش وحرصهم على مبادئهم وتمسكهم بعقيدتهم و بكلمات أوصيائهم القديمة الشريفة المدونة في صدورهم جعلتهم لا ينفكون عن رعاتهم الاولين الذين أرشدوهم الى النور والهداية مهما تغيرت الاحوال وكثرت الحوادث وهو ما يؤكد لنا ولسوانا ببقاء الامتين في اخائهما وفي محبتهما حتى انتهاء الايام . وسيحفظ لهما التاريخ في مقبرته هذا الاخاء الذى لا يماثله أخاء الى الابد فتكونان مثالاً للشعوب المتأخرة والاجيال المستقبلة

١٢

احبارهم ورهبانهم

ان من قوم كوش كهنة ورهبانًا وعبادًا يملأون البلدان والقرى المعابد والاديرة و يبلغون ١٢ الف شخص اويزيدون . يؤمنون بالله وكلمته و يتبعون سبيل الصالحين هم الذين يعلمون الشعب و يهذبون النفوس و يثقفون العقول و يفصلون بين المتخاصمين و يقضون الحياة في الورع والتقى . هم الذين يحضون امتهم على اتباع دينهم القويم و يعظون الفاسدين . لهم الملم بالتوراة والانجيل الشريف وما هم يؤمنون . كذلك لهم الملم بتاريخ بلادهم وكنيستهم وما يتلقون عن أئمتهم تفصيلا عن علم وهدى . لهم سلطة سامية على الاهلين كانهم خلقوا فوق البشر او كأن البشر لهم مسخرون يعيشون من مال الامة وان مال الامة رخيص لاحبارها كذلك يقول المؤرخون

لباسهم اسود من القبعة الى الحذاء ومن الجبة الى القلنسوة و يتزجون نسوة من الشريفات الكريمات الا رهبانهم ومن يتعبدون . فاذا ماتت زوجة الكاهن عاش زاهدا واذا مات الكاهن عاشت امرأته كذلك . فرائضهم الدينية وأقوالهم الكنائسية كالمتبع في الكنيسة القبطية صورة فصورة وكلمة فكلمة ولا يزيدون . القابهم الكهنوتية هي القاب كهنة الاقباط وان خلت من رتبة البتريرشيس « بطريرك » وهو الرئيس الديني عليهم وعلى اخوانهم القبط ومركز اقامته القاهرة حاضرة الديار المصرية اما

باقي الالقاب فهم متمتعون بهم وحاصلون عليها وهي رتبة المترو بوليتس « مطران » و يسمونه الابونا او رئيس الاساقفة و يعين من الاقباط وله املاك خصوصية يقدر دخلها الشهري بعشرة الاف ريال . ورتبة اسكو بولويس « اسقف » و يعين من الاقباط والاحباش و يسمونه كوموس وليس على هؤلاء الاساقفة الان الا المحافظة على الكنائس وآنيتها المقدسة ورتبة ايغومانوس « قص » و يسمى الالاقا وهو المقدم على المداخيل الكنائسية من مبرات ونذور ورتب برسيفتروس « قس » و يسمى ديبترا وارشيدياكون « رئيس شمامسة » وديا كون « شماس » وابوديا كون « وكيل شماس » واغنسطس « مرتل » و بستايس « منشد » ولهم عرفاء يبصرون خلاف ما هو جار عند الاقباط حيث عرفاؤهم عميان وان كانوا يفقهون . ولا يرشحون للكهنوت الا من كان مرتلا وعارفاً بالقراءة والكتابة وملتحياً أي ذو لحية وان يدفع قطعتين من الملح الصخري ثمناً لنفخ الاسقف عليه ورسم علامة الصليب وللكهنة الحق في تهيئة خبز عشية الرب .

و يتلو نيافة المطران القبطي في الزعامة الدينية أسقف حبشي يسمونه « الاشغا » له حق الرئاسة على رجال الكهنوت و يرأس دير دبر البانوس في مملكة شوا وهو محترم الاحترام الكلي و يعد رأيه القول الفصل في جميع قضايا الايمان بعد اقرار المطران الاكبر

و ينقسم رهبانهم الى مرتبتين رهبان المرتبة الاولى وهم رهبان دير دبر اليبانوس ورهبان المرتبة الثانية وهم رهبان دير القديس اوستاكيوس وجميعهم تحت زعامة « الاشغا » وتعيش بينهم طائفة من الرهبان اشتغلت عن عالمها الدنيوي بعوالم السماء والدار الآخرة تقتنع من العيش بكلاء الارض ومن اللباس بما يستر سوأتها وتنصب أنفسها ليلا ونهاراً للعبادة والتراتيل وتبذل النفس والروح طمعاً في دخول الفردوس وجنات النعيم وهؤلاء يسمون بالزهاد

ثم هناك كهنة للقرى والضياع جلهم جهال باحكام الدين وشريعته يخلطون العقيدة المسيحية بالعقيدة الموسوية بل يزيدون على هذا الخلط مزيجاً من الخرافات

الوثنية واتخذوا شريعة موسى دون شريعة المسيح . فان جاءهم كهنة وقسيسون من الاقباط ينزهون عقولهم عن الشكوك والاوهام لانبعث من جوف الحبشة كهنة يطبقون أصول الدين على ما تقتضيه اوضاعه لا على ما تقتضيه اميالهم و يلائم أحوالهم

ثم هناك عدد عظيم من الكهنة أساؤا استعمال الدين وسلكوا فيه سبيلا وهمياً فاعتقدوا بخرافات ومفتريات يسندونها لخيار القديسين حتى غشت عقول كثير من الاهالي وذهبت بهم مذاهب شتى في الخيالات ورمت بهم في حالك الاباطيل حتى لو جاءوا الى كنيستنا ورأوا ما فيها واطلعوا على خطتنا الدينية لقالوا اننا أمة نعبد دون ما تعبدون وانا لنا خططاً دون خططكم فماذا أنتم تعتقدون هل جاءكم رسول من عند ربكم أم أنتم تكذبون

قال راوية من الرواة السائحين « يقتدي كهنة الاحباش بكهنة الاقباط اقتداء تقليدياً مجرداً عن اليقين لعدم استطاعتهم التفريق بين الانجيل والتوراة و بين شريعة وشريعة » ونظن ان هذا الاختباط في الدين متأت من خلو نموذج يقتاسون به ومن اعواز مرشد يهديهم بل لانه مناسب لهيئتهم الاجتماعية ولاحوالهم الشخصية أما الدين المسيحي المجرد للامور الروحانية عن المصالح الجسمانية لا يلائم كيانهم وكل عواطفهم هي في غاية من الجهل يميلون كالبدو الى الشذوذ و ينسابون مع الاوهام والظنون .

وليس كلامنا هنا عاماً لكل كهنة الاحباش انما مفاد قولنا ان بينهم فريقاً يؤول النصوص الدينية تأويلات خيالية تغاير الشريعة المسيحية وتخالف عقيدتها الاصلية حتى اصبح نور الدين غير مستكمل ضياءه الساطع بين عامتهم

هذا حال الكهنة في بلاد نصفها ونشرحها الا ان كنيستهم والكنيسة القبطية واحدة والطقوس واحدة والعقيدة واحدة وتعلق هؤلاء بالاقباط شديد لاعتقادهم انهم ارشدوهم الى النور الحقيقي والدين الصحيح بل لان نظام الكنيسة القبطية أحسن نظام الكنائس المسيحية وأجلها ليس لكوني قبطياً بل لان هذا هو اعتقاد كل رجال الدين المسيحيين وقد قال المستر بتلر احد علماء اللاهوت الانكليز ما يؤيد هذا القول

١٣

كنائسهم واديرتهم

كنيستهم هي الكنيسة القبطية الارثذوكسية لكنها تستعمل الختان قبل المعمودية وتحفظ السبت اليهودي والاحد المسيحي ولا يزال الرقص قسما من احتفالاتها كما كان في هيكل اليهود . و يلزم لتتميم واجبات الكنيسة الواحدة ٢١ شخصاً من الاساقفة والشمامسة والكهنة والرهبان الكثيرون الذين يبلغون احياناً مائة شخص او يزيدون ولكل كنيسة رئيس يسمى « الالا كا »

ومع ان الكنيسة الحبشية بقيت دائما محافظة على تعليم الطبيعة الواحدة لم تتمكن المجادلات على طبيعة المسيح من ان تمزقها الى فرق على ان المجادلات التي جرت فيها من جهة ما يسمونها بولادات المسيح العديدة التي يعتقد أقوى حزب فيها الآن بانها ثلاث قد أوقعت فيه هياجاً واضطراباً وقد وقع حديثاً اختلاف من جهة كون المسيح وهو في احشاء العذراء ذا ادراك ومعرفة للخير والشر ومن جهة كونه الان مساوياً للاب أو دونه في السلطة والقوة وأقوى جدال بينهم من جهة كون العذراء مريم هي أم الله أو أم يسوع فقط و بالتالي هل يحق لها نفس الاكرام الذي لابنها

وهم يعمدون الاولاد بالتغطيس والبالغين بالسكب والقانون النيقاوي مقبول عندهم وأما القانون الرسولي فغير معروف وهم يقيمون الشركة يومياً و يعطون العوام الخبز والخمر و يستعملون الاعتراف بكل صرامة وعندهم انه اذا تزوج رجل باربع نساء وعاش بعدهن يجب ان يذهب الى دير أو يحرمه الكاهن حق اعطاء الاذن بالزواج والكتاب المقدس الاثيوبي يتضمن كل أسفار الكنيسة الكاثوليكية الرومانية القانونية مع عدة اسفار غيرها وسفر اخنوخ وهو اشهرها جميعاً وجملة عدد الاسفار ٨١ سفراً .

واكثر كنائسهم مقامة من الخشب مشيدة على الغالب في جهات مرتفعة تظللها الاشجار وتتساوى تقريباً في هيئتها فيكون شكل الكنيسة مستديراً مغطى بسطح يشبه القبة وتنقسم داخلياً الى قسمين يفصلهما عن بعضهما ستار كبير من الحرير أحدهما للشعب وهو بهو كبير والثاني القائم فيه الهيكل ولا يدخله الا القسوس وتغشى الكنائس صور القديسين والملائكة والعذراء والمسيح والشياطين. وفي كل كنيسة تابوت عهد يتوقف قداسها على وجوده فيها ويحثو الشعب راكعا امامه عند ما يحمله الكهنة على ايديهم وضمن ذلك التابوت درج يحتوي على اسم القديس الذي بنيت تلك الكنيسة على اسمه وهو موضوع خلف ستار في قدس الاقداس حيث لا يسمح بالدخول الا الاقلاكا والكهنة الذين يقومون بالذبيحة

وفي هذه البلاد معابد نادرة المثال ذات الحجر الواحد وهي عبارة عن هياكل منحوتة في الصخر ويبلغ عددها نيفاً وثلثمائة كنيسة أجلها كنيسة كائنة في الحدود الشرقية شمالي بلاد اجوالا وأخرى في جوار مقاطعة لاستا أنشأها الملك كالب مليك هذه البلاد في القرن السادس عشر واحدى عشر كنيسة من هذا الطراز مقامة في مقاطعة لاستا وقد سميت هذه الكنائس باسماء الاحد عشر هيكلا التي كانت في أورشليم والاهالي يقصدونها للتبرك منها والاقامة فيها أياماً يحتفلون خلالها بحفلات شائقة

أما طريقة انشاء هذه الكنائس فهي انهم يعمدون الى صخر كبير الحجم فيخططون عليه حدود الكنيسة المراد انشاؤها ثم يفصلونها عن بقية الصخر ثم يشرعون في ثقبها ضمن القطعة المنفصلة ويبتدأون أولاً بنحت واجهاتها الظاهرة ثم ابوابها حتى يصلوا الى داخلها وعند ذلك يقسمونها الى صحن وهيكل كل ذلك بمهارة غريبة ودقة عجيبة

وأشهر اديرتهم دير دبراليبانوس ودير القديس اسطفانوس على بحيرة هايك في بلاد بيو ودير دبرا داموا ودير اكسومثيون في مملكة التغرة ودير لاليبالا ودير القديس تكلا هيمانوت في مقاطعة لاستا

١٤

شريعتهم

شريعتهم خليط من الشرائع السموية والارضية وقد تتغلب بينهم الشريعة الموسوية لما هو بديهي من ملاءمتها لمنفعتهم وعدم ملاءمة الشريعة المسيحية لهم غير ان الذين تنورت اذهانهم وتوفرت فيهم القوة العاقلة وحصلت لهم سعة الذهن وقليل ما هم اتبعوا الشريعة المسيحية وساروا طبقاً لآيات الانجيل الشريف ونواميسه المقدسة دون تغيير ولا تبديل

فالشريعة الموسوية اذن هي شريعة كل الاحباش يتبعونها بكل طرقها لاعتبارهم الكتاب المقدس تنزيل من عند ربك لا تنسخ آياته آيات ولو كانت بينات . الا ان ذلك يرجح في نظرنا كما قلنا ان الشريعة الموسوية مطابقة كل الانطباق لاخلاق الشعب الحبشي وعاداته وأحواله وأميله بل لان مجتمعه الهيئوي بقيمته أنزلها عنده من الدرجات العالية المشروعة وربما يكون أصل انتمائه اليها وتمسكه بها استحسان بشري عام

لكن بحيادهم عن روح الانجيل الطاهر أخضعوا عقولهم الى اوهام دسوها في الشريعة دساً وخرافات ورثوها عن اجدادهم عبدة الاوثان فمزجوها بها حتى صارت الشريعة الحبشية رهينة المؤثرات الخارجية فكلما مر بها امرأ اكسبها حالا من الاحوال فتكيف به ثم بتكرره صار ملكة راسخة لمجتمعهم البشري لا يقوى على مقاومتها وحتى اصبحت شريعتهم حرة اكثر مما هي في كل ممالك الارض لا شيء يربطها ولا نواميس تضبطها فكان حالهم في شريعتهم حال الفونغراف كلما نفخ فيه مغرد اكسبه صوتاً جديداً . الا ان الآمال معقودة ان يبث الانجيل الطاهر في نفوسهم الشريعة المسيحية بعد تعليمهم نواميسها تعليماً صحيحاً لانها خير وسيلة لترقي الافكار وتطهير النفوس وافضل صور الوعظ والانذار كما هي اقرب الطرق الى الفضيلة وعدم الانسياب مع الاميال والشهوات

ولا يذهبن هذا القول بالبعض الى ان البهيمية — وهي القوة التي تطلب كلما يلائم النفس بالفطرة ولو على غير الاقتضاء الطبيعي - من طبائع الاحباش ومستلزمات أمانيهم لكن حيادهم عن الشريعة المسيحية جعلنا نخوض هذا الحديث . وقد يكون الجهل السائد في هذه البلاد جعل الاهالي يتكيفون حسب ما يترآى لهم و يقلدون تقليداً أعمى وأمثالهم لا يتكلفون باز يد من التقليدي حتى تكون حاجتهم الى اليقين بعد تنورهم صحيحة والا كان السير مضراً والترك أحرى

وسيجيء يوم يحيون فيه حياة الامم المسيحية من حيث شريعتهم لا من حيث دينهم وما ذلك اليوم ببعيد

١٥
مملكتهم الوثنية

هي مملكة الغالا أو الجالا واقعة جنوب قوجام وممتدة حتى بلاد السومال عرضها بين ٦٠٠ و٨٠٠ كيلو متر مربع وعدد سكانها يتراوح بين ٥٠٠ الف ومليون من النفوس وتتألف من عدة أقاليم أشهرها اقليم يعرف باقليم زنجيز تقطنه أمة ليست بافريقية بل من أصل أسيوي جاءت اليه عن طريق البحر الاحمر وأشهر قبائلها قبائل الاروموس والسيداموس

وهذه المملكة ذات بحيرات وأنهار ومزارع وغابات تكثر فيها مزارع البن وتنمو في أراضيها الاشجار الاستوائية وتقطنها أمة خليط من القبائل حادت عن سنن الهدى وزاغت عن طريق الرشاد فمنها عبدة الشمس ومنها عبدة القمر ومنها عبدة الاوثان وهي معظمها . وهذه الفئة الاخيرة تعتقد بوجود قوة غالبة تتصرف في الكائنات وتعبر عنها بلفظة « اووكا » وقد يراد بها الله السماء وخالق الارض والبشر أي انها تعتقد بوجود الله ووحدانيته لكن صعوبة التصور والحكم اوقعها في بحار الاوهام وظلمات الضلال فضلاً عن توهمها ان تحت أمر الاله مقربين وأعواناً وآلهة عددهم ٤٢ الهاً فيهم شيء من القوة القدسية وحكم الغيب

وغالب اهل هـذه المملكة رحل يتوغلون في الفيافي والوهاد حاملين الزاد والذخيرة والخيام وما هم يملكون و بعضهم يتخذ الجبال له مأوى والبعض يلجأ الى الصخور وجوف الارض وفريق يألف سكنى المغائر وفئة تحفر الاخاديد في جوف الارض لتعيش فيها مدة فصل الامطار

حياتهم بين نشاط وحروب و بين صلاة وشعائر عبادة و بين عمل وسياحة وتلك قليلة الايام

عوائدهم مذمومة وعقائدهم باطلة وأخلاقهم سافلة الا ما طبعوا عليه من الجود واكرام الضيف وذكاؤهم نادر وغباوتهم شديدة وجهلهم فاضح يضرب به المثل ألا ان نفوسهم كبيرة لا تستنيم للذل ولا تخضع للقوي ولونهم نحاسي يخالف لون الاحباش واكثرهم عراة صيفاً وشتاء الا ما يأتزرون به على أوساطهم ولغتهم أحط اللغات الحبشية أو هي كما قال هيرودوت تشبه صوت الخفافيش و بالاجمال لم يمتازوا بشيء الا بالشجاعة والبسالة والصيد والقنص والركض شأن أمثالهم من الشعوب الباقية في ارض الله على طبيعتها وفطرتها وكيانها كما كان يعيش الاولون قبل عهد الدول وعصر الملوك

وقد انتشر بينهم المبشرون ليحملوهم الى دين النصارى فما وجدوا منهم الاابا ومن كهنتهم الاعداء ومن أمرائهم الا مناهضة فتركوهم وشأنهم وان تنصر منهم افراد قليلون اتبعوا دين الله ولبثوا متمسكين بعوائدهم الوثنية وعقائدهم المنحطة واستغاثتهم بالالهة في صلواتهم ولو شاء ربك لجعل منهم أمة وهداهم الى الرشاد

حاكمهم من جنسهم يتصرف في أمورهم كما يتصرف الراعي في اغنامه فان شاء أنصف وان شاء ظلم وتحكم

كهنتهم في عرف عوامهم وخواصهم من الاخيار تلابس نفوسهم أرواح الالهة فتلقنها الوحي وتلقي فيها الخواطر والروحانيات وتزيدها عرفاناً بكشف النقاب عما هو محرم عندياتهم وسلطتهم عظيمة وعيشتهم اجل من عيشة الشعب واسمى

زواجهم من اقبح الخطط التي يسير عليها البشر من حيث اختلاط الانساب

الى اشتباك الازواج وعلى الوجه الاعم زواج بهيمي محض فلا الاولاد يعرفون لهم اهلا ولا الاهل لهم اولادًا و بينهم فريق لا يعرف سنة الزواج فكل امرأة من النساء تعد زوجة لكل رجل من رجال القبيلة وفريق يكثر من الزوجات و يجتهد في سبيهن عملا بالعادة الموروثة عن اباءهم

خلقتهم من أجمل أجناس أفريقيا شكلا وصورة ولونًا ولطفًا وهم طوال القامة عراض الجبين أقنيو الانف صغار الفم فلفليو الشعر يتدهنون بدهونات ذات رائحة عطرية و يتزينون بالخرز و بالدمالج وتعد نسوتهم من أجمل نسوة الاحباش و يتزينن مثلهن بالتطيب والتكحل والتخطيط واللعوط وغيره من ادوات الزينة قال الاستاذ شنفورث و بين قبائل الجالا قبيلة تشبه القرود في شكلها وسحنتها ومنظر نسوتها قبيح شنيع

معيشتهم بسيطة وطعامهم خشن ومعابدهم صغيرة وافراحهم لا تعد ومظاهرهم لا تحصى واسواقهم عامرة وتجارتهم واسعة ومزارعهم نامية لميلهم الى الزراعة واهتمامهم بها اهتمامًا جعل الرحالة يضعونهم في الصف الاول بين المزارعين من حيث النشاط والاقدام .

صلاتهم تقتصر على اجتماعهم في الهيا كل مستغيثين بالاله « اووكا » ثم يقدمون له من محصولات اراضيهم و بعدئذ يقصدون شجرة مقدسة عندهم فيرقصون حولها صارخين « اووكا يا أيها الاله الاكبر اعطنا خبزنا اعطنا حصادًا طيبًا اسهر علينا وعلى اموالنا ومواشينا كن لنا عضدًا ومرشدًا كن هاديًا لعقولنا وارحمنا برحمتك » وفي انتهاء الصلاة يقدمون الضحايا من الخراف والبقر . قال المسيو موريه المؤرخ الافرنسي « اخذ الجالا بعض عادات الاحباش المسيحيين كحفظ السبت اليهودي والاحد المسيحي وعدم الاشتغال فيهما والتعييد في عيد الفصح وغيره »

شجاعتهم تفوق الوصف فاذا نادى فيهم مثير الحرب انقلبوا رجالا ونساء حول الشجرة المقدسة راقصين مغنين الرجال على صهوات الجياد والنسوة واقفات على الارض فاذا انقضى الرقص استغاثوا بالاله الاكبر ان يمنحهم النصر و يسدد خطواتهم في

سبيل القتال ثم يضحوا له ثوراً كبيراً ويأكلون لحمه اعتقاداً منهم انه يزيد قوتهم ثم يبادرون الى الحرب مسرعين

سباقهم يذهل ويدهش فاذا ركضوا على اقدامهم رأيتهم كأنهم يسابقون الريح واذا تنافسوا بالركض على الجياد خلتهم ينهبون الارض نهباً ويطوون صدورها على الاعجاز

ونهاية الحديث انهم يشابهون أمة اللانوكا القاطنة شرقي بحر الجبل لانهم على ما يقال من أصل واحد ولولا انهم في حروب مستمرة مع بعضهم بعضاً لكانوا أقوى أمم افريقيا كما قال بطليموس فيلا دلف حينما حاربهم وانتصر عليهم

وقد كان لهم في القرون الوسطى شأن خطير حيث ثاروا على الاحباش في القرن السادس عشر وقاتلوهم وانتصروا عليهم مستقلين بمملكتهم حتى أخضعهم الملك سلاسي حاكم شوا عام ١٨٤١ بعد قتال فظيع وصفه المسيو هاريكور الرحالة الباريسي في كتابه مجاهل افريقيا وصفاً تقشعر من هوله النفوس ولبثوا منذ ذاك العهد الى عصرنا هذا خاضعاً من أعضاء المملكة الحبشية ولكن الحوادث المتوالية تدلنا على انهم لم يخلدوا الى السكينة بل يتوقعون الفرص لتقوية مركزهم واسترجاع استقلال بلادهم وهي أمنية لا يدخرون وسيلة للوصول الى تحقيقها

١٦

مملكة جبنائهم

هي مملكة الكافا أو مملكة الجبناء كما يسميها الاحباش لجبن اهلها واستكانتهم الى الخمول وانكافهم على الفتور وانغماسهم في اللهو والابتعاد عن العمل. وقد احسوا بعد تماديهم في الخمول والكسل انهم اصبحوا ارقاء مستعبدين فتشجعوا وصار كل حادث عرضي يحدث بينهم وبين الامة الحبشية يدفعهم للنزوع الى الثورة والى قتالها لكن اذا دق طبل الحرب غلبهم الطبع فولوا هاربين وهكذا صار الجبن ملازماً لهم ملازمة العلة للمعلول

وهذه المملكة واقعة جنوب الحبشة وممتدة حتى بحيرة رودلف وخط الاستواء وهي وعرة جبلية عاصمتها اندرتشي وكانت قديماً مدينة بنجا وهذه يبلغ عدد سكانها ٤٥٠٠ نفس شهيرة باسواقها وقوافلها أما تسميتها بارض الكافا فنسبة الى البن الذي على ما يقال أول ظهور أشجاره فيها

وينقسم اهلها الى ثلاث طوائف وهي طائفة الكافيكوس أو السكان القدماء وطائفة الساديماس أو المحافظة على عوائدها القديمة المعتقة بالدين المسيحي الارثدوكسي المذهب الممزوج بشيء من الديانة الوثنية وطائفة الاواطاس وأهلها عبيد وبدو امتازوا عن الطائفتين المذكورتين بالشجاعة والبسالة وكثيراً ما قاوموا الحكومة الحبشية في الزمن القديم حتى اضعفهم العادليون وعدا ذلك ففيها قبائل عديدة من الاقزام .

وفي أواخر القرن الماضي نزعت هذه المملكة الى الثورة واسلم ملكها وكان نصرانياً هربا من سلطة النجاشي عليه فنشأت من هذه الثورة حرب هائلة قامت في عام ١٨٩٧ انتصرت فيها الجنود الحبشية وأسرت الملك ثم قادته الى اديس ابابا مكبلاً بسلاسل فضية مثقلا بحجر في عنقه فقدم الطاعة والخضوع لجلالة مولاه والتمس منه الرضى والعفو عما مضى فصفح عنه وعفى واعاده الى عرشه بالتعزيز قالت جريدة الطان الفرنسوية على اثر هذا العفو « ان جلالة الامبراطور منليك يرى من اقدس واجباته ان تنضم مملكته وتتناصر لتصد تيار الدول الطامحة الى بلاده لتجزئتها واستعمارها »

وتدفع هذه المملكة الى الحكومة الحبشية ضريبة سنوية من محصولاتها ومخارجها لانها مستقلة استقلالا داخلياً ويسمى ملكها بلغة اهل بلاده «الطاطينوس» وهو يدعي النسبة الى سليمان بن داود . واول من ادعى من اجداده هذا النسب الملك « جاليتو » وايده خلفه الملك « تحينو » فبقي النسب علما على ملوك الكافا وان خالفهم فيه الاحباش وعدوه من المفتريات والا كاذيب

اما أهل هذه المملكة فهم امة في غير امة لا يشعرون بفضيلة الحياة الاجتماعية ولا يفقهون من احوال الدنيا شيئاً فصح فيهم قول شنفورث من انهم اطفال لا يدرون ما حولهم

ولا يعرفون ما ينفعهم او يضرهم ومتوحشون لا خلاق لهم ولا نظام وهمج تنتهي بهم الهمجية الى الانقراض او الاندماج في سلك امة اخرى

١٧

يهود يوهم

تنوع في ارض كوش كل شعب كما تنوعت فيها كل لغة وكل لهجة فيها الوف من بني اسرائيل اولاد موسى نبي الله الذين هربوا من ارض كنعان قبلة الانبياء ومنبعث الوحي ومحط عيسى وهرون وسليمان بن داود . وسكنوا بلادها فصارت لهم وطناً وصاروا لها مواطنين وان كانوا من النازحين

واول من جاء الحبشة من امة اسرائيل الوف في عهد الملكة سبا على ما يقولون وتوطنوا فيها الا ان هؤلاء قد ضاع شكلهم وانمحت هيئتهم وفقدوا اصلهم حيث اختلطوا بابناء الاحباش وتزوجوا من بناتهم فامتزج الدم بالدم حتى ذهب ذلك الجمال الفتان وهذا اللون الابيض الناصع ولم يبق منهم اسم ولا رسم او بعبارة اخرى انصبغوا صبغة حبشية وصاروا احباشاً اكتسبوا من ارضها ارضاً وحكموا من شعوبها رهطاً ثم جاء بعد هؤلاء الاقوام بزمن طويل الوف من سبط لاوي نسل ابراهيم هربوا من مظالم الملك بختنصر ملك اشور وبابل على اثر خراب أورشليم وسكنوا في مقاطعة سمين الممتدة شمالي البلاد وهؤلاء يسمونهم الاحباش « الفلاشا » اي المنفيون (١) وهم اليهود الباقون الى اليوم وان اسود لونهم ورمتهم الشمس بحرارتها فاحرقت وجوههم ويمتازون بقصر القامة وبروز الخدين وطول العينين حتى استدارة الوجه وكلهم بدو لهجتهم غريبة ونطقهم وحشي واكثرهم يتكلمون اللغة الحبشية ولم يبق الا القليل

(١) قال المسيو أبادى اللغوي الفرنسوي المعروف . ان اسم الفلاشا بعيد ان يكون مشتقاً من لفظة فلاسا أي المنفي وغاية ما يمكن ان يقال ان فلاشا في الاصل كلمة يراد بها الصانع الماهر المدرب العارف العاقل الحكيم بدليل ان كل يهودي الحبشة من الصناع الماهرين في صنعتهم

من المحافظين على لهجتهم الاصلية و بالجملة فهم يخالفون الامة الاسرائيلية في معيشتها وكيانها وحيويتها وان ماثلوها في عقيدتها وديانتها وطبعها من حيث حب المال والسعي في جمع حطام الدنيا واعطاء الدرهم بدرهمين كان الاثراء او الشوق الى الاثراء موحى به الى بني اسرائيل وحياً من خالق الخلق ورب العالمين

﴿ديانتهم﴾ ـ وسوية يعتقدون بالتوراة ديناً و بنواميس خرافية دنيا وتلك انتشرت بينهم لحكم الجهل على العلم . لهم كنائس ومعابد قديمة منحوت بعضها في الصخور نحتاً جميلاً ولهم حاخامات وعباد و يقال انهم هم أول من نشر الدين الموسوي بين الاحباش فدانوا به حتى تنصروا على يد فرومنتيوس و باقي مطارنة الاقباط كما سبق لك الحديث . وقد نالوا امتيازات جمة وكثر عظماؤهم من عهد العائلة الموسوية التي امتلكت على عرش هذه البلاد من القرن التاسع الى الثاني عشر وأدعت النسب الى سليمان بن داود ولا تزال ذرية هذه العائلة الملوكية باقية الى اليوم تحكم على الولاية اليهودية الحبشية و يلقب حاكمها بلقب الدجازمتش (لقب من القاب الشرف عند الاحباش) و يتجند من اليهود جنوداً يسيرون الى مقاتلة العدو مع جنود الحبشة صفا بصف

﴿بيوتهم﴾ بيوتهم اخصاص متخذة من الاسل ونوع من الخيزران تشبه بيوت الاحباش أما فراشهم فبسيط ولباسهم نظيف وعوائدهم حبشية وحرفهم التجارة حيناً والصيرفة غالباً وكذلك الصناعة والصياغة والحياكة ومنهم فريق تشتت في انحاء البلاد وسكن في الولايات واتخذ الحدادة والنجارة والبناء صناعة له

﴿أخلاقهم﴾ أخلاقهم حسنة مع ما فيها من الغلظة والضعف وذكاؤهم عظيم ودهاؤهم اعظم طووا على الحرص و بنوا على البخل وجبلوا على الجبن و يبلغ عددهم نحو ربع مليون من النفوس و يعيشون في مقاطعات التغره وسيره والجات ولاستا وذنبعه واوجار وسمين وثلجا وكورا والغا واتيز وارماتيهو وشواوجا ليالند وهذا جل ما يعرف عنهم و يقال

١٨
لغتهم وكتابتهم

﴿لغتهم﴾ — هي من حيث هي لغة صعبة النطق عسيرة الكتابة كثيرة الاشارات عديدة الحركات ومن حيث انتشارها ليست من اللغات المتداولة في مشارق الارض ومغاربها الا انها حية لم تندثر ولم تقو يد الزمان على تلاشيها ومن حيث تاريخها من أقدم لغات الارض لان شعبها من أقدم شعوب العالمين

قال العلامة اللغوي الافرنسي ابادي وغيره من علماء اللغات الذين بحثوا في اللغة الحبشية وأصلها «ان اللغة الاثيوبية من حيثية اصلها ووضعها لغة سامية محضة من اخوات اللغات العبرانية والسريانية والعربية» سامية لانه اتى بها قوم مهاجرون من أرض اليمن لكنها لم تختلط بأية لغة من لغات الارض ما عدا بعض اسماء دخلتها حديثاً من اللغات المستعملة هناك وبعض كلمات تجارية تعلمها الاهالي من تجار اليونان والمصريين والعرب . وقال بريتوريوس العلامة الالماني ان اللغة الاثيوبية لغة مستخرجة من اللغة العربية وتدل نسبتها الى اللغة العربية الحركات الاخيرة الصغيرة في تراكيب الكلمات وكثرة عدد المصادر الثلاثية والرباعية وصيغ جموع التكسير واشياء كثيرة غير هذه لا دخل لها في اللغات السامية الشمالية . وزعم بانيزج العلامة الانكليزي «ان اللغة الاثيوبية هي بلا مراء ذات اللغة القبطية في تركيبها ولا بد أن الاحباش نقلوها عن المصريين او ان المصريين نقلوها عنهم» الا ان هذا الزعم باطل

ولقد اصيبت اللغة الاثيوبية كما أصيبت سواها من لغات الامم والشعوب من حيث التحول والتفرع على توالي الازمان فتولدت منها عدة لغات فرعية وتعددت لهجات الاهالي فصارت بعد هذا التحول والتفرع لغة لمعارف المملكة ومصالحها نحو ثلاثة قرون تقريباً ثم انحطت وكادت تتلاشى أثر غارات القبائل والشعوب الاسلامية غير ان الكنيسة الحبشية حافظت على استعمالها في الامور الدينية ليس الا وان كان لا يوجد الان غير القليل من الكهنة الذين يعرفونها وعلى هذا صارت أشبه باللغة

القبطية من حيثية وجودها وقلة العارفين بها

وأقرب اللغات اليها من سائر اللغات التي تفرعت منها اللغة التغرية ثم تليها لغة غندر ثم لغة جاباجفار ثم لغة الصومال ثم لغة شوهو ثم لغة دانجلا ثم لغة عدال فلغة هرر . أما حروفها الصحيحة فهي ٢٦ حرفاً لكل منها ست صور مختلفة فيكون مجموعها ١٥٦ حرفاً

قلنا في عرض هذا البحث ان اللغة الاثيوبيه تولدت منها عدة لغات فرعية وقد اختلفت هذه باختلاف الاقاليم حتى صار لكل مقاطعة من المقاطعات لغة خاصة بها وان اشتركت مع اخواتها في التركيب واللفظ كما تشترك اللغات العامية العربية مع بعضها في ارض مصر وارض الشام وارض الحجاز . واشهر هذه اللغات الغرغية اللغة الامحرية انتشرت في البلاد أثر سيادة الولاية الغربية الجنوبية على باقي الولايات ونقل تخت الملك اليها

أما اللغة المذكورة وان كانت نسبتها الى اللغة الاثيوبية صحيحة الا انها أبعد عن اللغة العربية من اللغة الاثيوبية وذلك لما خالطها من الالفاظ والتراكيب الغير سامية بتوالي الزمان من لغات القبائل المجاورة لها حتى ظن بعضهم ان اللغة الامحرية هي لغة غير سامية وانها انما اشبهت اللغات السامية بما تطرق اليها من الالفاظ والتراكيب الاثيوبية ليس الا ولكن الارجح انها سامية وان نسبتها الى اللغة الاثيوبية كنسبة اللغة العامية المصرية الى اللغة العربية الفصحى لانها نفس اللغة الاثيوبية ونفس حروفها انما زيد عليها سبعة اصوات جديدة استعيرت لها سبعة حروف وسميت باسماء عبرانية و بذلك أصبحت تتركب من ٢٦ حرفاً اصلية و٧ فرعية مستعارة يتفرع من كل حرف منها سبعة حروف صغيرة تختلف في الصوت كما يختلف الحرف باشارته السفلية فيكون مجموعها ٢٣١ حرفاً مكملة الاشارات ثم أضيف عليها اربعة اشكال اخرى يعبر بها عن بعض الحروف المركبة وكل منها يتألف من حرفين وطريقة التعبير عن الحركات عندهم تكون بواسطة زيادة دوائر وخطوط وكان استعمال الحركات لها منذ القرن الخامس للميلاد

وهناك لغة اخرى وهي لغة الخاصة او اللغة الفصحى المطابقة للقواعد النحوية الحبشية و يندر المتكلمون بها بين العامة وتسمى «اللغة» الجيزية وقد اختلف علماء اللغات على الزمن الذي خلقت فيه هذه اللغة المتولدة من اللغة الامحرية فمن قائل انه في القرن الخامس للهجرة ومن قائل انه القرن الثامن الا انها دخلت اولا مملكة التغرة ثم امتدت منها بامتداد المملكة الاثيوبية حتى صارت اللغة الاولى في تلك البلاد أو اللغة الرسمية للكتابة

أما لغاتها الاخرى المتعددة فلا يمكننا الكلام عليها حيث لارابطة لها وقد قال هيرودوت على لهجة فريق من ام الحبشة « انها ليست مشابهة في شيء من لغات سائر الشعوب و يظن السامع انه يسمع صراخ الخفافيش»

واتخذ اقوام اخرون من المهاجرين اليها ومن سكانها الرحل لغات متعددة ولهجات لا تحصى اشهرها اللغة السومالية لغة البلاد المتاخمة لبلاد الصومال واللغة العربية لغة أهالي الاراضي المتاخمة لبلاد السودان أما اللغات الاجنبية فيندر المتكلمون بها الا افراد قليلون وانعكف اولاد اكابرهم أخيرًا على تعليم لغات الفرنسيس والانكليز والتليان ولهم ميل الى تعليم الاولى لتعلقهم باهلها وتشبههم بفضائلهم وتمدنهم

واحسن ما يذاع عن الحباش تفانيهم في حب لغتهم وشدة محافظتهم عليها حفظاً لتاريخهم وجنسيتهم واللغة في كل البلاد وطن بعد الوطن تلك جميلة وهذا جميل تلك ام وهذا اب

﴿ كتابتهم ﴾ لكل لغة من اللغات كتابة خاصة بها وقد قال ابن خلكان وتبعه كثيرون من علماء اللغات كالدميري في حياة الحيوان والحلبي في السيرة وغيرهما بان جميع كتابات الامم من المشرق والمغرب اثنتا عشرة كتابة خمس منها ذهب من يعرفها و بطل استعمالها وهي الحميرية والقبطية والبربرية والاندلسية واليونانية وثلاث منها فقد من يعرفها وان تكن مستعملة في بلادها وهي الهندية والصينية واليونانية وأربع منها باقية مستعملة وهي السريانية والفارسية والعبرانية والعربية أما الحميرية فهي خط أهل اليمن قوم هود وهم عاد الاولى وهي عاد ارم وكانت كتابتهم تسمى

المسند الحميري وكانت حروفها كلها منفصلة وكانوا يمنعون العامة من تعلمها فلا يتعاطاها أحد الا باذنهم حتى عهد الاسلام وقال المقريزي في خططه « القلم المسند هو القلم الاول من أقلام حمير وملوك عاد أما الاسم المشترك بين العربية وغيرها من الكتابات الاثنتي عشرة فهي حروف الهجاء أو الف با لانها في كل اللغات مبدوءة بها ما عدا الحبشية » ولهذا تختلف كتابة اللغة الحبشية في صورها وحروفها عن كل اللغات السامية المعروفة لكنها تشابه الخط الحميري المتفرع من الحروف العبرانية وقد أخذ عنه ومنه الاحباش خطهم الذي يكتبون به الآن . وكانت لغتهم في الاصل تكتب حروفاً بلا حركات من اليمين الى الشمال كاللغة العربية الى ان تعلموا منذ زمن قديم طريق كتابتها من الشمال الى اليمين كاللغات السامية الشمالية . قال بريتوريوس الخط الحبشي من أصل غير اصلها ذلك لان جميع الاقلام ترجع الى القلم الفنيقي القديم الذي هو أصل خطوط لغات الامم المتمدنة في أوروبا وآسيا وأفريقيا وأمريكا (١) بخلاف القلم الحبشي الذي يظهر من شكله

(١) ذهب المؤرخون الى ان اصل الكتابات خرج من مصر ثم نقله عنها العبرانيون ثم من هؤلاء نقل الفينيقيون كتاباتهم وحروفهم لان حروف هذه هي ذات حروف تلك قول صاحب تاريخ سوريا « ان الحروف الفنيقية على ما توصلت الينا بالخطوط التي اكتشف عنها في صيداء وشيتوم اي لرنكا في قبرص وفي هذه الجزيرة وفي ملطا ومرسليا هي نفس الحروف التي كانت تستعمل في كتابة اللغة العبرانية والفروع الصادرة عنها كلغة الموابيين وغيرهم من شعوب فلسطين وقد ثبت ذلك بالكتابات القديمة التي وجدت على عين شيلوما وعلى صفيحة ميشع في بلادموات وعلى فصوص واختام لبعض اليهود القدماء » وقال في فصل آخر « ان لغة الفنيقيين هي اخت اللغة العبرانية التي تكلم بها العبرانيون لان ابجدية هؤلاء تشابه ابجدية اولئك من حيث الترتيب وغيره ولهذا فمن المرجح ان الفنيقيين اخذوها عن العبرانيين لا عن المصريين مباشرة » وقد يستدل من هذه الاقوال ان المصريين اول من اوجد الكتابة قبل سواهم ثم نقلها عنهم الامم

ووضعه انه مشتق من اقلم الحميري الذى كانت تكتب به اللغة الحميرية في جنوب بلاد العرب المهمل الآن والذي منه آثار منقوشه على الاحجار وصفائح الحديد بالمتحف الانكليزي ومما يؤيد صحة اشتقاقه من القلم الحميري انتساب الاحباش في التوراة الى كوش الذي ينتسب اليه البعض من قبائل اليمن القديمة

وقد كان الحبشان يستعملون قديماً الكتابة الهروغليفية ككتابة مقدسة بدون ان يكون لهم معرفة تامة بطرق استعمالها ومن ذلك يظهر ان استعمالهم لها في الزين اكثر من استعمالهم لها في التعبير عن الحوادث وانهم لا شك عندما بنوا اقدم هرم لهم كانت الكتابة الديموتغرافية شائعة فيما بينهم وان اعطاءهم هذه الكتابة المركز الاول على آثارهم حال كون الكتابة الهروغليفية كانت مستعملة عندهم في الحواشي مما يدل على ان الاولى كانت لغة بلادهم الدارجة وهذه الكتابة المذكورة تشبه الديموتغرافية المصرية غير ان استعمال نفس الصور تكرار مما يسوق الى الظن ان حروف الهجاء في الكتابة الحبشية اقل عدداً منها في الكتب المصرية وانها ربما كانت لا تزيد عن ٣٠ علامة ثم انه منذ زمان ليس ببعيد استعملوا اسلوب كتابة يونانية حبشية تشبه الكتابة المصرية واتخذوا منها عدة احرف وقد وجدت هذه الكتابة في كتابة سوبا المحفورة ولا سيما على جدران هيكل وادي الصفراء وهذه الكتابة والكتابة الديموتغرافية الحبشية تتضمن لا محالة لغة الحبش القديمة الصحيحة المعروفة بالاثيوبية والجيزية وان كانت مفرداتها وقواعدها لا تزال الى الآن غير معروفة تماماً . اما ارقامهم الحسابية فقد اخذوها عن اليونان واحدثوا فيها بعض تغييرات لكي تناسب الخط عندهم

١٧

خليط قبائلهم وشعوبهم

﴿قبائلهم﴾ قبائلهم عديدة تفوق المائة عدا بعضها من بقايا السلالات القديمة في القارة السوداء و بعضها من بقايا السلالات العربية التي اختلفت من ارض العرب وأهل

هذه كثيرون يحملون القرآن الشريف و يمجدون خالق الخلق العظيم . اهتدوا الى الدين المحمدي في القرون الاولى للهجرة على يد المهاجرين فتمسكوا به وعاشوا على دين آبائهم وان خالفوا نصوصه وأحكامه بعوائدهم وعقائدهم لبقائهم في الجهالة وعدم اعتيادهم عوائد الحضارة وهم كسواهم من البدو مستمرون في الاوهام مسترسلون في الاباطيل متوغلون في السفاسف فيهم الاولياء والمنجمون وفيهم السحرة وأهل الشعوذة وفيهم الانبياء والمرسلون . لهم ولع بالقتال شديد وميل لسفك الدماء أشد رغماً عن شراهتهم وحبهم للغزو والنهب وكراهتهم للاحباش وامتازوا بقوة البنية مع مافي طباعهم من الصبر على المكاره واحتمال الخطوب افرادهم اذكياء لهم خداع في التلصص واحتيال في مناهضة الاعداء غريب و بسالة فى القتال اعجب وأغرب يعيشون عيشة العرب فيرعون الجار و يضيفون الغريب و يعرفون مسالك الطرق ولكل قبيلة عميد يلقبه بعضهم بلقب السلطان ومشائخ يحكمونهم و يا برون شؤونهم تحت سيادة حكام الولايات والاقاليم

وأشهر قبائلهم الدناكل والعروسيس والعيساس والشوهو والدنبلا والهدندوه و بنو عامر وجبرت وترويا والبجس والحباب والبرته وغيرها مما لا يحصى ولا يعد

(الدناكل) — شعب خليط من النوبة الاصليين ومن العرب والاتراك وقد اختلف في اصله الا ان المؤرخين أجمعوا على انه فريقان فريق مختلط من الجنس الاسود ومن الجالا والسوماليين وهو ذرية الكريوفاج القدماء و ينقسم الى عدة قبائل وفخوذ اشهرها السيويس والاساورتا والهازورتا وفريق من السلالة العربية ومنه قبيلة مرعي الشريفة التي تدعي النسبة لآل بيت النبي العربي

واشتهرت هذه القبائل بكثرة اولادها وميلهم الى الفتن والقلاقل واثارة الحروب الدموية وقطع الخطوط التلفونية والتلغرافية من الفضاء ونزع القضب الحديدية من الارض وسلب القوافل ونهب المسافرين حتى جعلوا الولايات الحبشية قرب البحر الاحمر اشبه ببحر خضم تتدفق فيه تيارات الفتن ومزعجات الكوارث واستفحل امرهم الاعوام الماضية فشنوا الغارة الشعواء على الحكومة وقاتلوا جنودها قتال المستميت

حتى حمل عليهم الرأس ما كونين حملة قوية شتت شملهم وادبت الطاغين منهم وأرجعت الطمأنينة والسلام الى البلاد انما لا تزال فئة منهم تقاوم وتجالد وتقاتل وتدافع وتثير الخواطر طلباً للاستقلال وسيبقى هذا حالها وتلك اميالها حتى تخرج من الظلمة الى النور ومن الجهل الى العلم وهو امر بعيد المنال في وقتنا الحاضر و يلزم له قرون واجيال

والدنا كل من أشد الامم تعصباً واكثرها كرهاً للمسيحيين وأبعدها ميلاً الى الحضارة واذا نظرنا الى هيئاتهم رأينا صفاء البشرة وامتلاء الوجه وقوة البنية ووفرة الشعر وشدة الانفة واذا نظرنا الى أحوال معيشتهم رأينا انهم بدو على اوسع معاني البداوة وانهم يعيشون متفرقين عشائر والخاذاً في السهول الواقعة على شواطيء البحر الاحمر ومعظمهم منتشر على حدود مملكة شوا الى مايلي ثغر تاجوره من بلاد عادل واذا بحثنا في اعتقاداتهم وجدنا انهم يعتقدون بالجن ذكوراً واناثاً و يشتغلون بالسحر والتنجيم وتأويل الاحلام اما ملابسهم فتقتصر على عباءة من القطن يلتحفون بها وزنار يشدونه على اوساطهم و يدججونه بالاسلحة و يمتاز ابطالهم بوضع ريشة من ريش النعام فوق رؤوسهم

ولننتقل الى ذكر نسائهم فنقول انهن يعشن احراراً و يجاهدن في سبيل الحياة جهاد الرجال فيركبن الابل و يرشدن القوافل و يقاتلن من يقطع عليها السابلة و يملن الى الصيد والقنص و يتزيين بلباس من القطن و يأتزرن بثوب من القماش الابيض و يجدلن شعورهن جدلا بديعاً فتنسدل على اكتافهن وصدورهن كالاراقم السوداء و يتدهن بالدهونات والاطياب و يتخططن بالتخطيط و يتخضبن بالحناء كذلك يلبسن الخواتم والدمالج والعقود وغيرها

﴿العيساس﴾ ـ قبيلة من اكثر القبائل اهلا واعظمها شأناً ترجع باصلها الى الدناكل وهي طبقتان اهل مدر واهل وبر فأهل المدر هم الحواضر وسكان القرى و يعيشون من الزرع والنخل والضرب في الارض للتجارة والماشية الا انهم قليلون واهل الوبر وهم الاكثر عددا يقطنون الصحارى والسهول و يعيشون من البان الابل ولحومها منتجعين منابت الكلأ مرتدين مواقع القطر مرشدين القوافل في مسالك الطرق

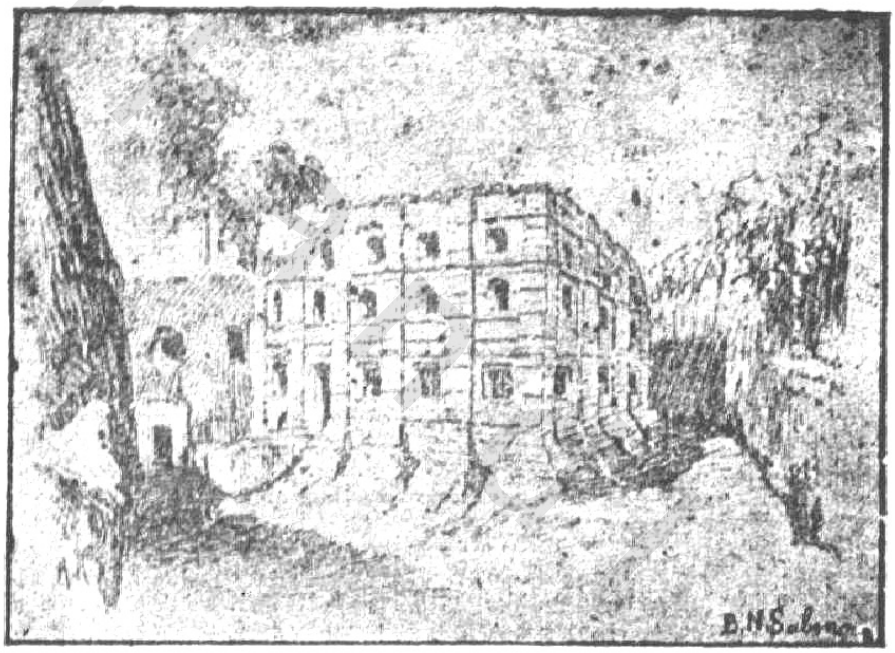

كنيسة حبشية

(العروسيس) ـ قبيلة قليلة الاهل تمتاز بنزوعها الى السكينة وملازمة الحياد ولو انها في قتال مستمر مع الدناكل الذين يرجعون باصلهم اليها على انه ليس في كل ما رووه عن اصلها من اثر راسخ أو بينة وثيقة . وقد تشبه في كل احوالها ومعيشتها الدناكل وتدين بالدين المحمدي

(الشوهو) ـ قبيلة كبيرة تقطن جنوب مصوع وفي ضواحيها وتنقسم الى عدة عشائر و بطون اشهرها الساحرتا والاجورتاس والتاكويه وهي قبائل مسيحية تدين بدين النصارى الاقباط وتنسب الى امة التروغلو ديته القديمة ومن طبعها شن الغارة وحمى الجارة كما انها سريعة بعدوها بطيئة بوعيدها لاتهاب حتى يهاب الليث ولا تعطش حتى يعطش البعير وتدل هيآتها على انها سديدة الرأي رشيدة الفكر كعبة عقلها ونظرها الحكمة والصواب

(الدنبلا) ـ قبيلة عربية محضة تقطن في مقاطعة سنهيت و يبلغ عدد اهاليها ٢٠٠ الف نفس يعيشون اقواماً في القرى وفي المساكن و يشتغلون بالصناعة و بالحياكة و بالزراعة وفيهم فريق يدعى النسبة لآل بيت النبي العربي وهو موقر الجانب مهاب من الجميع وفيهم ايضاً فريق من النصارى الاحباش الا ان اهاليه قليلون يترفعون عن العمل و يخالون الحياة ملء البطون واستفراغ الشهوات

(الهدندوه) ـ قبيلة يرجع باصلها الى البجة وهي من اقوى القبائل يبلغ عدد اهاليها نحو نصف مليون من النفوس يقطنون في الاراضى الواقعة بين خور بركة والعطبرة وهم تابعون لحكومتي السودان والحبشة و ينقسمون الى بونات شتى اهمها الويل الياب وهم شيوخهم اما اسمهم فمشتق من لفظة هدا بمعنى اسود واندوه بمعنى القبيلة ومعناه القبيلة السوداء

(بنو عامر) ـ يقطنون شرقي خور بركة من عقيق الى سنهيت وهم تابعون لحكومتي السودان والحبشة وقد قامت منهم قديما مملكة خضعت لمملكة سنار و يرجع باصلهم الى ذريتين تاريختين ذرية تنسب الى كوش اي سلالة الاقوام الذين هاجروا من الحبشة الى السودان في الزمن البعيد وذرية تنسب الى امة البجة

وهذه تتكلم اللغة البجية وذهب مونزنجر باشا الى ان بني عامر من بقايا قبائل كيلو والهيكوتا لمماثلتهم لها في اللون والسحنة والشكل

ولهذه الامة الكثيرة البونات والاهل سلطان يحكمها ابا عن جد وله السلطة المطلقة على الاهالي يذعنون لاوامره ويخضعون لنواهيه وتنقسم الى ١٦ بدنه او اكثر اشهرها النابتاب وهم رؤوسها وينسبون للجعليين (١) والبجة اي باسم الجنس كله والخاسه وكلتا القبيلتين محتقرتين عند عرب السودان ومن امثالهم « البجة والخاس ارخص الناس »

ويقطن اهل هذه القبيلة العظيمة في اكواخ واطناب وعاصمة ملكهم بدور عقيق وهي مدينة عامرة كثيرة السكان ذات منازل مبنية من الحجر واسواق حافلة بالتجار

(جيرت) قبيلة اسلامية تنسب الى قريش وتقطن في الولاية المسماة باسمها في مملكة شوا وهي ارقى القبائل المعاصرة لها واذكاها عقلاً يميل اهلها الى العلم والدرس ويتفانون في حب دينهم تفاني المتعصبين وقد تخرج منهم علماء يذكرون اخلدهم ذكرا المرحوم الشيخ الجابرتي صاحب التاريخ المشهور ومؤسس رواق الجابرته بالجامع الازهر الذي يختلف اليه الطلبة من مسلمي الاحباش .

(تروبا) قبائل جاءت على ما قال البعض من بلاد العرب وعلى ما قال الاخرون انها والدنا كل من اصل واحد اشتهر اهلها بالبسالة وحب القتال حتى استطاعوا بجهادهم ان يبسطوا حمايتهم على قبيلتي منسا ومار يا الحبشيتان المسيحيتان وعلى قبيلة البديوك وبعض قبائل اخرى قاطنة بجوارها على النخوم الحبشية الشماليه

(البجس) قبيلة صغيرة العدد ترجع باصلها الى الاحباش وتقطن في شمالي البلاد لغتها تشبه اللغة التجرية وتماثلها لفظا ومعنى ودينها الدين المسيحي ومساكنها القرى والبلاد ومعاشها من الحياكة والصناعة والمرعى

(الحباب) قبائل كثيرة مسماة بهذا الاسم تقطن شرق بلاد بني عامر ويرجع باصلها الى البجة اعتنقت الدين الاسلامي في القرون الاولى للهجرة الا طائفة منها

(١) الجعليون امة من العرب واشهر قبائل السودان تنقسم الى اكثر من ٣٠ بدنه

بقيت متمسكة بدينها المسيحي . ولها كنائس جميلة واديرة واسعة وكهنة ورهبان وتمتاز بحب الميل الى الاكثار من الابل والحيوانات الاهلية كالخراف والماعز والجياد والحمير والبغال ويعيش اهلها بالمرعى و بالزراعة

(البرته) من اشهر قبائل السود في افريقيا تقطن بجوار ولاية اجمدور وقد كان العرب يغزونها في سابق الزمان ويأتون منها بالرقيق فيأخذون منه كفايتهم ويرسلون ما تبقى منه الى الجهات للاتجار . اما بلادها فشهيرة بكثرة مناجمها الذهبية و بتوحش اهلها الذين يدينون بالديانة الفتشية والطبيعية و يعيشون عرايا الا ما يتزينون به من الريش وجلود الحيوانات

وجملة القول ان رجال هذه القبائل على وجه عام اقوياء اشداء سمر و اللون واسعو العيون عراض الاكتاف طوال القامة كرام اذا ما استضافوا حماة اذا ما استجيروا جبابرة اذا ما استذلوا يضربون في مناكب الارض لا يخشون بخساً ولا يخافون رهقا ولا يرهبون غيلة امنون على انفسهم واموالهم وشرفهم وحريتهم واستقلالهم الشخصي ولعمرك لو خير الانسان في نعيم الحياة لما اختار اكثر من ذلك

(شعوبهم الخليطة) امم كثيرة بين الاحباش باقية على حالتها الاولى وفي ثوبها الاول في اعتقادها القديم وفي خرافاتها الوثنية . امم غامضة عوائدها شاقة اعالها قذرة بيوتها خشنة معيشتها وحشية طباعها همجية حياتها اتخذت من الطبيعة ومن الارض الهة تعبدها من دون الله . عبدت الصامت وسجدت للساكن وقدمت ارواحها ضحية للصخور فكانت من الكافرين

اتخذت مواطنها أو اتخذتها المواطن بين الوديان اللطيفة والغدران الصافيه المحفوفة بالتلال المتنوعة المناظر و بالجبال الشاهقة التي تكتنف ذرواتها الصخور والاجام والبساتين فهي امم تحيي بين الطبيعة وتعبد الطبيعة وتنسى من ابدع هذه الطبيعة وهو خالق الخلق

واشهر هذه الشعوب الموجودة على فطرتها في اوهامها وفي احلامها شعب « الكامنت » المنتشر في اواسط الحبشة وغربيها وفي جبال جندار وفي

الخلوات التي تكتنفها أجمات النخيل وفي الغابات والاحراش حيث يعبد الاشجار الباسقة والاغصان المعتدلة وحيث يتخذ له من كل نوع منها الها يعبده . وله تأويلات غريبة ومعتقدات عجيبة وتخيلات مضحكة اما ديانته فتشبه ممتزجة بديانة الحبشة الوثنية القديمة وليس له معابد ولا هياكل بل حياة بهيمية تشاكل الوحش في نقصها وخداجها مع ما هو عليه من جمال الصورة ولطف الخلقة

(الجوكاس) الجوكاس او الجافات او الجالافات ومعناها «العبيد الارقاء» وهم امة تعيش على شواطيء النيل الازرق ونهر التكازية تعبد الانهار وتعتقد ببركتها وتسبح باسمها وتقدم لها النذور وتحرق البخور وتروبها بدماء الضحايا ومن عاداتها في عيدها السنوي الاكبر انها توءم النيل الازرق موعد الاجتماع العظيم فتغني على شاطئة وتنثر الورد في مياهه بين قرع الطبول ودعوات المصلين ثم يأتي الكاهن الاكبر في موكب حافل فتضج الخليقة بالتهليل والتكبير وبعد ان يبارك الشعب الساحد يذبح بقرة ويلقي رأسها في النهر تحت سفح جبل جيز فيذبح الاهالي وراءه البقر كل واحد على نسبة ثروته ومقامه ويلقون كذلك رؤوسها في النهر ثم يأكلون اللحم بكل احترام ووقار ويضعون العظام بعضها فوق بعض لتكون اشبه بتلين وفي النهاية يقدمون للكاهن النذورات وغيرها وينصرفون

(الشنكلا) الشنكلا او الشنكالا امة تنسب الى امه « واوا » احدى امم النوبة التي ذكرت سيرتها على الاثار المصرية القديمة ويثبتون نسبها هذا بمعيشتها الحالية ولغتها التي تطابق تمام الانطباق معيشة ولغة تلك الامة وكذلك دينها من حيث عبادة النيل والاحتفال به على نمط الاحتفالات المصرية القديمة وعبادة الثعبان أسوة بالفراعنة أيضاً وتقدم الضحايا كما كان يقدمها سكان مصر القدماء

(الزلان) — الزلان أو الزان أمة قاطنة على شواطيء بحيرة دنبعة تعبد الصخور والآثار القديمة وتقدسها وتقيم لهذه ولتلك الحفلات وتزينها في كل صباح باجمل ما تتزين به الحسناء اما هياكلها فحقيرة ليس فيها طلاوة ولا بهجة يسكنها الكهنة مع عائلاتهم ومن يحبون . ويقال ان بعض قبائل هذه الامة يعتقدون في نسوتهم

الشر و يعتبرونهم غير مطهرات يدخلن الجحيم اذا لم يقمن في حياتهن بمأثرة تكفر عن ذنوبهن وكثيرًا ما يشاهد النسوة مربوطات مع البهم جالسات تحت أقدام الصخور باكيات امام الالهة حائمات حول الكهنة ليرأفوا بهن بل كثيرًا ما يشاهد تهافت العذارى الى معابد الالهة يضربن رؤوسهن في الصخور ضربات متوالية حتى تتهشم تهشيما ثم يتركن حتى يسلمن الانفاس الى بارىء النسم وهكذا الجهل اذا استحكمت حلقاته في النفوس جعل الخرافات والاوهام من العادات والعقائد

ثم فيها أمة خامسة ديانتها فتشية طبيعية وهي قبائل أشنجي وامة سادسة تعبد الزهور والمراعي الخضراء اعتقادًا منها انها أجمل مبتدعات الطبيعة الهة الالهة ومبدعة الكون وهي قبائل سمين وقد ترى أهاليها جالسين بقرب الزهور المغروسة حول اكواخهم في غاية الهدو وفي تمام السكينة حتى كأنهم يشغلون حواسهم وعقولهم في النظر اليها وفي التفكر في مبتدعاتها وجمال مناظرها وهي كسابقاتها لها كهنة وعباد لكنها أرقى أخلاقًا وأحسن سيرًا

هذه أممها الوثنية وشعوبها الخليطة الباقية تتحرج الأساء في ارضها

بيوتها من ضفائر الخيرزان المغطاة بالنباتات والازهار وأهلها اهل قوة وشجاعة وامانة يستخدمهم الاحباش في جر الاثقال وتراهم في الصيد لا يخطئون المرمى وفي القنص يهجمون بانفسهم على الخنازير الوحشية والنمر الضارية كأنهم يصارعونها فتصارعهم

اخلاقهم شرسة مع ما فيها من اللطف والوداعة طبعوا على القتال وجبلوا على اقلاق راحة العباد كما الفوا التلصص فصار لهم عادة مألوفة وهم ينزلون حكامهم منزلة المعصومين وكهنتهم منزلة الملائكة الخالدين

٢٠
مسلموهم

نشأ الدين الاسلامي في الحبشة اواسط القرن السابع للميلاد على يد اهله من الصحابة وحملته من حملة القرآن الشريف وحماته من قريش فدان به القليل النزر ثم انتشر شيئاً فشيئاً بتوالي القرون حتى بلغ عدد المعتنقين به نحو جزئين من عشرة اجزاء من سكان هذه المملكة الواسعة على ان الاسباب التي حملت هذا العدد الكبير الى اعتناق الديانة المحمدية كانت نتيجة التهديد والترهيب وتمادي الاهالي في الحروب التي اثارها العرب عليهم من القرن الرابع عشر الى السادس عشر واسروا منهم وقتلوا بشراً لا يعدون

ولقد اثر استمرارهم في هذه الحروب ان صاروا ضعافاً ثم بسبب هذا الضعف اضطروا كرها ان يتبعوا القوي الغالب ويدينوا بدينه كما ان انقسامهم على بعضهم في ذاك الوقت وتفرق كلمتهم قوى كلمة الاسلام ومكن المجاهدون في سبيلها ان يقاتلوهم فئات فئات حتى انتصروا عليهم ونالوا المبتغى ولولا ذلك لما كان للدين الاسلامي هناك من اثر . هذا ماقاله الباحثون من مؤرخي الافرنجي ولا حاجة بنا الى نقض اقوالهم لانها صحيحة من كل الوجوه والتاريخ امامنا وامامكم اصدق شاهد عادل

واول ما اتخذ السيل الاسلامي فيضانه في هذه البلاد كان في عهد النبي صلعم حيث ارسل نفراً من ذوي قرابته الى سلطانها اصحمه كما تقدم الكلام في الباب الحادي عشر من هذا الجزء ثم بعد رجوعهم منها هاجر اليها حسب رواية صاحب الطراز المنقوش احد عشر رجلاوقيل اثنى عشر وار بع وقيل خمس نساء عدا السيدة ام ايمن الحبشية ثم بعد ذلك باشهر قلائل من السنة التي هاجروا فيها هاجر اليها من الصحابة واولادهم ما كمل بهم العدد ١٣٢ ان عدا السيد عامر بن ياسر فيهم وقد كان بين الفريق الاول المهاجر اليها السيد عثمان بن عفان زوجته السيدة رقية بنت رسول الله ومعها بركة الحبشية جارية ابيها لتخدمها

على ان نزوح الصحابة الى الحبشة لم يكن ذا نتائج فعلية في نشر الدين المحمدي لانهم لم يتخذوا في الدعوة اليه والترغيب فيه لا مجرد الموعظة دون اجبار ولا اكراه ومعلوم ان الدين الاسلامي لم ينتشر في العالم الا بعد ان حمات الامة العربية سيفها وعلمها ومشت به من منتصف الشرق الى اقصى بلاد الغرب. ولا يكبرن هذا الرأي على البعض فما هو بالرأي الجديد وفي الاسطر التالية التي نقلناها عن المقريزي برهانا يعزز رأينا قال رحمه الله

« قدم الى الحبشة في القرن الرابع عشر قوم من قريش اختلف في اصلهم فمن قائل انهم من بني عبد الدار ومن قائل انهم من بني هاشم ثم من ولد عقيل بن أبي طالب ونزلوا في ولاية جبرت واستوطنوها حتى ظهر بينهم رجل يدعي عمر ويكنى بين الناس بلقب « لشمع » ولاه سلطان امحره مدينة اوفات واعمالها ثم مات فتولاها أولاده من بعده واحداً بعد الآخر حتى تولاها حفيده حق الدين وكان مضطهداً لمن يخالف دينه فشن الغارة على مولاه سلطان امحره سيف ارعد وقاتله قتالاً عنيفاً ثم أخذ يسبي ويأسر ويقتل حتى اضطر كثيرون الى اعتناق الاسلامية طالبين الامان وبعد ان مات وقام احد احفاده المسمى محمد سعد الدين اخذ يقاتل النصارى حتى حصر ٣٠ الف شخص منهم في جبل مخا واخذ يقاتلهم حتى كلوا وجاعوا وعطشوا فنادى فيهم يخيرهم بين الدخول في دين الاسلام وبين اللحاق بقومهم فاسلم منهم عشرة آلاف ثم مات وتولى اخوه جمال الدين فاسر من الاحباش وقتل منهم الالوف حتى ملأ الارض بالقتلى ثم حرق الكنائس والمعابد وسبى النساء والاولاد وغنم الاموال حتى اسلم على يديه بشر لا يحصى عددهم ثم قام اخوه شهاب الدين فسار على منواله من حيث القتل والسبي والجهاد في سبيل الله » نقول وما كان الجهاد في سبيل الله يأمر بمثل هذه المنكرات والفظائع وهو الامر بالمعروف الناهي عن المنكر الامن على الارواح والاعراض

ولم يكن بيت لشمع وحده الذي شن الغارة على الاحباش بل قام محمد الاشول سلطان زيلع عام ١٥٣٨ وشن الغارة كذلك عليهم فخذلهم واخضعهم لطاعته بعد ان

حرق معابدهم ومدنهم خصوصاً مدينة اكسوم التي جعلها رماداً واحرق مقتنياتها وما فيها من كتب وذخائر فكان عمله هذا اشبه بعمل عمر بن العاص الذي حرق مكتبة الاسكندرية هذا افقد مكتبة لا تعوض وذاك افقد تاريخ مملكة لايزال الى اليوم غامضاً مجهولا وكلا العملين فظيع على اوسع معاني الفظاعة

هذه هي الاسباب التى نشرت الدين الاسلامي في الحبشة وكانت من نتائجها ان أسست العداوة والبغضاء بين مسلميها ومسيحييها ولولا ان جاء البرتغاليون وساعدوا سلطان الحبشة في كبح جماح المسلمين الثائرين وايقافهم عند حد محدود لجعل السيف تلك البقعة المسيحية بقعة اسلامية كما جعل سواها من الامم التي دانت بالمحمدية

وقد بقيت العداوة كامنة في قلوب النصارى من الاحباش ضد المسلمين كمون النار في الكبريت يذكيها اي عرض وكانت لفظة مسلم كما يقول المسيو موريه المؤرخ من الفاظ الاستهجان والتوحش حتى استرجع عقلاء المسلمين رابطتهم مع النصارى بعد تمام الانفصال وتركوا اختلاف الاديان جانباً واتفقوا معهم اتفاقاً حبياً ازال معه كل خلاف ثم قضت سياسة الحكومة فيما بعد الى ازدياد الرابطة بين مسلميها ومسيحييها لكن امنيتها لم تتحقق حيث رأت ان جرح المسيحيين لم يزل ملآنا دغلا في الداخل وان تلآم من الخارج وان المسلمين لا يزالون يعادون النصارى عداوة لاحقة بهم كظلهم لا تفارقهم على انه مهما كانت هذه العداوة فقد ضاعت من النفوس بتوالي القرون وصار الاحباش اليوم جسداً واحداً يتفانون في سبيل الوطن ويدافعون عن حوزته .

ومسلمو هذه البلاد عقيدة الشافعية او الحنفية مذهباً يجهلون الدين وقواعده وشريعته ولا يعرفون من أصوله واحكامه الا ما تعلموه بحكم العرف المتداول بين الناس من حيث اداء الفريضة والصيام والزكاة مع عدم تمييزهم بين عقيدة وعقيدة وكثرة الاوهام والخزعبلات التي غشيت عقولهم وانصاعت اليها نفوسهم وعلة ذلك الجهل فاذا أزيل بقوة العلم اهتدت الامة وردت عن أفكارها مالا يلائم دينها ومبادئه الصحيحة

وقد كررنا الكلام مرارًا على جهل الاحباش بين مسيحيين ومسلمين فلا لزوم لاعادته الآن .

و يلتحق بهذه العلة علة أخرى جديرة بالاعتبار هي انتشار مدعيي النسب للنبي وآل بيته بين كل قبيلة وكل فريق ليحوزوا مقاماً و ينالوا المآرب الدنيوي لا الاخروي . وقد جعلوا النسب علة التفاخر حقاً واجباً على الناس ان يعترف لهم بذلك وانهم يستحقون بتلك العلة العلو على البشر مادة ومعنى وهو وهم باطل لان ادعاءهم غير صحيح لم يقم بادلة تصح ان تؤخذ بمثابة حجة بل لو كان صحيحاً لما جعلوه علة للتفاخر واتخذوه آلة تستخدم للكسب وجر المغنم ومنهم من يجعل علة النسب مدار المجد ولو لم تكن عن حق مشروع ولكن محو كل هذه العلل التي انتابت مسلمي الحبشة ليست بالامر الخارج عن دائرة الامكان اذا اتفق جماعة من فضلاء الاسلام

وللقبائل الاسلامية البالغ عدد اهاليها حوالي المليونين من النفوس رئيس ديني تبجله وتحترمه وتطيع اوامره ونواهيه وتحج الى داره المباركة لتقديم واجب الطاعة والفوز بقبلة اليد ونيل الدعوة ويقطن هذا الرئيس الحائز على لقب « الاوجاز » (من القاب الشرف عند الاحباش) في بلدة دجيما وهو تابع للحكومة الحبشية و يدفع لها الضريبة السنوية المفروضة عليه فاذا اقتر عن ذلك أو رأت منه عداء ومناهضة أو اثارة لخواطر المسلمين أقالته وعينت سواه من عائلته المستأثرة بهذه السلطة الدينية وهي عائلة شريفة منسوبة لآل بيت النبي العربي

أما المسلمون من الاحباش أنفسهم البالغ عددهم نحو ٨٠٠ الف نفس أو يزيدون فلهم أئمة وعلماء وفقهاء وكتاتيب يتعلمون فيها و يشتغلون غالباً بالتجارة و يتولون مناصب عالية و يديرون مصلحة الجمارك ولهم تعلق شديد بامبراطورهم وملوكهم فيبذلون المهج رخيصة في سبيلهم كما يبذلونها في سبيل صيانة الوطن ورفع شأنه . فاذا اردت ان تتعلم الوطنية وتعرف ما هي الوطنية والجامعة القومية فتعلمها كما يقول المرحوم البرنس هنري دورليان من الاحباش ونفوس الاحباش

الجزء الثالث

١

حكومة الحبشة

حكومة الحبشة هي من الحكومات المطلقة التصرف والنجاشي هو حاكم جميع الاحباش وسلطانهم ويتيسر له ان يغير شيئاً من قوانين المملكة وشرائعها غير انه لا يجسر ان يعبث بالعادات القديمة والتقاليد الماضية ويتحاشى نقض القواعد الاصلية التي جرت عليها الاحكام زماناً طويلا ويلقب بلغة اهل بلاده « نجوسا نجست زا اثيو بيا » أي ملك ملوك اثيوبيا ويسمى أيضاً النجاشي الاكبر أو النجاشي العظيم (١) ملك صهيون واسرائيل الجالس على عرش يهوذا وسليمان. ومن حقوقه المقدسة نصب الوزراء وتولية الحكام ومنح القاب الشرف واعطاء الاوسمة وضرب النقود وعقد المواثيق واشهار الحرب وابرام الصلح وقيادة الجيوش واجراء الاحكام وسن القوانين وتخفيف العقوبات وعقد المجالس وفضها وهو كسائر ملوك الشرق وانغرب مبجل مفخم مكرم وفي الغالب محجوب عن العيان واذا اضطر للظهور تقدمته فرقة كبيرة من الحرس وحفته اسرته المالكة. وله زوجة شرعية تلقب « نجوسا نجستي زا اثيو بيا » أي ملكة ملكات اثيوبيا وله عدد كبير من السراري والوصيفات وله ديوان وبلاط لا يقل في الابهة والفخامة عن الدواوين الملوكية في سائر اقطار العالم المتمدن من حيث كثرة الحجاب والتشريفاتية واركان الحرب والمهندارين والحرس والخدم

(١) من القاب النجاشي قديماً « الحطي » ومعناه الملك و « سلطان الحبش والنيل » كالقب السلطان زاجاد أحد ملوك هذه البلاد وخلفائه ومن نظاماتهم ان الملك عند توليه العرش يغير اسمه الاصلي باسم جديد فمثلا الامبراطور الحالي كان اسمه سحلا مريم اي « المشابه للعذراء » فسمي بعد توليه مملكة شوا باسم حنا منليك

والحشم وفي داره كثير من الارقاء والعبيد يستخدمهم في اعماله ويعلمهم ويدربهم ويعطيهم الاراضي ليستعمروها وعنده معمل كبير يتولى ادارته احد الاتراك يتعلم فيه الارقاء الصياغة والحياكة والنجارة. اما القصر الملوكي فقصر كبير واسع الرحاب يسمى « جبي » لا يدخله الا الطبقات العالية من أبناء الملوك والامراء وعظماء البلاد .

ومن حقوق الامبراطور الخاصة تعيين خلفه على الامبراطورية مع منحه لقباً من القاب الشرف يخالف الالقاب الممنوحة لاولياء العهد السابقين (١) ولا يتوج الامبراطور الا بعد ان يمسحه نيافة المطران القبطي ويتوجه بيده في كنيسة اكسوم المقدسة باحتفال عظيم وهو نظام من بقية النظامات المشروعة عندهم التي لا يصح نسخها

وتنقسم الامبراطورية الى عدة ممالك وولايات يديرها ملوك او نواب ملوك متوارثين العرش ويدعي بعضهم النسب الى سليمان بن داود كملك قوجام ولكل ملك او نائب ملك لقب خاص فملك قوجام يلقب بملك الكافا وملك شوا بلقب « ما رازمتش » وملك انرايا بلقب « بنيرو » وملك كوشو بلقب « ازادجيز يه » ووالي دجيما بلقب « موتي » الخ

وتنقسم الممالك والولايات الى ألوية والالوية الى اقاليم صغرى ويدير الالوية نائب وال يختلف لقبه باختلاف شهرة بلاده من العظم والجسامة اما الاقاليم الصغرى فيقام لها حاكم صغير يسمونه « شوم » ولكل من هؤلاء الحكام السلطتان المدنية والحربية بعضهم مستقل في شؤونه الداخلية استقلالا تاماً وبعضهم مقيد يعرض احكامه على السلطة الرئيسية الا انهم يرجعون جميعاً في المسائل المهمة الداخلية والامور الخارجية الى الامبراطور

(٢) الاحباش يشابهون الاوروبيين في منح القاب اولياء العهد باسماء الولايات فكان لقب ولي عهد الامبراطور السبان « ملك عدوه » ولقب ولي عهد الامبراطور ياسو الاول « حاكم جندرا » وولي عهد تيودوروس « دجاز ولاية دنبعه » وولي عهد الامبراطور يوحنا الرابع « رأس التغرة » وكريمة الامبراطور منليك « ملكة اوالا » والرأس ماكونين ولي عهد المملكة الحالي « رأس هرر والجالا » اه

و يتلو حكام الالوية والاقاليم موظفون لهم السلطة المدنية على الاهالي اي ان لهم حق المراقبة عليهم وجباية الضرائب و يسمونهم «مسلانيه» ولهم مفتشون يسمونهم « تشيكا شوم » ومعاونون يلقبون بلقب « دونج » وجم غفير من الكتبة يسمون رؤساءهم بلقب « تا كو اتاتاري » وليس في الحبشة ديوان مستقل في اعماله عن بقية الدواوين

وعندهم ايضاً مجلس اشبه بالمجالس النيابية يؤلف من حكام الولايات والملوك ولا يجتمع الا بامر الامبراطور مرة في كل عام او مرتين ومن اعماله فحص اعمال البلاد واقامة اعتراضات في المسائل المضرة بمصلحتها ومصلحة الاهالي وسن نظامات للوسائل التي من شأنها الترقية والتقدم لكن التسليم بمطالبه والاذعان لها لا يتم الا بتصديق الامبراطور عليها الذي يرجع في كل شؤونه وأحواله الى نيافة المطران القبطي

على ان الذين يديرون حركة البلاد لم يهتدوا الى الواسطة التي تصون الامن العام لان اكثر رجال السلطتين الادارية والقضائية ورجال الشحنة تنقصهم الدراية و ينقصهم العلم فهم من كل الجهات تعوزهم قوانين ونظامات تنطبق على عادات البلاد ومشارب أهلها ومن الجهة الثانية يعوزهم رجال اكفاء ذوو خبرة وعلم

٢

القابها ووساماتها وشعارها

﴿القابها﴾ — القاب الشرف في هذه البلاد كثيرة اولها «الرأس» وهو بمثابة لقب مارشال عند الاوروبيين او لقب برنس او ولي عهد ويتلوه « الدجازمتش » او «الاوجاز » ومعناه قائد الجناح الايسر للجيش وهو بمثابة لقب جنرال و «الكانيازمتش» اي قائد الجناح الايمن ويساوي رتبة الفريق « والليكاموكاس » لواء اي حاجب الامبراطور و «شيليالا » امبرالاي أي قائد الالف و« ماتوالاكا » قائمقام ويقود المئة و « بتوديه » بكباشي « وانسوالاكا » يوزباشي ويقود الخمسين « والاكا » ضابط « وباشا » صول « وعسكر » عسكري

« والفتوراري » اركان حرب «والاوابا » أو « الاوابواس » قائد المؤخرة « و باتانجا » حامل الصولجان والعلم . هذه هي أهم القابهم التي تمنح لعظمائهم أما الالقاب المدنية فقليلة ما هي لا ينالها الا الموظفون المدنيون وقد نشرنا بعضها في الفصل الاول ثم هنالك القاب اخرى « كالبدجروند » « والليجاب » « والاجافاري » « و بلاموال » « و بلاطه » وغيرها ولا امكان لشرح معاني هذه الالقاب على اختلاف اسمائها لعدم امكان وجود كلمات في اللغة العربية تكفي لتصويرها كلها

﴿ وساماتها ﴾ — أشهر وساماتها هو وسام النجمة الحبشية وله خمس طبقات الطبقة الاولى لا تمنح الا للملوك والحكام بموجب فرمان وهي من الذهب المرصع بالماس والطبقة الثانية لا تمنح الا للامراء أما باقي الطبقات فتمنح للعظماء حسب درجاتهم واستحقاقهم وهذه الوسامات مصنوعة من الذهب بيضوية الشكل منقوشة نقشاً جميلا وعليها صورة الطغراء الحبشية

وقد ضرب جلالة الامبراطور الحالي ميدالية ذهبية تمنح للجنود مرسوم على أحد وجهيها صورته وعلى الوجه الثاني صورة الشعار الحبشي

(شعارها) — الشعار أو العلامة هي رمز منقوش أو جملة قليلة الالفاظ كثيرة المعاني تنتقيها بعض الممالك والاسر الشريفة لتكون قاعدة الاعمال وعنوان المقاصد وتمثل حكومة الاحباش شعارها في صورة الاسد الحبشي يحمل علمها وتحته هذه الامثولة التي هي عبارة عن شعارها « الاسد الغالب سبط يهوذا »

﴿ تاج ملوكها ﴾ — تغير وتبدل على اشكال شتى فكان في الجيلين السادس والسابع عشر من العقيق الاحمر مقننا بصليب من الماس وفي الجيل الثامن عشر كان شبيهاً بتاج الاساقفة أما تاج جلالة الامبراطور الحالي فيشبه تيجان ملوك اشور و بابل وهو من الذهب الخالص المرصع بالماس المزين بصفين من الزمرد ومرسوم على جانبيه صورة مار جرجس منتصراً على التنين ومقنن بصليب من الماس غالي الثمن و بعد ان يتوج به يلفه بخرقة من الحرير الهندي الابيض

أما الصولجان فهو عود طويل ملبس بالفضة يعلوه صليب ذهبي واما العرش فهو متخذ من

الذهب مكسو بالمخمل القرمزي الغالي الثمن وكان قديماً من العاج ثم ختم جلالة الامبراطور نجده مستديراً ومنقوشاً في وسطه صورة أسد حوله هذه الامثولة الآتية مكتوبة باللغة الجيزية وهي « منليك الثاني ملك شوا والاسد الغالب سبط يهوذا » أما ختم الامبراطورة طايطو فهو مستدير كذلك وفي وسطه صورة الشمس محاطة بايات منتهية بصورة صليب

٣

قضاؤها ومحاكمها

القضاء في بلاد الاحباش لم يزل الى الان قضاء تقليدياً قلما يختلف في شكله ووضعه عما كان عليه منذ الاف من السنين ولو لم تكن احكامهم قاسية لكانت بلادهم موطن الشرور ومنبت الجنايات . والباحث في أحوال القوم يرى ان هنالك محاكم أهلية مستقلة عن السلطة الحاكمة تفصل الدعاوي كلها وتقضي بين الخصوم بحكم العقل والعرف ونتائج تضارب الافكار فتكون الاحكام تقريبية لا حقيقية أي انها ربما صادفت الحكم الصحيح مصادفة وربما لم تصادفه . واكثر هذه الحكومات شيوعاً بين العامة وفي الامصار القاصية والعلماء هم أصحاب الحل والربط وكذلك الكهنة فيعاقبون السارق بالبتر والزاني بالرجم والمتعدي بالضرب والمخالف بالنفي والمتقبح بالغرامة وحكم الجماعة نافذ في حينه ليس بعده من كلام ومهما يكن من أمر هذه الاقضية فقد أشرفت على الزوال حيث ان الاهالي وجدوا انها تحكم احكاماً لم تتجرد عن المطامع الذاتية وان الرشوة لها اكبر مفعول في صدور تلك الاحكام فجعلوا لها أسطورة يقصونها في كل حين وهي « ان قضية رفعت بين رجل وامرأة فقدمت المرأة للقاضي جرة عسل وقدم الرجل له بغلا فحكم القاضي لصالح الرجل فلما ان جاءته المرأة شاكية حكمه لخصمها قال لها ماذا افعل لقد مر من هنا بغلا رفس برجله جرتك فكسرها

أما المحاكم الرسمية فرئيسها الاكبر الامبراطور او هو قاضي قضاة المملكة ويتلوه في الرئاسة المطران القبطي والحكام اما الافراد الذين ينتقون لتولي أمر

القضاء فيلقبون بلقب « افانجوس» اي الكليم ولهم نواب يسمونهم « او امبار » وهؤلاء يقومون بوظيفة النيابة العمومية وقضاة التحقيق كما لهم حق النظر في القضايا والفصل بين المتقاضين . ثم هنالك المحامون وهم قليلون لقلة أعمالهم وعدم الحاجة اليهم لان كل متهم ملزوم بالمدافعة عن نفسه وتوءخذ اقواله حجة عليه ولهذا فهو يرجع الى المحامي قبل النظر في قضيته ليسترشد برأيه ليس الا .

والقانون المعمول به في هذه البلاد هو كتاب الشريعة « فيتانجوست» اكثره مأخوذ من قانون جوستنيانوس المعروف وأهم احكامه ضرب المذنبين بالسياط وتقييد البعض بالقيود او مقاصصتهم بدفع الدراهم وقطع ايدي والسنة السارقين والكذابين والسبابين والمجدفين علي الملك ومثل هذه الاحكام تدعو الى تكاثر اعمال الخير وتنشيط أهلها وتجبر على قلة اعمال الشر وضعف عزائم مرتكبيها

ومن احكامه ايضاً عدم قتل القاتل الا بعد اخذ رأي اهل القتيل فان طلبوا قتله قتل وان شاءوا اخذ المال بديلا او قصاصه بقصاص شديد غير عقوبة الاعدام قوصص بها وهو عمل ان يكن غير محمود لجعل سلطة الحكم تحت رحمة أهل القتيل الا انه أحسن من جملة وجوه أهمها ان الجزاء لا يقع الالاصلاح النفس والقتل يعدمها فلا يوءثر فيها الجزاء الا مجرد الالم ثم العدم وهب انه قتل فنقص من هيئة المجتمع واحداً فقتله يقتضي نقص اثنين اما اذا كان الجزاء شديداً حافظاً لحياته فهو أليق بالرحمة وبالعدالة

أما تحقيق القضايا الكبرى فهي من اختصاص المحكمة العليا وهذه المحكمة توءلف من الامبراطور او المطران رئيساً ومن ٢٤ قاضياً وكاتباً وناثباً عمومياً ويحكم في هذه القضايا الكبيرة طبقاً لنصوص كتاب الناموس « فيتا نانكت » واحكامه قاسية جداً منها قطع لسان من يكذب على الملك وقطع يد السارق وايدي واقدام من يسب الملك وكذلك من عصى له امراً ومن استزاد عن ذلك اعدم واعدام من يطعم او يسقي عدواً من اعداء الملك وحكم هذه المحكمة نافذ في حينه ولا يحق لاحد الخصوم الطعن عليه

وتعرض القضايا على هذه المحكمة في ايام مخصوصة وتفتح جلساتها من الساعة التاسعة مساء الى شروق الشمس و يقف المتهمون على بعد ٤٠٠ ذراع من هيئة الجلسة وعند ما يتقدم أحد المدعين لاستجوابه يصرخ قائلا « جن هوى » سبع مرات متوالية ومعناها يا ايها الملك العظيم اسمع منا و يتوسط بين المتهمين و بين الملك احد القضاة الملقبين بلقب « افانجوس » و بعد سماع اقوال المتهمين والشهود والمحامين يتداول القضاة ثم يحكموا طبقًا لنصوص كتاب الناموس واذا كانت قضايا يصعب دخولها ضمن نص من النصوص فيتعين الحكم باجتماع اهل الحل والعقد وباغلبية الاراء

ضرائبها وجمارکها و بريدها

﴿ضرائبها﴾ — لكل أمة نظام قاست على مقياسه دستورها وقوانينها وحالتها الاجتماعية وسارت بموجبه في جباية الاموال والضرائب وللحكومة الحبشية نظام غير انه مربوط بالغايات الشخصية وضعف قوة الجباة وليس كل الخلل في جباية الضرائب التي تعرف منها فوضى البلاد بل لان الحكام أميل الى الاستبداد والأثرة وانفاذ ارادتهم في أخذ الضريبة من زيد واعفاء منها عمر حتى أصبح دخل الحكومة قليلا الى حد لا يزيد عن المليون من الجنيهات

وتجبى الضرائب من المزروعات بمعدل واحد في العشرة وتحصل الرسوم من المواشي بمعدل ٢ في المائة من القيمة الاصلية وتدفع هذه الضرائب والرسوم تارة من المال وطورًا من عسل الشمع وأخرى من الحاصلات وهي الطريقة السائدة في هذه البلاد حتى انك تشاهد كل يوم ألوفًا من الزوارق مارة في الترع مشحونة بالحاصلات من قمح واذرة وطف وغيره الى الخزينة العامرة في اديس ابابا وتعفى من هذه الضرائب والرسوم الاراضي الملوكية والاميرية والكنائسية ثم هنالك بلاد الغزوات لمستمرة بلاد القبائل والعشائر قلما تدفع الضرائب الا عند وقوف الجنود مع الموكلين

بالجباية وقد تداركت الحكومة اسباب هذه الفوضى فاخذت في وضع لوائح جديدة تكون على اساس صحيح وقياس صادق وقاعدة مقررة وتكون أيضاً اكثر ملائمة لظروف الاحوال الحاضرة

﴿ جاركها ﴾ — لها مصلحة جارك صغيرة تأخذ الرسوم عن البضائع الصادرة والواردة من الخارج والى الخارج الان ايرادها قليل جداً وغني عن البيان ان بلاداً كهذه البلاد قليلة التجارة لا تكون ايراداتها الا اليسير او دونه أما الرسوم الجمركية فهي ٢٠ مليماً عن كل جمل حمله من ٢٤٠ كيلو جراماً الى ٢٦٠ بين دجيبوتي وجلديسا و٢٥ من جلديسا الى هرر و٢٣ من عدن الى جلديسا و٢٨ من عدن الى هرر و١٩ من جلديسا الى دجيبوتي و٢٤ من هرر الى دجيبوتي و٢٧ من هرر الى عدن و٢٢ من عدن الى جلديسا و يدير هذه المصلحة ستة موظفين يسمونهم « بنجاديه » أي رؤساء التجار و يقيمون في ست مدن هي بدجيبيه ودير يتا وجندار وسوكوتو وعدوه ودوار يك والرئيس في هذه المدينة الاخيرة مسيحي أما الباقون فمسلمون

﴿ بريدها ﴾ — في هذه البلاد مصلحة للبريد يديرها المسيو الج السويسري الا انها غير منتظمة ولا كافلة لصيانة الخطابات والمراسلات من الضياع والفقدان اثناء مسير القوافل بها لتوصيلها وتسليمها . أما طوابعها فكمصكوكاتها مرسوم عليها صورة الامبراطور منليك وفي أسفلها قيمة الطابع وهي مربعة متعددة أنواعها حتى لقد ترى منها الآن ٢٠ نوعاً بعضها متداول و بعضها غير متداول فالمتداول هو الطابع الاخضر وقيمته ربع غرش والاحمر وقيمته نصف غرش والازرق وقيمته غرش والاسمر غرشان والاسمر الزنبقي ٤ غروش والاخضر ٨ غروش والاسود ١٦ غرشاً . و يدفع على الطرود غرشان عن كل ١٥ غراماً أو اقل من ذلك وربع غرش على الخطابات والصحف التي لا تزيد زنتها عن ٣٠ غراماً . وزد على ذلك ان الحكومة مشتركة في الاتفاقيات الدولية المختصة بالبريد ومتمشية على منطوق موادها

وتقوم البوستة مرة في كل أسبوع من انكوبر الى انطوطو ومن أنطوطو الى أديس ابابا ومن أديس أبابا الى هرر ومن هرر الى دجيبوتي وكل يوم اثنين

وخميس من كل أسبوع بين انكوبو وانطوطو و بين أنطوطو وهرر و بين هرر ودجيبوتي

و يحسن بنا القول قبل ختام هذا الفصل بان الايطاليين اهتموا بمد الاسلاك التلفونية بين دجيبوتي وهرر واديس ابابا كما اهتموا بمد الاسلاك البرقية بين مصوع وأديس ابابا مارة ببلدتي عدوه وميكاليه

٥

جيشها وعلمها

﴿ جيشها ﴾ — الجيش العامل أي الجنود النظامية يبلغ عددها أيام السلام ٥٠ الف جندي وفي ايام القتال ٤٠٠ الف او يزيدون حيث يندفع الاحباش من تلقاء أنفسهم الى حومة الوغى ليطردوا العدو عن الوطن المحبوب قبل ان يعلن كل رأس وكل قائد اهل بلاده وعشيرته الى الانضمام تحت لوائه . وقد تراهم يهبون من كل صوب متقلدين السلاح مشددين عزائم بعضهم بعضاً على منازلة الاعداء والتنكيل بهم وهكذا لن تجد بين الرجال وقت الحرب جباناً ولن تجد متقاعداً عن نصرة الوطن ولن ترى خائفاً وجلاً بل تجد الامة كلها جنوداً وكل الجنود أمة حية تدافع عن الوطن وتعد القتال في سبيله فخراً مبيناً

ولا يقتصر الحال على الرجال وقت الحرب بل ترى الاطفال والاولاد مرافقين لاباءهم ومساعدين لهم في الخدمة وحمل الامتعة أما النساء فحدث عن شجاعتهن بما شئت حيث تراهن واقفات في ساحات القتال مشددات عزائم الرجال على الثبات ومقارعة العدو مظهرات حضورهن لمشاهدة فعالهم في وقت النزال فتشتد الهمم وتعظم الشجاعة في الصدور حتى اذا دق نفير الحرب القيت النفوس تتهافى الى الهلاك مستقتلة متفانية حتى تنال النصر

ومن عوائد الاحباش أيام القتال شرب خمر العسل في كل طلعة شمس لتزداد قوتهم ويكون لهم من الشدة ما يساعدهم على احتمال المشقة والاتعاب والصلاة قبل كل واقعة ليطلبوا من الله النصر والنصر بيده يعطيه لمن يشاء و تقديم خدمة

الدين في صدر جيوشهم ليقوموا بالذي عليهم من فروض الصلاة والوعظ وأغرب من هذا وذاك ان عندهم تابوتاً موضوعة فيه نسخة قديمة من الكتاب المقدس مكتوبة بلغتهم ولوحان مكتوب عليهما الوصايا العشر التي أوصاها الرحمن الى نبيه موسى ويسمون هذا بتابوت العهد وهم يجلون قدره ويحترمونه الاحترام الكلي ويدافعون عنه حتى يقتل كل أبطالهم بل اذا رأى القائد العام انه في خطر الانكسار أعلن ان التابوت في خطر فيندفع الجند على العدو اندفاع الاسود على الفريسة فاما ان ينتصروا ويبلغوا الامل واما ان يموتوا عن بكرة أبيهم خوفاً من وقوع التابوت في قبضة الاعداء ولعله من اكبر أسرار قوتهم واستقلالهم لانه يوجد بهم قوة أخرى غير قوة السلاح هي قوة المحافظة عليه بل هو الذي يجعل قلوبهم قوية متأكدة بالنصر لان الايمان يزحزح الجبال من أماكنها كما تعلمون

﴿ سلاحها ﴾ — سلاحها البنادق والمدافع والاسلحة على اختلاف أنواعها ويمتاز رجالها بالخفة في رمي الحراب والسهام والقتال بالسلاح الابيض كذلك لهم علم غريب في استعمال السيف والطعن به الطعنة النجلاء وجملة القول ان الجيش الحبشي جيش لا يقاد الا لنصر ومجد ولن يساق الا لمفخرة وحمد

(استعدادها للحرب) — اذا اشهر الملك حرباً نادى المنادي بين الناس طالباً الى الجند ان يستعدوا للقتال بعد ثلاثة ايام ثم تتجهز الجيوش وتأخذ مؤونة تكفيها مدة خمسة ايام وتستعد للسفر فاذا ما سارت تقدمها الملك على مسيرة ١٠٠ ذراع راكباً بغلا مسرجاً لابساً التاج ووراءه الوزراء والامراء والقواد ويكون عدد الجنود بين ٣٠٠ الف و٤٠٠ الف منهم ٣٠ الفاً يتقلدون البنادق و٥٠ الفاً يتقلدون السيوف والمجان و٥٠ الفاً من الفوارس يسيرون في سبل مختلفة والباقون بين بيادة ومدفعية وعند ما يقتربون من الاعداء يضربون امامهم خيمة الملك الارجوانية في مكان مناسب ويحيطون بها خيام الوزراء والامراء والضباط وحولها جميعاً الجنود وبعد ان يستريحوا قليلا يخرجوا لملاقاة العدو فيلبس الملك لباس الحرب أي الدرع المصنوعة من جلد الفهد المنقوشة بنقوش ذهبية وفضية ثم تتقدم الجيوش صارخة

« اكزيو اكزيو اكزيو » اي ساعدنا يا الله ساعدنا يا الله ساعدنا يا الله ثم تضرب طبول الحرب فينطلقون جميعاً مقاتلين وكثيراً ما يحاربون مدة ثلاثة ايام متوالية دون ان يتناولوا طعاماً او شراباً بل اذا حصلوا على الطعام تناولوه مرة واحدة في اليوم

(نظام جيشها) — عنيت بتدريب الجنود على أحسن منوال واوفق نمط فاختارت لهم الضباط الماهرين لتدريبهم والاسلحة البعيدة المرمى السريعة الانطلاق و يتألف جيشها من ست فرق عدد الفرقة الواحدة ٣٠ الف رجل كاملة المعدات تامة المهمات بين طوبجية وفرسان و بياده واركان حرب وغيرهم وتقسم البلاد من حيث توزيع الجيش الى اربع دوائر فالفرقتان الاولى والثانية وثلث الثالثة في شوا وثلثا الثالثة والفرقة الرابعة في امحره والخامسة في التغرة والسادسة في قوجام وكل هذه الفرق مساحة بمائة وخمسين مدفعاً بين جبلية وسهلية وكروب

و يمتاز الجند الحبشي برباطة الجأش والصبر على الشدة وتحمل الشاق من الاعمال كذلك هو مطواع لاولى الامر شجاع

(علمها) — علمها سريع التغيير فكلما مرت عليه اعوام تغير شكله وتبدل فكان علمها الاهلي عام ١٨٨٤ مركب من اربع قطع افقية من الحرير الاحمر والابيض والاصفر والاخضر فكانت القطعة الحمراء رمزاً للتغرة والبيضاء لقوجام والصفراء لامحره والخضراء لشوا وفي عام ١٨٩٦ غير هذا العلم بعلم آخر مركب من قطعتين من الحرير الاحمر مفصولتين بقطعة صفراء منقوش عليها رسم الاسد الحبشي وفي عام ١٨٩٨ صار علمها الاهلي مركباً من ثلاث قطع افقية حمراء في الرأس وصفراء في الوسط منقوش عليها الاسد الاهلي وخضراء في اسفل مركبة كلها على زانة يعلوها صليب ثم غير هذا العلم في عام ١٩٠٠ بعلم آخر مركب من قطعة حمراء عمودية على طول الزانة وقطعتين خضراء وصفراء افقيتين وهو العلم الاهلي الحالي

أما البيرق الملوكي فهو من الحرير الابيض منقوش في وسطه شعار الامبراطور واسلحته بالوان مختلفة . وهناك علم آخر يستعمل في الحفلات الدينية وهو قديم جداً

لم يتغير الى الان ويتركب من ثلاث قطع افقية بيضاء وحمراء أما علم الجيش فهو مركب من خمس قطع افقية على طول الزانة وهي خضراء وحمراء وصفراء وبيضاء وزرقاء

٦

تاريخها الحديث

عولنا ان نبسط تاريخ هذه المملكه بجميع متفرعاته ان شاء الله في مجلد خاص وجعلنا هذا الكتاب مقتصراً على تاريخ جلالة الامبراطور الحالي مع تلخيص مجمل مفيد عن تاريخها الحديث فنقول

يبتديء تاريخها الحديث من عام ١٨٥٠ الغاية عامنا الحالي وقد دخل عليها عام ١٨٥٠ واهلها منشقون على بعضهم منقسمون فئات فئات حتى قام محافظ احدى مدن مملكة امحرا يدعى كاسا وقاتل رأس عالي حاكم المملكة حتى ظفر به واستولى على قاعدة ملكه ثم فتح بعد ذلك بلاد تلك المملكة وما انتهى عام ١٨٥٢ حتى كان باسطاً سلطته عليها ولم يكتف بذلك كله بل شن الغارة على مملكتي التغرة وشوا وفتحها عنوة وقسراً ومن ثم استتب له الامر ونودي به امبراطوراً في ١٢ فبراير عام ١٨٥٥ على المملكه الحبشية باسم ثيودروس الثالث ثم جعل حاضرة ملكه مدينة انكوبر بعد ان استولى على قلعة مجدلا الحصينة وغلب قبائل الجلا التي ثارت عليه. ولما رأى ان البلاد قد انصاعت له بحذافيرها أراد ان يؤسس مملكة مسيحية عظيمة المقدار مرفوعة الجناب تهاب منها الامم المجاورة وتعترف بصولتها الشعوب القريبة منها والبعيدة فحشد لذلك ١٥٠ الف جندي لكنه ما عتم ان رأى عداء ومناهضة من المستر بلودن قنصل انكلترا الذي أراد ان يقلب سياسته ويعرقل مساعيه لكنه لم يفز بشيء وقتل شر قتلة وخلفه الكبتن كامبرون وكان ضعيفاً لم يجد في نفسه الكفاءة للمنصب الذي تولاه ورأى موقفه حرجاً امام هذا الامبراطور الافريقي لما لم يتحمل سياسته التي أوقعته في حيص بيص ودفعته ان يتهم ثيودروس امام الرأي العام الاوروبي بانه يكره الاسلام والمصريين خصوصاً ويسيء معاملتهم فلما علم الامبراطور بذلك أمر

بسجن جميع الاجانب بلا مراعاة جنسية او تابعية ومن ضمنهم ذلك القنصل الانكليزي وصار يذيقهم من العذاب ألوانا ثم أحضرهم في قلعة مجدلا مكبلين بالحديد وعلى أثر ذلك بذلت الحكومة الانكليزية جهدها في استعمال كافة الطرق السياسية لاسمالة ذلك الامبراطور فلم تفلح واضطرت في آخر الامر لاستعمال القوة فاشهرت عليه الحرب سنة ١٨٦٧ وذهبت اليه الجنود الانكليزية يقودها الجنرال روبرت نابيير وكانت مؤلفة من ١٦١٨٩ جندياً وعدد عظيم من أركان الحرب والمهندسين ورجال الصحف والطبيعيين والمؤرخين والفلكيين وغير ذلك يصحبهم نحو ٤٥ فيلا وكمية وافرة من المؤن والذخائر وقد قام قبل سفرهم الكولونل ميريويتير لزيارة تلك الاراضي وابداء ملاحظاته عليها فاختار خليج أدوليس المعروف باسم (انسلى) لمرسى المراكب الحربية التي القت عصا تسيارها هناك في ٣ اكتوبر سنة ١٨٦٧

وبعد أخذ الاحتياطات اللازمة لفتح مجدلا التي تبعد نحو ٦٠٠ كيلومتر عن خليج ادوليس أمر القائد نابيير بخروج الجيش الى البر والذهاب تواً الى مجدلا فما كان من الامبراطور الا ان جمع كل قواه وذهب لمقابلة عدوه الازرق بقلعة مجدلا المذكورة حتى التقى به وقاتله قتالاً فظيعاً اباد منه في مدة ايام قلائل الالوف لكن لولا الخيانة التي لحقت بالملك من بعض رؤساء القبائل المشتراة بالمال لما تيسر للانكليز احتلال مدينتي ايدكرات واندالوا اللتين كانتا السبب الوحيد في العقبات الصادرة لهجمات الجيش الانكليزي وبعد مضي ثلاثة اشهر والحرب سجال ظهرت طليعة الجيش الانكليزي ويبلغ عددها نحو ٣٥٠٠ نفر في ٩ ابريل سنة ١٨٦٨ حوالي قلعة مجدلا فصادفتهم طليعة الجيش الحبشي ويبلغ عددها نحو ٥٠٠٠ نفر فعملت فيهم النار والسيف وفتكت بهم فتكا ذريعاً واضطرتهم الى الفرار بعد ان تكبد الجيش الانكليزي خسائر جمة ولم يعد منه سوى نفر قليل يعد على الاصابع واسر منهم عدد عظيم من ضباط واركان حرب ومهندسين وارسل الامبراطور ثيودروس عقب غلبته هذه اثنين من امرائه للتوسط في عقد محالفة تضمن السلم وتحافظ على حقوق الطرفين فلم يجب طلبه بل أمره الانكليز ان يذعن لجلالة الملكة

فيكتور يا فاطلق سراح كافة الاسرى من الاوربا ويين ولكن ذلك لم يجده نفعاً للحصول على الصلح الذي كان ضالته المنشودة فلما رأى ذلك وعلم ان الانكليز مصرون على محاربته لاخر نقطة من دمهم آل على نفسه ان يهرب ليلا اذا اضطر الى ذلك ولكن لم يفلح في مسعاه لان الجيش الانكليزي هجم على قلعة مجدلا التي كان موجودا بها على غرة منه في ١٣ ابريل سنة ١٨٦٨ فندم حيث لا ينفع الندم وخاف ان يقع أسيرًا بين ايدي اعدائه فاطلق غدارته في فيه وذهب فريسة خيانة بعض رجاله وبعد انتحاره احتل الانكليز قلعة مجدلا ودخلوا البلاد وجاسوا خلال الطرق الغير مأهولة واستحضروا ابن ثيودروس معهم اسيرًا بعد ان احتفلوا بدفن والده احتفالا ملوكيًا لائقًا بمقامه ومن ثم قام ملك التغرة المدعو (كاسا) وهو اول مساعد كان للانكليز في فتح تلك البلاد واستولى على بلاد الحبشة بعد ان زودته انكلترا بالتعاليم الملائمة لصالحها الذاتي وأعطته المؤن والذخائر من قبلها ثم قفل الانكليز بالرجوع الى بلادهم في شهر يونيو سنة ٦٨

وقد بويع كاسا المذكور امبراطورًا على الحبشة وتوج بمدينة اكسوم وانتحل لنفسه اسم يوحنا كاسا وكان يمتاز عن النجاشي ثيودروس بالصبر والثبات والتأني وبعد النظر حتى انه استطاع اخضاع جميع امراء مملكته التي حدثتهم نفسهم بالخروج عن طاعته واستقل اثناء ذلك الملك منليك بمملكة شوا

وبعد ذلك بثماني سنوات اي في يناير سنة ١٨٧٦ هجمت الجيوش المصرية تحت امرة المغفور له البرنس حسن باشا نجل المرحوم الخديوي الاسبق اسماعيل وقيادة سعادة السردار راتب باشا على بلاد التغرة قصد افتتاحها فدحرت بعد ان تكبدت خسائر عظيمة استنفذت في ذلك العهد الخزينة المصرية وقد استئصلت شأفة الجنود المصرية عن بكرة ابيهم وما بقي قفل راجعًا غير مهتد في طريقه وذلك في شهر فبراير سنة ٧٦ وقد تم تقرير السلم بين الطرفين في سنة ١٨٧٩ عن شراء اقليم كيرين بقيمة ٨٠٠٠ ريال

وبعد ظهور محمد احمد المهدي واستيلائه على السودان قامت على الملك يوحنا

المذكور قبائل العرب الاسلامية او الدراويش برئاسة المهدي و بعد حصول معارك عظيمة بين الطرفين كانت الغلبة فيها للاحباش لكن قتل هذا الملك في ٤ نوفمبر سنة ١٨٨٩ برصاصة من يد أثيم معتد وهو جالس على تل قريب من مدينة المتمة الكائنة على أحد مصبات نهر اطبرا بينما كان يناظر عملية دفن موتى الدروايش وقتلاهم

ولما رأى الاحباش ان ملكهم قد قتل ولم يكن ثم من يسوسهم دبت فيهم روح الحمية فهجموا على العرب هجمة واحدة واعملوا فيهم السيف حتى أدخلوهم داخل بلادهم واستولوا على الاقاليم الشرقية للدروايش ورجعوا الى بلادهم ظافرين حاملين جثة ملكهم المقتول ثم قاموا بدفنه ولما علم منليك ملك شوا ان البلاد أصبحت فوضى لا راع لها قام يطالب بسرير الملك ولكي يسود على من يعارضه وقتئذ استنجد بالايطاليين الذين كانوا محتلين شبه جزيرة مصوع عقب فشل الحكومة المصرية في مهدئة فتنة المهدي وانسلاخ السودان منها سنة ٨٤ فاجابته ايطاليا فرحة باستدعائه لها مؤملة انها ربما أصبحت بعد أمد قريب صاحبة الحل والعقد ببلاده وانها بذلك يمكنها الاستيلاء عليها فساعدته بالمال والرجال فقهر أولاد الملك يوحنا المذكور واستولى على أغلب الاقاليم الحبشية وأصبح هو الملك المطلق الصراح في بلاد الحبشة و بعد ان فتح بلاد التغرة نادى به الايطاليون امبراطورا على البلاد في ٢٦ نوفمبر سنة ١٨٨٩ وأهدوا اليه ١٠ الاف بندقية وكثيرا من المبرة والذخائر

وقد عقد معه الايطاليون في ٢ مايو سنة ١٨٨٩ معاهدة سموها معاهدة أوتشيالي جرى وضع بنودها وتنقيحها والتصديق عليها بمعرفة الرأس ماكونين ومن مقتضياتها فرض شبه الحماية على بلاد الحبشة مع ضم بعض المقاطعات الى المستعمرة الايطالية ومنع بيع الرقيق منعاً باتاً وفي أول اكتوبر من السنة المذكورة استدانت الحكومة الحبشية من الحكومة الايطالية مبلغ ١١٤ مليونا من الفرنكات واهدى جلالة ملك ايطاليا لمنليك ٣٨ الف بندقية و٢٨ مدفعاً لكن لم يلبث زمنا طويلا حتى علم الامبراطور بخبث نية ايطاليا وسبب ذلك انه جاء بالبند السابع عشر من معاهدة

صاحب العطوفة الوزير الخطير بطرس باشا غالي ناظر الخارجية المصرية

obeikandl.com

اوتشيالي المذكورة حسب الترجمة الايطالية لها (ان الملك منليك الذي اعترفت به مملكة ايطاليا الفخيمة امبراطوراً على الحبشة يكون تحت حمايتها ولا يخابر الدول الاجنبية الا بواسطتها) ولما رأى ان هـذا البند مجحف بحقوقه محط لشرفه استدعى الرأس ماكونن الذي كان قد بعث به سفيراً في رومة ولامه على تساهله هذا المفرط حتى نسب اليه الخيانة فاراد ان يخفف الرأس الامر علي مولاه فقالت له الامبراطورة طاطيو ان الايطاليين قد رشوك حتى فعلت ما فعلت وقال له الامبراطور ما نصه بالحرف الواحد « ان غاية ما قصدته من محالفتي لايطاليا انني أستطيع الاعتماد عليها في مخابرتي مع الدول ففسر الايطاليون لفظة « يمكنني » بلفظة « يلزمني »

و بعد استدعاء ماكونين من رومه اشتد الخلاف بين الفريقين واوجست ايطاليا خوفاً فبعثت الكونت انطونلي للاتفاق مع منليك على أمر هذه المعاهدة بالطرق السلمية مع حفظ حقوقها على الحبشة فحاول الكونت المذكور اقناع الامبراطور بضرورة احترام نص المعاهدة فلم يفلح بل تسبب عن ذلك ان النجاشي رفضها رفضاً باتاً وسدد ما كان عليه من الديون لايطاليا وقبل ان يعود الكونت الى بلاده قالت له الامبراطورة ان دولتك قد ارسلت الصورة التي تريدها من هذه المعاهدة الى الدول الاوروبية ونحن فعلنا مثلها وعبثاً تحاولون ان نكون تحت حمايتكم لاننا لا نسلم بذلك ولا نرغب فيه

أما الصورة التي أرسلها منليك الى الدول في ١٢ فبراير سنة ٩٣ فيقول فيها ان البند السابع عشر من معاهدة اوتشيالي حذف وجلالة نجاشي الحبشة لا يعد باعطاء شيء من بلاده ولا يرتبط بمعاهدات ولا يقبل حماية اي كان والحبشة لا تستعين بأحد بل تستعين بالله وحده وتبسط يدها اليه . ثم أبى أن يتوج في مدينة اكسوم لان الايطاليين كانوا بها

و يقول الايطاليون ان فرنسا وروسيا حرضتا منليك على مناوأتهم ومهما يكن من ذلك فلا شبهة في انه أخذ من ذلك الحين يعبيء الجنود و يبتاع البنادق والمدافع و يجمع الرجال حتى بلغوا ٧٠ الف مقاتل

و بينما كانت المناقشة دائرة على معاهدة اوتشيالي سقطت وزارة كرسبي في ايطاليا وقامت وزارة روديني واعضاؤها يكرهون الايغال في افريقيا و يتوخون الاقتصاد في النفقات الحربية فبعثوا لجنة تحقيق الى املاكهم في افريقيا وكانوا قد اطلقوا عليها اسم ارتريا فلم تجد فيها ما يقابل النفقات الكثيرة التي انفقت عليها فاستدعي الجنرال غندلفي حاكمها وارسل الكولونل براتيري بدلا عنه وهو جذوة من نار غاريبلدي وكاتب من كبار الكتاب حارب الدراويش وقهرهم وأصلح شؤون المستعمرة من كل وجه وكان الجنرال بلداسارا والجنرال غندلفي قد سعيا في تجنيد الجنود من الافريقيين ولم يفلحا لترفعهما هما وضباطهما عن الجند أما هو فافلح في هذا السبيل لانه عاش مع الجنود كانه واحد منهم

ولما عاد كرسبي الى الوزارة في دسمبر سنة ١٨٩٣ اقر على فتح كسلا فهاجمها براتيري في ١٧ يوليو سنة ١٨٩٤ وفتحها بعد ان أنخن الدراويش وأهلكهم وكان منلك مشغولا حينئذ بالغزو فلما عاد من غزواته اتاه روساء بلاده وحثوه على محاربة الايطاليين خوفاً من ان امتلاكهم لكسلا يسهل عليهم امتلاك الحبشة كلها وكان بين الروساء الرأس منغاشيا ابن الامبراطور يوحنا السابق جاء لمنلك معلقا حجراً في عنقه علامة الطاعة وطلب منه ان يملكه على بلاد انتغرة فقال له الامبراطور « أ تكون ملكا بلا مملكة اذهب واطرد الايطاليين من البلاد ثم ننظر في امرك » . كلمة حركت الرجل وكان بطلا جسورا فحشد جيشاً بمساعدة الرأس الولا عدده ١٢ الف مقاتل التقى بجنود الايطاليين وهي ٣٥٠ وكلهم من الافريقيين ما عدا ٦٥ ضابطا و٤٢ جندياً ايطالياً فدارت الدائرة على الاحباش في اربع وقائع وكان ذلك في ١٣ و١٤ و١٦ يناير سنة ١٨٩٥ وفي ١٨ يناير من السنة المذكورة احتل ٢٠ الف ايطالي مدينة عدوه وتحصنوا فيها و في ٢٥ مارث احتلوا ادجرات ومن ٢٥ مارث الى ١١ اكتوبر احتلوا بالتتابع مدن ميكاليه وانطالوا وامبالاجي ولما وسعت املاكهم بعث اليهم الرأس منغاشيا والرأس ما كونن يطلبان الصلح ولكن لم ينته شهر نوفمبر حتى جاهر بعزمهما على الالتحاق بمناك والقيام معه على قتال الايطاليين وفي ٧ دسمبر أقبلت

جنود شوا وعددها ٤٠ الف مقاتل يقودها الرأس ماكونن واحاط ٢٠ الفاً منها بجنود الجنرال توسلي وعددها ٢٥ جندي و١٣٠ ضابطا فلم يسلم منها سوى ٣٠٠ وقتل توسلي أيضا فدفنه الرأس ماكونن مع سائر الضباط بالاكرام العسكري اللائق بمقامهم

ثم أقبل الامبراطور منلك نفسه بجنوده فبلغ عدد الاحباش ٧٠ الف مقاتل شاكي السلاح فاستولى هو على عدوه بينما الرأس ماكونن بجنوده حاصر حصن مكاليه الذي تحصن فيه ١٥٠٠ من عساكر الايطاليين بقيادة الجنرال غليانو حتى اضطرهم الى التسليم ثم اطلق سراحهم بشرط ان لا يحاربوا الجنود الحبشية في سيرهم الى عدوه وعلى أثر ذلك جرت المخابرة على شروط الصلح فاصر منلك على حذف البند السابع عشو من معاهدة اوتشيالي وعلى رجوع الايطاليين الى تخومهم الاولى وعلى دفع ٢٥ مليوناً من الفرنكات بصفة غرامة فلم يقبل كرسبي بذلك ورأى رؤساء الاحباش الذين كانوا موالين للايطاليين كسلطان اووسا وغيره ان النصر قد عقد للنجاشي فانحازوا اليه وأمسى براتيري محاطا بالاعداء من كل جانب فجمع مجلسا عسكريا قر قراره على دوام القتال وما جاء اول مارث من سنة ٩٦ حتى التقت جنود الجنرال براتيري وعددها ٢٥ الف مقاتل بجنود الاحباش وعددها ٨٠ الف مقاتل في بلدة عدوه فانتصر فيها الاحباش ذلك الانتصار العظيم الذي دوى ذكره في العالم ويرجع اسباب انكسار الايطاليين الى توزيع الجنرال براتيري قواده في المسالك ليحتاطوا بالاحباش لكن الجنرال البرتوني اخطأ المكان الذي ارسل اليه لوجود مكانين باسم واحد واحاط به الاحباش فتغلبوا عليه وتبعه الجنرال دابورميدا فاحاط به الاحباش قبل ان يصل الجنرال اريموندي لنجدته وتغلبوا عليه وقتلوه ثم تغلبوا على جيش الجنرال اريموندي وقتلوه ايضاً وقد بلغ عدد الذين قتلوا في هذه الموقعة وجرحوا ١٠ الاف نفس والذين اسروا ٧٠٠ واستحوز الاحباش كذلك على علمين و ٧٢ مدفعا . وفي ٥ مارث بقي الرأس الولا والرأس منقاشيا في التغرة وهجم الامبراطور بجيشه على المستعمرة الايطالية فاستولى على قلعة ادي اجري وحاصر الجنرال بريتساري في ٥ مايو بادجرات

واضطره للتسليم أما الجنرال براتيري فقد أخذ يجمع جيشه المشتت بعد واقعة عدوه وما لبث ان استدعي الى بلاده وعين مكانه الجنرال بلداسيرا فلم يفلح مثله في قتال الاحباش والانتصار عليهم بل قام في عهده الدراويش وقاتلوا الكولونل ستيفاني حاكم كسلا وانتصروا عليه

ولما بلغت أخبار واقعة عدوه ايطاليا مادت لها البلاد وخيف من الثورة وسقطت وزارة كرسبي وخلفتها وزارة روديني في ٨ مارث سنة ٩٦ واضطر الايطاليون ان يعودوا الى تخومهم القديمة وان يطلبوا الصلح والامان حيث ارسلت حكومتهم الماجور نيرازني والجنرال فاليس ليعقدا مع جلالة الامبراطور منليك معاهدة الصلح فاتما مهمتهما وافلح سعيهما وعقدت معاهدة الصلح في ٢٦ سبتمبر وهذا نصها بعد الديباجة

اولا — توقف رحى الحرب بين الدولتين ويتم بينهما الصداقة والسلام

ثانيا — تلغى معاهدة اوتشيالي

ثالثا — تعترف ايطاليا باستقلال الحبشة

رابعا — بما ان الدولتين المتعاهدتين لم تتفقا على تحديد التخوم ولا تريدان تأجيل الصلح فقد تقرر ان يعين مندوبون من الطرفين بعد سنة من هذا التاريخ لتحديد التخوم المذكورة بالطرق الحبية وفي خلال هذه السنة تعتبر الحالة الحاضرة ويعتبر الخط الفاصل بين حدود الدولتين نهر المارب وملسمونا

خامساً — تتعهد الدولة الايطالية بانها من الان لحين تحديد التخوم لا تتخلى عن أرض لها الى دولة اخرى سواها بل اذا أرادت الانجلاء عن احدى هذه الاراضي تعتبر تلك الارض ملكا للحبشة

سادسا — تعقد فيما بعد معاهدة صناعية تجارية بين الدولتين

سابعا — تبلغ هذه المعاهدة الى جميع الدول من الطرفين

ثامنا — يصدق على هذه المعاهدة بعد مرور شهر واحد من كتابتها

وأمضت الدولتان اتفاقا آخر بشأن الاسرى الايطاليين في الحبشة وهذا نصه :

أولا — بناء على عقد الصلح يطلق سبيل الاسرى جميعا ويرسلهم جلالة الامبراطور

الى هرر ومنها يسيرون الى زيلع حالما يبلغ جلالته التصديق على المعاهدة تلغرافيا

ثانيا ـ التصريح لجمعية الصليب الاحمر الايطالية ان ترسل وكلاءها الى جلديسا لملاقاة الاسرى

ثالثا ـ بما ان وكيل الدولة الايطالية اعترف ان الحبشة انفقت مالا وافرًا على اعانة هؤلاء الاسرى فللدولة الايطالية ان تدفع لها تعويضا يتفق عليه فيما بعد ولا يطلب جلالة الامبراطور منليك على ذلك مبلغا معينا من المال لكنه يترك الامر كله لحكمة الدولة الايطالية وانصافها

وقد وقع على هذه المعاهدة رسميًا في ٢٦ اكتوبر سنة ٩٧ حيث أرسل الملك همبرت الى منليك التلغراف الآتي :

اني سعيد بان أبلغ جلالتكم خبر التوقيع على المعاهدة اليوم جعلنا الله دائمًا في صداقة وأخاء فرد عليه الامبراطور منليك بما يوافق هذا المعنى وأبلغ نص المعاهدة الى فرنسا فرد عليه المرحوم المسيو فلكس فور رئيس الجمهورية السابق مهنئًا (١)

وفي أول دسمبر من السنة المذكورة وقف السنيور امبرياني في مجلس النواب الايطالي وطلب من حكومته ترك بقية ما في يدها من الاراضي الحبشية لتستريح من عناء الاستعمار ما دامت لا تقدر على الاستعمار فرد عليه الماركيز روديني رئيس الوزارة وقتئذ ردًا صرح فيه بسياسة الحكومة وأعمالها حيث قال : ان ايطاليا استرجعت شرفها العسكري من بعد موقعة أبا كريمة وأظهرت ميلها الى الصلح بتسليم ادغرات الى الامبراطور منليك باسباب مقبولة ثم ان التعليمات التي أعطيت الى الماجور نيرازني المفوض الايطالي في عقد الصلح تقضي باننا لا نريد تعدي نهر المارب واننا عدلنا كذلك عن الاصرار بوضع الحبشة تحت حمايتنا وقد قام الماجور بمأموريته خير قيام ثم أوضح الوزير بعد ذلك ان المادة المختصة بتحديد التخوم تعطي ايطاليا الحق في الاستيلاء على اقليم اكول كوساي بعد ان كان الحلاف مستحكما عليه قبل ابرام

(١) اخذ المسيو الج القلم الذي امضى به الامبراطور منلك شروط الصلح النهائي مع ايطاليا وحفظه عنده اثرًا وتذكارًا

المعاهدة واكد للنواب ان التحديد القادم لا يعود بشيء من المتاعب والقلاقل لان الامبراطور منليك لا يريد التحرش بايطاليا ولا يميل الى مقاتلتها مرة ثانية

ثم تقدم الوزير من هذا الى الاعتراف باستقلال الحبشة وأشار الى معاهدة أوتشيالي التي كانت الحبشة من مقتضاها تحت حماية ايطاليا فقال ان الامر كان كله وهما وخرافة لان الحبشة لا تسكت عن وجود مثل تلك المعاهدة ولا يمكن ان تقبل باي وجه كان ان تكون تحت حماية دولة أخرى فالغاء مثل هذه المعاهدة لم يفقد ايطاليا شيئاً وهو أولى بالحقيقة وشرف الدولة وانفع للايطاليين ان يعرفوا حقيقة مركزهم ولا يعولوا في سياستهم واعمالهم على الاوهام . على ان ايطاليا وان تكن قد عملت الصواب وسارت برأي الكونت انطونلي وغيره من العقلاء في رفع حمايتها عن الحبشة فهي قد افهمت المجاشي و بلاده بكل جلاء انها لا تقبل وضع الحبشة تحت حماية دولة اخرى من دول الارض وان هذا هو معنى الاستقلال التام الذي اتفقت عليه البلادان

ثم قال واما عن نوايا الحكومة في الواجب اجراؤه في المستقبل فالوقت لايناسب التصريح به خصوصاً وان الصلح اعاد الامن وارجد الطمأنينة واراح العقول فصار يمكن من بعد الآن لاولياء الامر ان ينظروا في الذي يجب عليهم تدبيره أو فعله والصلح هو الخطوة الاولى في الاعمال النافعة التي تنوي الدولة الايطالية اجراءها . واخيراً اشار الى ان المستعمرة في افريقيا هي علة للخطر الدائم على ايطاليا واول ما يجب فعله فيها ان تلغى منها الهيئة الحربية وتتحول من نقطة عسكرية الى مستعمرة هادئة ملكية وهذا يلزم له الصبر والوقت ولكن الوصول اليه من الامور الممكنة ما دام ضمن دائرة العقل ولم يكن فوق الطاقة

هذه خلاصة الخطاب الذي القاه كبير وزراء ايطاليا بعد معاهدة الصلح وفيه الايضاح الكافي باعتراف الايطاليين اعترافاً رسمياً باستقلال الحبشة استقلالا نهائياً غير ان اوروبا رمت ايطاليا بكل خطأ وكبر خطأ يعزونه اليها تراه ناجماً عن اغفالها الاستعداد لهذه الحرب الهائلة التي لم يكن بد منها كانها جهات ذلك المثل القديم القائل من

ملك ارضاً لقي حرباً (١)

ولم يكن نبياً من كان يقول قبل الحرب ان الحرب بين ايطاليا والحبشة لا مندوحة عنها لان ايطاليا ملكت ارضا على ابواب الحبشة وصفعت الحبشة صفعة شديدة بأخذها اقليم الارتيرة ولكن ايطاليا لم تتم بعد ذلك التملك بل هي سارت على عادتها وتقاليدها بجعل التأهب على مهل فشرعت في تنظيم حامياتها تنظيما حسناً ولكن مع ذلك التنظيم كان يتطلب نظراً مستقلا حتى يتم فكان خطأ ايطاليا بالبطء اولا ثم بجهلها حقد الاحباش وحبهم لوطنهم ثانياً وجيشهم الباسل واستعدادهم للقتال تحت جنح السكون والسكوت ثالثاً اوقعها في هذه الحرب الهائلة التي اضعفت ماليتها واسقطتها من عيون الدول

وعلى كل حال فاذا كانت ايطاليا خالفت القواعد الحربية فقد عاقبتهم الحرب عن تلك المخالفة ورفعت من قدر الحكومة الحبشية في عيون اوروبا وجعلت الامبراطور منليك يسعى في تنظيم بلاده وتحسينها وترقية امته الى مراقي الحضارة والمدنية خصوصاً وانها اصبحت في مركز يمكنها بلا ريب من النجاح و يسهل عليها طرق ابواب العظمة والفلاح. وكانت فاتحة اعماله عقد محالفة تجارية مع فرنسا في ٢٠ مارث سنة ٩٧ وفي ٢٨ منه عين المسيو الج سكرتيراً له والمسيو موندون مستشارا لوزارة المعارف والبوستة والمسيو سافنييه سفيرا في اوروبا والمسيو سورفينس سكرتيراً خصوصياً لجلالته والكونت ليونتيف حاكما لولاية خط الاستواء لكنهم ما لبثوا طويلا حتى عادوا جميعاً الى بلادهم في سنة ٩٠٢ ولم يبق منهم الا المسيو الج وهو رجل محبوب من الامبراطور مقرب منه وفي ١٤ مايو سنة ٩٧ وصل السير رنل رود وسعادة نجت باشا سردار الجيش المصري الى الحبشة وعقدا معاهدة تجارية مع منليك باسم

(١) كان من نتائج انكسار الجيش الايطالي ان المرحوم البرنس هنري دورليان كتب مقالة طويلة انتقد فيه الجيش المذكور انتقادا موءلماً اضطر الكونت تورين ابن عم جلالة ملك ايطاليا ان يطلب مبارزته فبارزه البرنس المرحوم في ٩ اغسطس سنة ٩٠١ وجرح

جلالة ملكة انكلترا ضمناها الاعتراف باستقلال الحبشة والرضى بجعل حدودها الجنوبية بين درجتي ١٢ و١٤ من العرض الشمالي ثم قفلا راجعين الى بلادهما وفي شهر يونيو ارسل جلالة السلطان بعثة الى الحبشة فاستقبلها الامبراطور بكل تعزيز ثم ارسل بعثة اخرى في شهر سبتمبر على اثر وصول البعثة الروسية المرسلة من قبل جلالة القيصر لتعيين الجنرال فلاسوف سفيرا لدولته في الحبشة وكان يصحب السفير ٥ ضباط من رجال الحرس القيصري لتدريب الجنود الحبشية وتعليمها وفي يوليو عقد الامبراطور منليك مع المسيو سفنييه والمسيو الج بالنيابة عن شركة فرنسوية اتفاقية بانشاء خط حديدي في البلاد الحبشية هذا نصها :

أولا — يعطي المسيو الج امتيازا بمد خطوط الحديد من جيبوتي الى هرر ومن هرر الى انطوطو ومن أنطوطو الى النيل الابيض

ثانياً — يعتبر الامتياز الحالي قاصرا على خط جيبوتي وهرر

ثالثاً — يعتبر الامتياز لمدة ٩٩ سنة من يوم الانتهاء من مد الخطوط ولا يجوز ان تعطى شركة اخرى امتيازا بمد سكك حديدية تصل الى النيل الابيض سواء من الاوقيانوس الهندي او من البحر الاحمر

رابعاً — يلغى الامتياز اذا لم تبدأ الشركة بمد خط جيبوتي وهرر بعد امضاء المعاهدة بسنتين

خامساً — على الشركة ابقاء الخط بحالة جيدة ومداومة العمل فيه بحالة ترضي الا اذا اضطرتها الظروف القاهرة الى الانقطاع عن العمل حيناً من الدهر

سادسا — تمد اسلاك التلغراف على حساب الشركة على طول الطريق بحيث يكون التلغراف مرافقا للخط الحديدي حيثما امتد

سابعا — يحذر على الشركة نقل جنود اجنبية او ذخائر حربية على خطوطها الا اذا كان ذلك بامر الحكومة الحبشية فان خالفت هذا الشرط يلغي امتيازها . وعليها ايضا نقل الجيش الحبشي وسلاحه ولوازمه مجانا في ساعة الحرب

ثامنا — لا يجب ان تزيد اجرة نقل البضائع والاشياء في هذه السكة الحديديه عن النفقات الحالية

تاسعا — يجوز للشركة ان تجبي ضريبة او رسما على كل بضاعة ترسل على قطاراتها من بلاد الحبشة اواليها و يكون مقدار هذا الرسم ١٠ في المئة الى ان تبلغ ارباح الشركة مليونين و٥٠٠ الف فرنك فينزل الرسم الى ٥ في المئة واذا بلغت الارباح ثلاثة ملايين يلغى هذا الرسم الغاء تاما

عاشرًا — كل بضاعة تدفع اجرة نقلها حيث تمر خطوط الحديد يجب ان تنقل في قطارات الشركة دون سواها

حادي عشر — تعطى للشركة الارض اللازمة لمد خطوطها اينما سارت بما فيها من المعادن والمياه والحراج وتعتبر الارض التي فيها الخط ملكا للشركة على مسافة الف متر

ثاني عشر — تتعهد حكومة الحبشة بحماية الخطوط جميعها

ثالث عشر — تعفى جميع لوازم الخطوط ومدها وتسيير قطاراتها كالفحم وغيره من الرسوم مدة الامتياز بطوله

رابع عشر — عند انتهاء مدة الامتياز تصير الخطوط وما يتبعها كلها ملكا لحكومة الحبشة

خامس عشر — تعطي الشركة للامبراطور منلك مقابل هذا الامتياز اسهما من اسهمها بقيمة مائة الف فرنك

وما علم الايطاليون بمساعي الفرنسيس في ترويج مصالحهم حتى عينوا الماجور شيكوديكولا سفيرًا لهم في أديس ابابا وأرسلوا الماجور نيرازني في شهر اغسطس حاملا هدايا فاخرة من امبرتو الى منلك وكتابًا يتضمن تجديد التخوم بين البلادين فاحسن الامبراطور وفادة الماجور وزوده بالهدايا الثمينة الى جلالة مولاه وفي سبتمبر ضرب منلك نقودًا جديدة في مضرب باريس و في اكتوبر حارب الكافا التي ثارت عليه وأخضعها و في نوفمبر جاءه مشائخ قبائل الجالا بوراناس القاطنة جنوب مملكة الجالا وطلبوا منه الحماية فلبى نداءهم وأعطاهم علما يتفيأون بظلاله

انتهى عام ١٨٩٧ والحبشة تزداد قوة ونفوذًا كما تزداد مهابة في عيون الدول

وما دخل عام ١٨٩٨ حتى كانت سلطنة منلك واسعة السلطة مترامية الاطراف فاوجس الانكليز خيفة من قوته وسلطوا عليه عربا من الصومال تعدوا على بعض قرى ولاية هرر في اوائل يناير وسلبوا منها مواشيها فارسل عليهم الرأس ماكونين حملة قوية شتتت شملهم ونهبت أموالهم واسرت نساءهم واولادهم مما دفع الانكليز ان يتخذوا طريقا قويما يحفظ مكانتهم في هذه البلاد فعينوا الكولونل هارنجتون سفيرا لهم لتوطيد دعائم سياستهم لكن ما بنوه على ذلك من الامال عاد الى خيبة حيث تمكن المسيو لاجارد سفير فرنسا من التأثير على منلك باحتلال النيل الابيض و بسط حمايته على أراضي السودان الغربي وكان وقتئذ الجيش المصري يقاتل التعايشي بمساعدة الجيش الانكليزي فاقتنع الامبراطور برأي لاجارد وارسل الدجازمتش تساما بن عمه بجيش جرار الى النيل الابيض وتبعه الرأس ماكونين بجيش آخر عسكر به على حدود البلاد فلما رأى الانكليز هذا العداء حرضوا الرأس منغاشيا ملك التغرة وابن الامبراطور يوحنا السابق على قتال منلك والمطالبة بالعرش فثار الرأس ثورة كبرى حالت دون أمنية الاحباش في توسيع سلطنتهم وعاد تساما وماكونين بجيشهما الى قتال الثائر الطامح للتاج والصولجان وعاد كذلك الدجازمتش جرجس من أعالي النيل بجيشه الجرار بعد ان بسط حماية الاحباش على اقليمي اومو ويج باي الواقعين بجوار بحيرة رودولف ورفع عليهما العلم الحبشي

أما حملة النيل الابيض فكان يلتمس منها الفرنسيس غاية خطيرة وأمرا عظيما فالغاية الخطيرة هي ملاقاة مرشند عند وصوله الى فاشوده برجاله وقطع الطريق على الحملة المصرية الانكليزية من التوغل في السودان بعد الخرطوم والامر العظيم عدم تمهيد أسباب النجاح للمستر سسل رودس في مشروعه المتعلق بايصال سكة الحديد من رأس الرجاء الصالح جنوبا الى الاسكندرية شمالا فضاعت الغاية وضاع الامر وعاد الجيش الحبشي الى بلاده لمقاتلة منغاشيا بينما كان اللورد كتشنر وصل الى الاراضي التي وطأها الاحباش في ٢٣ سبتمبر سنة ٩٨ ورفع عليها العلم الانكليزي. واذا لم يتمكن مرشند ولا الاحباش من اتمام غايتهم المرجوة كذلك لم يتمكن الانكليز

ولا منغاشيا من نيل غرض حيث ارسل الامبراطور منلك جيشاً عدده ٤٠ الف مقاتل برئاسة الرأس ماكونين لقتاله والقبض عليه ثم سار جلالته بجيش آخر وعسكر به في اشنجي فلما رأى منغاشيا ان رجاله قايلون فر الى ادجرات فتبعه في ٦ دسمبر « بيتا تفاري » حاكم ولاية اجميه لقتاله لكن لسوء حظه انتصر عليه منغاشيا وزاده هذا الانتصار جراءة على مداومة القتال حيث ذهب برجاله في يناير سنة ٩٩ الى نقطة اداجانيس اي ارض الفردوس لقتال الرأس ماكونن فاحاط هذا برجاله وابادهم لكنه لم يتمكن من القبض عليه حيث فر الى السودان فاستراح منلك من شروره وعين الرأس ماكونين ملكا على عرش التغرة وانتهى عام ١٨٩٨ والاحباش يحمدون ربهم على ما أتوه من النصر والظفر

فتح عام ١٨٩٩ والبلاد هادئة ساكنة لا ثورة فيها ولا عصيان وفي شهر فبراير ارسل الرأس ماكونين خطاباً الى الكولونل مارتيني حاكم الارتيرة يقول له فيه تم بيننا الصلح وصرت ملكا على التغرة فاتمنى ان يدوم الوئام والسلام بيني و بينك وفي ١٨ منه وصل الرأس منغاشيا ورفيقه الرأس سبات الى مدينة بورومیدا حيث يقيم جلالة الامبراطور وكان بمعيته الرأس ماكونن وملك قوجام والرأس مخائيل والرأس اولييه شقيق الامبراطورة طاطبو فقدم الرأسان الطاعة والخضوع لجلالة مولاهما فعفى عنهما واكرم وفادتهما لكنه ابقى الرأس منغاشيا تحت المراقبة واعاد الرأس سبات الى منصبه وفي ١٠ مارث وصل مرشند اديس ابابا فاستقبله منلك بالاكرام وتدرج العام والبلاد هادئة حتى جاء شهر نوفمبر فثار فيه ابن الرأس منغاشيا في التغرة لكنه اسر وسجن مع والده في دندي عاصمة مايوتشا وفي شهر دسمبر اقام « تيديلا اباجوبن » من عائلة الامبراطور يوحنا والدجازمتش بلاي ثورة عظيمة يطالبان بها العرش لكن شتت رجالهما فخضعا

ودع الاحباش عام ١٨٩٩ بعد ان رووا أديم الارض في خلاله بدمائهم واستقبلوا عام ١٩٠٠ بالفرح والتهليل حيث كان عاماً مباركا عليهم لم تقم فيه ثورة ولم يحدث في خلاله الا حادثة قيام مهدي الصومال في اوائله مجتازاً برجاله حدود الحبشة فاعيد

من حيث جاء خاسراً ثم أرسل عليه الرأس ماكونن حملة قوية في شهر مارث برئاسة الجيرازمتش بنتي انتصرت عليه انتصاراً عظيما في مدينة ديجو ليلا على حدود ولاية الجاليلاند وفي سبتمبر عين منلك الرأس اولييه حاكما على التغرة واستقل الرأس ماكونين بولاية هرر وختم العام باتفاق الانكليز مع الاحباش على مقاتلة الملا وتأديبه

ثم اقبل شهر يناير سنة ١٩٠١ وكان شهر دماء حيث قام الرأس ماكونين بجيشه يرافقه ضابطان انكليزيان حسب المعاهدة المبرمة بينهما في اخر عام ١٩٠٠ وقاتل الصوماليين وانتصر عليهم ففر الملا الى بوهتل . وفي فبراير مات الملك تكلا هيمانوت ملك قوجام مسموماً فقام اثنان يطالبان بالعرش فارسل عليهما منلك حملة قضت عليهما وبعدئذ عين الرأس منغاشيا ايتكام ملكا على هذه المملكة ومر العام دون حوادث تذكر وفي ٢ فبراير عام ١٩٠٢ قام نيافة مطران الاحباش الى مصر في مهمة وحاملا وسام النجمة من الطبقة الاولى لسمو الخديوي المعظم وفي مارث تزوج الرأس ماكونن بحفيدة الملكة طاطيو وفي ٢ منه ثار « بيتا جوس » من حكام ولايات التغرة على المستعمرة الايطالية فهزمه الكولونل ترمبى وأسره وسلمه لمنلك الذي نفاه الى الكافا وفي ٢٠ ابريل ابتدأ بمد الخط التلغرافي بين الارتيرة واديس ابابا وفي أول مايو عين « الاجاز بتساب » ملكا على التغرة وفي ١٥ مايو وقع في اديس بابا على المعاهدة الانكليزية الايطالية الحبشية المختصة بتحديد التخوم وفي آخر يونيو ضم منلك الى المستعمرة الايطالية ارضاً من سلطنة الدناكل وفي يوليو قام الرأس ماكونن الى باريس ولندن في مهمة سياسية وفي ٨ سبتمبر ثار الدجازمتش جوسا حفيد الامبراطور يوحنا وهو ابن ١٦ عاماً مطالباً بعرش التغرة وساعد عمه « اباجوبن » لكنه بعد ان انتصر على الرأس اولييه عاد ففشل وخضع في سنة ١٩٠٣ وفي نوفمبر جمع الرأس ماكونن بعد عودته من اوربا مشائخ العيساس والدناكل وازال العداوة الكامنة في صدورهم وفي ٢٠ دسمبر فتح الخط التلفوني بين اديس ابابا وجيبوتي وفي ٢٦ منه سار اول قطار حديدي من جيبوتي الى محطة ديردواي

ثم افتتح الرأس ماكونن في اول يناير عام ١٩٠٣ المستشفى الفرنسوي في هرر

وخطاب تلك الخطبة الشائقة عن تعلق الاحباش بالفرنسيس تعلقاً يربطهم برابطة المودة رغماً عن كل العراقيل وفي ٨ منه وصلت بعثة جارستن الى بحيرة تسانا لدرس المشروع المتعلق بانشاء خزان للنيل وفي فبراير سار الجيش الحبشي الى السومال يرافقه الكولونل رشفورد والماجور كوبولد الانكليزيان وقاتل الملا فانتصر عليه في شهر مارث انتصاراً باهراً وفي ابريل استحكم الخلاف بين فرنسا والحبشة لميل الاولى الى ادخال المذهب الكاثوليكي الى بلاد اثانية وتشديد سفيرها لاجارد في اعادة الاملاك والاراضي التي كانت لبعض الكاثوليك في جهات التغرة وضمها الاحباش اليهم في ايام الامبراطور يوحنا وفي ١٨ منه اصدر منلك أمراً عالياً بمنع الاحتكار في بلاده منعاً باتاً فعل ايدي المحتكرين وضرب الدول والشركات الطامعة الى املاكه ضربة قاضية. وفي ٣٠ منه وصلت ارسالية المستر ماك ميلن المشري الاميريكي الى اديس ابابا لدرس مجرى النيل الازرق لتجعله طريقاً تجارياً بين السودان والحبشة وفي اول مايو اعطيت ايطاليا امتيازاً بمد خط تلفوني بين مصوع وانكوبر وفي ٤ منه هجم الملا على الاحباش بجهة « وب شيبلى » فرد على اعقابه بعد قتال عنيف وفي يونيو حسم المسيو لوبيه الخلاف القائم بين حكومته وحكومة الاحباش وفي يوليو اتفق منلك مع الالمانيين على انشاء معامل لصنع الاسلحة وصب المدافع وعمل النقود في عاصمة بلاده وفي ٢٨ منه وصل وفد عثماني يحمل سيفاً مرصعاً الى النجاشي مهدى له من جلالة السلطان الاعظم وفي اغسطس فتح منلك المستشفى الروسي في اديس ابابا وشرب نخب القيصر وفي ٢٩ منه عادت الحملة الحبشية من السومال بقيادة الفتوراري جبره وفي سبتمبر اهدى ملك انكلترا للنجاشي وسام الحمام الاكبر وفي اكتوبر اعطت الحبشة امتيازاً لشركة سويسرية بمد انابيب الكهرباء في اديس ابابا ومنحت شركة ايطالية امتيازاً بالبحث عن المعادن في شوا وفي ٢٨ منه اصدر منلك امراً الى جميع حكام مملكته باعلان الاهالي بأن من يقدم منهم على تغيير عقيدته الارثذوكسية واتباع الارساليات الدينية ينفى من البلاد وفي نوفمبر سارت آخر حملة حبشية الى السومال وكان يرافقها ضابطان انكليزيان وآخران ايطاليان وفي دسمبر وصلت ارسالية

امريكية برئاسة المستر سكينر فنصل امريكا في مرسليا وعقدت مع الاحباش اتفاقا تجاريا

أما اهم حوادث عام ١٩٠٤ فكانت طرد الكونت ليونتيف الروسي حاكم الاقاليم الاستوائية من البلاد في أوائل يناير وقيام الدجازمتش مششا في مارث الى مصر للمفاوضة في مشكلة دير السلطان مع الاقباط وتسويتها فقرر المجمع البطريركي على ابقاء القديم على قدمه. وفي ابريل فتح الخط التلغرافي بين مصوع واديس أبابا وفي مايو اجتمع مجلس حكام الحبشة تحت رئاسة منليك ونظر في قرار المجمع القبطي فقرر على ارسال مششا الى الاستانة لمقابلة جلالة السلطان وعرض المسئلة عليه. وفي ستمبر قام مششا الى الاستانة لكنه لم يفلح في مسعاه وفي اكتوبر وصل الوفد العثماني برئاسة صادق باشا المؤيد الى أديس ابابا وأهدى لمنليك هدية سلطانية وانتهى العام بصدور فرمان شهاني من جلالة السلطان الاعظم بابقاء الدير في يد الاقباط كما كان وان كان الاحباش لا يزالون الى اليوم يطالبون بهذا الدير و يقولون انه من حقوقهم المقدسة .

و يظهر لي انهم يترقبون الفرص الآن حتى اذا وجدوا سبيلا لادخال المسئلة من جديد ادخلوها لكن لا خوف من ذلك لان المسألة قد انتهت بسلام

أما عامنا الحالي فهو النقطة التاريخية الكبرى الفاصلة بين تاريخ الحبشة الحديث و بين تاريخها المستقبل وفي تلك النقطة كادت الدول بتداخلها السلمي ان تبلغ من هذه المملكة نهاية المآرب بل كادت ان تقاب عرش النجاشيين علي ان هذا الفوز لم يعد في الامكان وعوضاً عن ان يلاشي الحبشة فقد خدمها خدمة جليلة وأيد استقلالها

وقد كان توقيع منلك على المعاهدة التجارية مع حكومة المانيا في شهر مارث الماضي وعلى المعاهدة التجارية ايضاً مع النمسا والمجر في شهر ابريل الذي تلاه محركا له على النظر الى مقاصد الدول وما لها من مآرب وغايات في بلاده فاعلنها رسمياً في شهر مايو انها اذا لم تتفق على حل مشكلة سكة الحديد القائمة على مصالحها حلا دولياً فانه على أهبة الاستعداد لمد الخط على نفقته الخصوصية ونتج من ذلك اتفاق الدول صاحبات الشأن في الحبشة على اتمام الخط على نفقتها بعد ان اعترفت الواحدة

بعد الاخرى باستقلال هذه المملكة والمحافظة على املاكها .

وان كانت المانيا هي صاحبة اليد الطولى في تحريك منلك لحل تلك المسئلة حلا سريعاً فان انكلترا من جهة اخرى تمكنت في شهر يونيو من عقد اتفاق معه على انشاء بنك من مقتضاه اطلاق يدها في البلاد لاستنزاف ثروتها . ولا يمنعنا النظر في مجريات الامور من انتقاد الحكومة الحبشية على تساهلها مع الانكليز هذا التساهل الذي ربما أضر بكيانها ضرراً عظيما

وفي الرابع والعشرين من شهر يوليو الماضي عقد منلك مجلساً من حكام مملكته وكبرائها للبحث في تعيين خلف له على العرش وان كانت النية متجهة لتعميم مبدأ وراثة الملك في هذه المملكة كما هو في سائر الممالك الا ان المعروف ان ذلك لا يتم الان واذا بقي الحال كما هو تنازع العرش في المستقبل ثلاثة اولهم الرأس ماكونن حاكم هرر والثاني الرأس اولييه حاكم التغرة وشقيق طاطيو والثالث البرنس زاجاد حفيد منلك

واننا لنرجو ان يهبهم الله شرارة من نار الاتحاد فلا تجعلهم بعد منلك يتفرقون لدوام تأليف وحدتهم واستقلالهم في تلك الارض ارض ابائهم ومحتد اجدادهم

تحريرا في ١٠ اغسطس سنة ١٩٠٥

٧

احتلال شواطئها

توارت الحبشة عن الامم قروناً وأجيالا واحتجبت عن أنظار العالم المتمدن في جوف ذياك الظلام المخيم على ربوعها دهوراً وأعصاراً و بقيت ضائعة وسط هذه الخليقة التي خلقها الله مستترة بالجهل وستار الجهل سميك لا تخترقه البصائر والابصار فلم يشعر بوجودها أحد ولم يسمع بذكرها الا جوابة الافاق حتى لقيتها الدولة البرتغالية في منتصف القرن السادس عشر فاكتشفتها كما يكتشف الرواد اليوم القطب الشمالي وكان هذا الاكتشاف العظيم حادثاً عظيما في تاريخ البشرية وظنها

البرتغاليون لاول عهدهم انها أمـة ضعيفة لكن ما طال زمن اجتماعهم بها حتى عرفوا انها أمة قوية وشعب شديد البأس قوي المراس شعر بوجوده فكان هذا الشعور أول درجة من درجات الحياة فهب من رقاده وأخذته عوامل الغيرة وهزته عواطف الوطنية الى المحافظة على وطنه فطرد البرتغاليين ونـكل بهم تنكيلا حتى استوقف اوروبا وأمريكا وسائر الدنيا وعظم من مقامه واحترامه في عين القريب وعين البعيد .

خرج البرتغاليون من بلاده فاخـذت الارساليات العلمية والدينية تتوالى اليه من كل صوب فاحس بالخطر الذي يمس مستقبله ويتهدد حياته القومية فنهض في وجـه الاجانب واستمات على بداوته في سبيل المقاومة والمدافعة عن استقلاله فكان ظهوره بمظهر العداوة سبباً تجاذبت به الدول شواطئه من كل جهة فانكلترا وفرنسا جنوباً وايطاليا شمالا وصارت تلك الشواطيء كالقميص البالي يتمزق في يد متجاذبيه كل على قدر قبضة يده وقوة ساعديه . فاما فرنسا فقد جنحت منذ النصف الاول من القرن الماضي الى وضع قدم لها في البحر الاحمر أسوة بانكلترا ليكون ملجأ لبواخرها ومحطاً لسفنها فاشترى المسيو مونج قنصلها في زيلع عام ١٨٥٦ بلدة « امباهو » الواقعة على خليج تاجورة ثم احتلت هي مرفأ انسلى وجزر اودا وديس عام ١٨٥٩ لكنها عادت فاخلتها بعد زمن يسير وفي عام ١٨٥٧ غنم المسيو لامبير قنصلها في عدن فرصة احتلال الانكليز لبريم مفتاح البحر الاحمر وسعى في الاستيلاء على نقطة أخرى قريبة من هذا المفتاح فوقع اختياره على ميناء « اوبك » الواقع جنوب بوغاز باب المندب واشتراه من أبو بكر سلطان زيلع بمبلغ ٥٠ الف فرنك رغماً عن دسائس الانكليز الهائلة لمحو المستعمرة الافرنسية من البحر الاحمر ونقلها الى نفسها لتكون لها الادارة والسلطة فيه . وفي ١١ يونيو سنة ١٨٦٣ اعلنت فرنسا رسمياً احتلالها لهذه الميناء ومابرحت منذ هذا التاريخ تسير بقدم هائلة حتى لاصقت المستعمرة الانكليزية عام ١٨٨٣ من اوبك حتى تاجورة واستولت على ساجالوا وامباهو وجبة الجرب ثم انشأت عام ١٨٨٨ ميناء جيبوتي بالقرب من أوبك وأصبح لهـا فرضة

مهمة في هذا الخليج العربي كبر من نفوذها في ارض منلك لكن هذا النفوذ أصيب بضربة شديدة وتغيرت العلاقات بين فرنسا والاحباش

﴿ ايطاليا ﴾ ـ اول عهد ايطاليا بالاستعمار في افريقيا كان عام ٨٦٩ حيث اشترى الرحالة سباتو في شهر نوفمبر من السنة المذكورة باسم السنيور رو باتينو صاحب شركة البواخر المعروفة باسمه مرفاء أساب وجزيرة دمركيه من سلطان دنيكلي بمبلغ ٤٧ الف فرنك لخزن الفحم لسفنه ثم توسع روباتينو في توسيع املاكه شيئاً فشيئاً وما جاء عام ١٨٧١ حتى احتلت ايطاليا هـذه الاملاك احتلالا عسكريا فعارضها الانكليز معارضة شديدة وأرغموها على الخروج فما اطاعت ولا خرجت بل بقيت تماطل وتسوف حتى سقطت وزارة سالسبوري وخلفتها وزارة غلادستون وكانت ميالة الى السلام والوئام والى محالفة الايطاليين التي نتج من محالفتهم لها احتلالها لهذه الاراضي احتلالا رسمياً في ٥ يوليو سنة ١٨٨٢ وما جاء عام ٨٥ وأعلنت حكومة مصر عزمها على اخلاء مصوع وما يليها حتى خافت ايطاليا ان تسبقها فرنسا أو روسيا الى امتلاكها وهي مجاورة لاراضيها فتخابرت مع انكلترا في احتلالها لهذا الميناء فساعدتها على أمنيتها واحتل الايطاليون مصوع احتلالا رسمياً في ٢٢ نوفمبر سنة ٨٥ أثر خروج الحامية المصرية منها لكنهم وجدوا ان امتلاكهم للمدينة المذكورة وحدها لا يكفي لان هواءها رديء وفوائدها قليلة فاخذ الجنرال غنيه حاكم المستعمرة يبرم المعاهدات مع القبائل المجاورة توسعاً في الاملاك فتعرض له الرأس الولا في اوائل سنة ٨٧ وأسر الكونت سالمبيني الرحالة الايطالي المعروف فارسل الجنرال رجاله لقتال الرأس فقاتلهم وانتصر عليهم وشتت شملهم واضطر غنيه ان يتخلى عن مواقع حصينة ويعود بجنوده الى تخومه القديمة مستعيضاً عن القلاع والمواقع التي اخلاها بثلاث قلاع جديدة شيدها في مصوع سميت الاولى قلعة عمانوئيل والثانية همبرت والثالثة مرغريت وفي نهاية سنة ٨٧ اخضع الجنرال ساليتا خلفه قبائل الحباب وعقد معاهدة مع سلطانها حامد كنتبائي من مقتضاها وضع الحماية الايطالية على بلاده والزامه بتهيئة الرجال لمساعدة الجيش الايطالي في المدافعة عن حوز المستعمرة حين الحاجة مقابل جعل

الملك في اولاده وذريته من بعده واعطاه ٥٠٠ جنيه راتباً شهرياً وفي أوائل عام ٨٨ اخضع ساليتا قبيلة ماريا وفي نهايته قبائل بنو عامر وسلطان الاوسا وهكذا توسعت ايطاليا في داخلية البلاد الحبشية حتى صار لها مستعمرة واسعة سمتها مستعمرة الارتيرة لكن لم يطل الزمان عليها حتى تولى منليك وعقدت معه معاهدة اوتشيالي فكانت نتيجتها تلك الحرب التي بخست شرفها وحطت من قدرها لدى اوروبا واعادتها الى نحومها القديمة اما مساحة هذه المستعمرة فهي ٥٠ الف كيلو متر مربع وعدد اهاليها ٤٥٢ الفاً من الدناكل والاحباش والعرب بينهم ٢٤ الف مسيحي فقط

﴿ روسيا ﴾ ـ بذلت روسيا منتهى السعي في الحصول على ارض جديدة على شواطيء البلاد الحبشية فما بلغت امنية ولم تجد الا خيبة وخزلاناً . وقد قام احد رجالها المدعو ايفانوفتش اتشينوف في عام ١٨٨٥ لمفاوضة حكومة الاحباش في اعطاء بلاده ارضاً تستعمرها على ضفاف البحر الاحمر اسوة بفرنسا وانكلترا فاخفق سعياً لانه بعد ان استقبله الامبراطور يوحنا السابق بكل احتفاء واكرام كافه قبل سفره ان يشتري له ٥٠ الف بندقية و ٥٠ الف خرطوشة و ٥٠٠٠ مسدس و ٤٠ مدفعاً و ٥٠٠٠ سيف لكنه عاد الى الحبشة بدونها ورفع العلم الروسي على بلدة ساجالوا التابعة لفرنسا مما هيج حكومة الجمهورية هياجاً شديداً ولما لم تتمكن من حل هذه المشكلة بطريق السلام ارسلت اسطولها في ١٧ فبراير من السنة المذكورة اطلق قنابله على ساجالوا فدمرها وقتل وجرح من الروس ١٠ رجال اما الباقون فاضطروا الى التسليم والذهاب الى داخلية البلاد . وما زالت روسيا تتحين الفرص للاستيلاء على ارض جديدة في بلاد الحبشة حتى جاء عام ٩٨ وارادت احتلال سلطنة راحيتا وهي تابعة لايطاليا فعارضتها الدول واوقفتها عن مطامعها

﴿ انكلترا ﴾ احاطت انكلترا بالحبشة احاطة السوار بالمعصم فهي صاحبتها الطامعة بها او جارتها العدوة كما يقول الرأس ما كونن تتحفز للوثوب الى داخليتها من جهة عدن وزيلع والاستيلاء على ارض جديدة كلما مكنتها الفرص ورأت يد الدول مغلولة لا تستطيع انفكاكا . فقد حملت الينا الشركات البرقية خبر ابرامها

اتفاقاً مع الحكومة النجاشية بتحديد التخوم بين املاكها والسومال وتداخلها في جميع فروع الادارات الحبشية لتجعل ذاتها الحاكمة الآمرة الناهية . وقد ابتدأت علاقة الانكليز مع الاحباش من عام ١٨١٩ حيث أرسلوا الرحالة سلت لعقد محالفة تجارية مع امبراطورهم فلم يستطع انجاز مهمته ثم مرت الاعوام وجاء عام ١٨٣٨ فارسل الانكليز ثانية بلودن احد ضباط جيشهم في الهند لعقد هـذه المحالفة وما كاد يصـل لتحقيق أمنية بلاده حتى تولى ثيودروس عرش الحبشة و ال دون مطامع الاجانب جميعاً وكانت بينه و بين الا نكليز تلك الحرب المعروفة ثم عادت فتجددت العلاقات بين الحبشة وانكلترا مما تراه مفصلا في اكثر ابواب هذا الكتاب

٨

حاضرها ومستقبلها السياسي

على ماضينا قيسوا مستقبلنا
ما كونن

الحبشة بلاد عظيمة قديمة العهد بالمدنية تروى اخبار صولتها واقتدارها من ايام الفراعنة الاول ولها ذكر في تواريخ الممالك من قبل التاريخ المسيحي بالف عام . واو لم يكن بين الادلة على قوة هـذه البلاد غير انها هي الوحيدة من بين الممالك الافريقية المحافظة على استقلالها السياسي والديني لكفى هذا دليلا على صحة ماتقول

وقد مرت القرون على مملكة الاحباش وهي قانعة بما لها راضية بحالها لا تحاول توسيع الملك وفتح الاقطار في حين انها اقوى الممالك التي تليها في القارة الافريقية من كل جانب ولو قام فيها منذ عشرة اعوام قائد شهير او فاتح باسل لاستطاع ان ينشيء سلطنة عظمى في افريقيا تكون في عداد املاكها كل هـذه الاراضي التي تنازعت عليها الدول بالامس وامتلكتها ولكن ذلك فاتها لسوء الحظ وقد كان ميسوراً لها اما الآن وقد استعمرت هذه البلاد المجاورة لها فلم يبق لها غـير الاستمرار على القناعة والمحافظة على بلادها كما حافظت عليها منذ قرون واجيال

وقد كان في نية اوروبا ان تعطي الحبشة وما فيها الى الدولة الايطالية هبة بلا ثمن وكان ذلك من ضروب السياسة الانكليزية فرسم القوم خارطة افريقيا وصبغوا بلاد الحبشان بلون الاملاك الايطالية كما تصبغ الهند بلون الاملاك الانكليزية وتونس بلون الاملاك الفرنسوية الا ان هذه الصبغة وهذا التلوين لم يقدما ولم يؤخرا في حقيقة الحال فلا ايطاليا ملكت البلاد ولا الحبشة صارت في عداد الاراضي التي ابتلعتها حيتان المطامع الاوروبية ولو ان في بلاد الحبشة أقواماً يرسمون الخرط و يخططون البلدان لطمحت نفوسهم الى صبغ ايطاليا باللون الحبشي بعد الانتصار الاخير ولكن أصحابنا الحبشان لم يصابوا الى الآن بمرض التمدن ولا انتقلت اليهم عدوى التزويق الافرنجي فسلطانهم منليك يدعي ان له حقاً بوضع حمايته على المملكة الايطالية و يقول ان المعاهدة التي ابرمت بينه و بينها تخوله هذا الحق وعنده ان هذا أولى من رسم الخرائط

بقي ان الحبشة خلصت من ناب اوروبا بشجاعة رجالها وهمة مليكها وصدق امرائها ومناعة جبالها وقد كانت الحرب الاخيرة قاضية على كل دولة تفكر في اخضاع هذه البلاد ورسخ الآن في الاذهان ان الحبشة مملكة مستقلة . هذا غير ان الحبشة عرفت اروبا واوروبا عرفتها واتصلت ببلدان التمدن أتصالاً كبيراً ففتحت عينها الى الذي يمكن لها فعله لتنال فوق ما عندها من الملك الواسع والقوة المعروفة ولا عجب فهذه عادة الدول لا تفيق من غفلتها الا بعد حادث كبير يرن صداه في الاذان فيجلو صداء الاذهان و يوجد في الصدور همة تجري بدم القناعة في العرق فتصيره دم الطمع والاقدام وتصير البلدان الخاملة ممالك عظيمة الشان من بعد القعود وتاريخ الممالك كله أدلة على ان الدول التي نشأت بعد النوم زماناً ما قامت وعظمت الا من بعد حرب كبيرة مثل حرب الحبشان والطليان فاذا كان النصر في جانب الامة التي لزمت الصمت والقناعة حركها ذلك الى تغيير خطتها والظهور بين الناس فتسابق وتسبق وتزاحم وتزحم وتقاوى وتقوى وهذا هو الذي صارت اليه بلاد الحبشة اليوم فالطليان الكرام فضل يذكر على الاحباش والحرب الحديثة شهرة وذكر سوف يبقيان الى

آخر الدهر و يشهد التاريخ ان مواقع اكسوم وعدوة وغيرهما كانت بدء عصر جديد لهذه المملكة الافريقية

واما ان هذه المملكة التي تجددت قواها وتحركت همتها من بعد هذا النصر بدأت تتطال وتتطلع فواضح من عدد الذين يقصدونها من وفود الافرنج ومن قيامها بانتداب الاكابر لزيارة البلدان الاخرى والمخابرة في الامور الهامة وعندك انكلترا وفرنسا وايطاليا وروسيا تتسابق اليوم الى التقرب منها ولالمانيا ايضاً ضلع في المخابرات الاخيرة و يهمها ان تكون هذه البلاد القديمة في جانبها وان قالوا انها اليوم مطمح الانظار وعليها مدار المطامع فنقول انها عقدة الخلاف وانها ابدية القرار

والذي استطاعت الحبشة ان تأتيه الآن هي انها عرفت مقاصد الدول واغراضها فاخذت تساير كل منها على خطة تزيدها تعلقاً بها وارتباطاً وقد رأت انكلترا ان فرنسا اخفقت سعياً ولم تنجح في ابقاء الحبشة في جانبها وكذلك ايطاليا التي لم تنجح لا بطريق الحرب ولا بطريق الحب والمودة فهي لذلك تخشى ان تسابقها الدول الاخرى الى التقرب من منليك وموادة الاحباش فتصير هذه البلاد القوية عدوة لها بدل ان تكون صديقتها الخاصة وعداء الحبشان يضر بانكلترا ضرراً بالغاً لانهم جيران لها ولان املاكهم في افريقيا التي شرعوا في مد الخطوط الحديدية فيها واقعة الى جانب بلاد النجاشي فخير لها ان يكون هذا الجار صديقاً يعضدها من ان يكون عدواً ينضم الى المتناظرين لها و يعرقل مساعيها في اواسط افريقيا و يعقد المحالفات مع غيرها فيكون سبباً في سقوط التجارة الانكليزية وصيرورة الربح الى الذين يناظرون تجارها و يقضي كل هذا الى غير ما يتمناه رجال هذه الامة العظيمة هذا هو السر في الذي نراه اليوم من ميل الدولة الانكليزية الى محالفة الحبشة والمخابرة مع منليك وغيره من زعمائها في الذي تنوي اجراءه او تتمنى تحقيقه

وليس ببعيد ان يكون لانكلترا غاية أخرى من موارد الحبشان هي ان يساعدوها على محاربة الثائرين في مستعمراتها وهذا في رأينا جزء من السياسة الانكليزية كما هو الحاصل الآن في بلاد الصومال ومعلوم ان سياسة انكلترا الآن هي فتح

الصومال واصلاح امورها ليسهل على تجارها ان يملأوا جوانبها ببضاعتهم ويأخذوا منها كل نفيس وثمين ولكن السياسة المذكورة تقضي بان يكون مركز الدول في الحبشة محدودا ضامناً المحافظة على سياسة الباب المفتوح في المسائل التجارية مع المحافظة التامة على المملكة وعدم التداخل في شؤونها ذريعة لفتحها فتحاً سلمياً

ومن المؤكد ان التنافس التجاري الآن في هذه البلاد وقف حاجزاً بين مطامع الدول يرد فرنسا من ناحية ويوخر ايطاليا من الناحية الاخرى عن استعمار البلاد التي تحلم انكلترا بامتلاكها بالتأني والتمهل المعروفين عنها . ثم ان اذعان جلالة الامبراطور منليك لمطالب الانكليز من نحو الترخيص بانشاء بنك في عاصمة بلاده واعطائهم امتيازات كثيرة اصبح من الامور التي يتحدث الناس بها الآن في كل مكان ويذهبون الى قرب ضياع الحبشة وتفيئها بظلال العلم الانكليزي الا انه من مزاعم الجاهلين

وعلى هذا ترى أن اعتقادي في مصيرها لهو كاعتقاد كل ذي نظر من انها دولة ابدية القرار لان كيانها معضلة من المعضلات ولو فرضنا انها صارت تحت سيادة دولة اوروبية لسادت فيها الفتن واستعرت نيران الثورة واستمات الاحباش في استقلالهم لانه لا يهدأ لهم بال على ضياع بلادهم وفقدان حريتهم ولان الامة التي فيها من يقول ان الوطن فيه الحياة وفيه الممات فلا نضن باخر قطرة من دمائنا واخر درهم من اموالنا في سبيله لهي امة حية لا تموت ولن تموت

وقد دخلت المسئلة الحبشية هذا العام في دور مهم جديد حيث أخذت دول هذا الزمان تترامى الى بلاط منليك وتعقد معه المحالفات والمعاهدات التجارية توسيعاً لنفوذها وسلطتها كما هي العادة في كل بلاد الشرق والتنافس في اكتساب مودة حكومته واستمالتها يرغبه كل وزير في سياسة دولته مرتبطا بداهة بحركة السياسة العمومية التي لا يخشى منها على السلام الحبشي ما دامت هذه السياسة متنازعة متفرقة . وقد كانت الدولة الفرنسوية صاحبة النفوذ الاول في هذه البلاد لكن لقلة تبصرها وسوء تدبيرها وعدم ثباتها على خطة واحدة أخذ نفوذها في الانحطاط شيئاً فشيئاً ثم ان

المعاهدات التي ابرمت مع المانيا والنمسا والروسيا والولايات المتحدة اضعفت النفوذ الفرنسوي ضعفاً عظيماً لانها قضت بان تكون التجارة حرة وان يكون لكل دولة شطر من الارباح مما ضيع اكبر فائدة كان ينتظرها الفرنسيس من جعل البلاد الحبشية سوقاً لتجارتهم ثم خفوقهم في انشاء سكة الحديد وعدم حسم مشكلتها التي انصبغت صبغة سياسية قلات الصلات بين الجمهورية والامبراطورية نعم ان مشكلة سكة الحديد شأن والصلات شأن آخر انما مثل هذا الاتفاق يستدعي على الاقل وجود عدم الثقة في النفوس وزد على ذلك ان هذه المشكلة خدمت الاحباش من حيث لا يدرون حيث اعترفت الدول باستقلال مملكتهم واحترام المحافظة على املاكهم الا ان الكثيرين يذهبون الى ان انكلترا تسعى في ان تضم هذه البلاد تحت جناحيها حتى يتم لها ملك افريقيا من سواحل بحر الهند الى سواحل بحر الروم الا ان التنازع الدولي من جهة وتفاني الاحباش في استقلالهم من جهة اخرى يوقفانها عن مطامعها وان كان الايطاليون يعتقدون ان لهم الحق الاعظم بامتلاك الحبشة وانها لا بد ان تصير ملكا لهم في مستقبل الايام وهم منذ الزمان الماضي ينظرون اليها نظرة الطامح ويبسطون حولها امال الواثق لكنهم باتوا بعد تلك الصفعة الشديدة وهم يعتقدون انهم ركبوا خشنا وسلكوا وعراً واصبحوا في مركز غير صحيح بالمرة

اما روسيا وان نالت شأوا يذكر في هذه البلاد على اثر تداخلها الديني وحمل الاحباش على الثقة بالامبراطورية القيصرية دون سواها فاننا نجد نفوذها كنفوذ سواها من بقيات الدول

أما المانيا فواقفة للدول بالمرصاد تنذرها بعدم اعتبارها المحالفات التي توقع عليها بدون علمها وبدون استشارتها وتريد بذلك جذب الاحباش الى صوبها جذباً حبياً يعقبه جذب سياسي فبسط نفوذ فالتهام وهو بعيد في هذا المورد الكثير الزحام

وعلى هذا ترى ان الدول تتسابق الى الحبشة والشعوب تتقاطر عليها جاعلة كل منها مبدأ مقرراً في سياستها معها طامحة الى تعزيز نفوذها فيها فرنسا بسككها الحديدية وروسيا برساليانها الدينية وايطاليا ببعثاتها العلمية والمانيا بمصنوعاتها الحديدية وانكلترا

بسياستها الدولية والولايات المتحدة بوارداتها التجارية والكل راغب في اخذها حين غفلتها واستدرار خيراتها على غرة منها وهي راسية كالجبال القائمة لا تحسب حسابا لهذا التزاحم ولا تفرض فرضا مجهولا يمتد بها الى مستقبل الايام ولا تخشى يوما فيه تتدرج الاحوال

ثم نقول وما اكثر الذين يتكهنون فيمادون في سجل الاقدار و يتنبأون عما تكنه ضمائر الادهار فيذهبون الى قرب صيرورة الحبشة الى ماصارت اليه الممالك الافريقية من الانحلال والاستعمار و يبنون تكهنهم على امور كثيرة ترجع على الجملة الى أمرين عظيمين وهما اولا انها اصبحت عرضة لتداخل الاجانب في ادارة شؤونها وامتداد نفوذهم شيئا فشيئا في دوائر حكومتها والامر الثاني ان كثرة عناصرها وتباين اغراضها سيكونان وسيلة لانكلترا او لغير انكلترا من ايقاد نيران الثورة والفتن بين الاهالي لانفراط الجامعة بانفراط شمل الممالك حتى تصير كل فئة عدوة اختها تناقضها وتنقض من قوتها وتفت من ذرعها ويؤول كل ذلك الى النتيجة اللازمة من التعرض للسقوط والانتقال عاجلا او آجلا الى ايدي الغريب وهي اراء ليس أحد يجهل اذاها وفاعليتها الا انها تبعد عن الواقع كل البعد فان كان الامر الاول نرى ان الاوروبيين وان تغلبوا بتداخلهم و بداعي الاحتياج الى وسائل عمرانهم فان في دولة كهذه الدولة قوة تستعيض بها ما ينقصها من هذا الاحتياج وهم كلما اظهروا قوة كلما ظهرت بقوتين تردانهم عن مطامعهم نحوها وعلى هذا نسير الى الغد والى القرون المقادمة حافظة لكيانها ولاستقلالها القديم وان كان الرأي الثاني ولو على فرض حصوله فالاحباش لن يقبلوا ولن يذعنوا مع تنافرهم من بعضهم وتمزيق رابطتهم لتغيير ما يمس حياتهم القومية او ينزع من استقلالهم بعض الشيء

واخيرا اقول ان الحبشة دولة قوية تصبر على كل مكروه ولا تخشى عدوا مهما كانت قوته وعندها من الميل الى الحرية والاستقلال ما تشعر به الدول المتمدنة ولديها من الاستعدادات ما يؤيد ميلها هذا وعندها عزة في نفسها يقل نظيرها في دول الارض حتى انها لتستميت في كل ما يمس حياتها القومية وتبغض كل منبيء بمستقبلها

الاستعماري الى الطموح اليها رغبة في الاستيلاء عليها كانما هي بذلك على قوة كامنة لا يعرفها سواها

وكل هذه الاسباب المتقدمة تفسر باجلى بيان ان سقوط الحبشة تحت السيطرة الاجنبية بعيد النوال لانها فضلاعن قوتها الذاتية ممنعة في جبال تقوم مقام الحصون المنيعة ورجالها خبيرون بمسالك منها لا يعرفها اعظم جغرافي في الارض وشعوبها متحابة تجمعها الرابطة الوطنية والقوميـة فتمنع تضعضع اركانها وميلها الى السقوط والانحلال وفي حوادثها الاخيرة ووقوف امبراطورها حيال مطامع الدول وتحريكه العالم على صوته وهو سجين قصره لما يزيدها قوة وحياة وتكون هذه القوة وتلك الحياة شعلة جديدة لهذا الشعب العظيم تزيده رابطة واتحادًا وانفة وشكيمة فيكسب بلاده بالسلم ما اكسبها سلفاؤه بالحرب

على انه سواء ثبت رأينا في مستقبل الاحبـاش او ثبت بعضه فانه من الثابت المقرر ان دولتهم ابدية القرار وانها باقية ما دامت الارض ارضًا والسماء سماء ماداموا على هذه الاخلاق وتلك الصفات وماداموا يحافظون على جامعتهم الوطنية ورابطتهم القومية

(الخطر الاسود)

لا تزال الحبشة على حالتها الاولى وفي ثوبها الاول داخل البلاد العتيقة في تاريخها وفي سكانها في عوائدها وفي حكومتها وقد طال عليها الزمان وهي نائمة نوم الاله برهما الذي يزعم اليابانيون انه نائم لا يفيق الامرة كل بضعة آلاف من القرون ومضت الاحوال والاجيال واليابان باقية يابانا والحبشة باقية حبشة لا تتغير واحدة منهما في امر من الامور حتى استيقظت اليابان على صوت طبل الغرب فآن للحبشة ان تستيقظ من سباتها كما استيقظ برهما بيقظة اليابانيين لتكون خطرا جديدًا على الدول .

ولا تكون خطرا الا بامر رئيسي هو ارتقاؤها وخروجها من البداوة الى الحضارة ومن الجهل الى العلم ولا بد من هذا وذاك يوما ما الا ان ذاك الزمان بعيد وربما

لزم له عشرات من الاعوام لان ترقية شعب ليس بالامر السهل المنال ولا بد له من السير البطيء في ارتقاء درج الكمال

صحيح ان الحبشة بلغت هذه السنوات الاخيرة درجة تعادل درجة الامم الاولى من حيث الاستقلال ودرجة الامم الثالثة من حيث الارتقاء والنمو والتمدن على انه لا يقتضي ان يكون الفرق كبيرا بين الدرجتين اذ لا يخفى ان المدة التي تفصل الحبشة بين ادوار ظهورها الى العالم لا تكاد تحسب لحظة بالنسبة لظهور الامم الاخرى

ومعلوم ان تنازع البقاء في هذه البلاد يكون أشد كلما فتحت ابوابها للاجانب لكن المستنزف من ثروتها الى الخارج قليل بالنسبة لثروتها العمومية على انه وغيره لا يفيدان فقدان الثروة كلها واذا اعتبرنا الموانع الكثيرة التي تحول دون مطامع الدول كالاحتكار والامتيازات وما شاكلها رأينا ان مجال الارتقاء امامها اوسع من ان يضيق بمثل هذا التنافس

واذا قسنا الحبشة بامة اليابان نرى ان هذه الامة بعد ان فتحت بلادها الاوربا تهذبت وتمدنت وفاقت العالم اجمع وقد يمكن للحبشة كما اشار اليه المسيو بول كومب المؤرخ الافرنسي ان تجد لها سبيلا يرقيها اكثر فاكثر فتبلغ درجة الامة اليابانية ورجالها لا يقلون عن رجال تلك ذكاء ومهارة وحذاقة وعقلا بل قد يفوقونهم شجاعة

على ان ارتقاء الاحباش قد يجعل في ضمائر كثيرين خوفاً آخر حقيقياً وهو نفسه قلق من قبل غيره الا وهو الخوف على تمكنهم من جمع وحدة جنسهم الاسود الذي هو رجاؤهم الوحيد فيكون امام الدول خطر آخر جديد كما يقول الكونت بوزاس الافرنسي هو الخطر الاسود وذلك سر لا يزال غامضاً وكل غامض يخشى وان كان عارضاً

هذه هي خلاصة ما دلت عليه مباحثنا ولا شك ان ذلك يقتضي زمناً طويلاً والله وحده اعلم بمصير الامور

(انتهى والحمد لله)